

جَامِعَةُ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ السَّنُوسِيِّ الْإِسْلَامِيَّةِ

The Islamic University of Al Saied Mohamed Bin Ali Al Sanussi

مجلة البحوث العلمية

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز
البحوث والدراسات العلمية بالجامعة

24

المجلد

المجلد الرابع والعشرون / العدد الأول

10

السنة

السنة العاشرة

1448 هـ - 2026 م

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

مجلة البحوث العلمية

مجلة دورية محكمة تصدر عن مركز البحوث والدراسات العلمية بجامعة السيد محمد بن علي
السنوسي الإسلامية

المجلد الرابع والعشرون
(العدد الأول)

محرم 1448هـ - الموافق - يونيو 2026م

هيئة التحرير

رئيس التحرير: د. خالد إبراهيم فضيل.

الإخراج الفني: د. سعيد عطية عبد السلام رشوان

أعضاء هيئة التحرير

1.	د. أحمد علي الحسنوني	6.	د. منير سعيد حامد
2.	د. عيسى عثمان محمد.	7.	د. عوض عقيلة عوض
3.	د. عبد السلام فرج الخزعلي	8.	د. عصرانة علي مسعود البرغثي
4.	د. سليمان عبد الحميد عبد السلام	9.	د. صالح عبد الكريم مؤمن
5.	أ. جاد الله صالح جاد الله	10.	أ. فتحي حسن الشلماني

الهيئة الاستشارية للمجلة

1.	أ.د. سليم مفتاح عبد العزيز	2.	أ.د. محمد مفتاح فضيل
3.	أ.د. حسين حسن	4.	أ.د. سعد سليمان الحامدي
5.	د. عبد الحليم طاهر علي	6.	أ.د. أشرف حافظ يوسف
7.	د. أحمد علي صالح الحسنوني	8.	د. محمد سليمان آدم
9.	أ.د. احميدة سالم حماد	10.	أ.د. امراجع الهيلع
11.	د. أنيس الشاعري	12.	د. محمد أحمد السنوسي
13.	د. امحمد السنوسي	14.	د. عوض عقيلة عوض
15.	د. سليمة عبد الهادي	16.	د. عزمي عبد الحميد محمد جار الله
17.	د. سليمان عبد الحميد عبد السلام	18.	د. رجب عبد الله خليفة
19.	د. توفيق محمد إبراهيم نصيب	20.	د. عصراة علي مسعود
21.	د. محمد الناجي عبد العالي	22.	د. منير سعيد حامد
23.	أ.د. علي عبد العاطي		

رقم الإيداع: 2017/37، دار الكتب الوطنية.

ISSN:2789-1011

ضوابط وشروط نشر البحث العلمي في مجلة البحوث العلمية

- يُلزم الباحث بتعبئة نموذج تعهد ملكية البحث مع تقديم طلب للنشر.
 - تقبل المجلة البحوث باللغتين العربية والإنجليزية والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:
 - تنويه: لا يتم استلام أي بحث لا يلتزم بهذه الشروط كاملة.
1. أن يكون البحث أصيلاً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية (النتائج) والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير.
 2. ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى، أو أن يكون مستقلاً من دراسة أخرى. وفي حالة قبول البحث للنشر تمنح كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز للباحث نشر بحثه مرة أخرى دون إذن كتابي من رئيس التحرير.
 3. يطبع البحث بواسطة برنامج word على وجه واحد ورقة A4 ويرسل بنسخة ورقية ونسخة إلكترونية على البريد الإلكتروني للمجلة : (jsr@ius.edu.ly).
 4. يجب ألا يتجاوز البحث المقدم للنشر (30) صفحة ولا يقل عن (20) صفحة متضمنة الملخصين: العربي، والإنجليزي، والمصادر والمراجع.
 5. يلي الملخصين: العربي، والإنجليزي، كلمات مفتاحية (key words) لا تزيد على خمس كلمات (لم ترد في عنوان البحث) تعبر عن المجالات التي يتناولها البحث.
 6. أن تكون هوامش الصفحة بحجم 3 سم (أعلى و أسفل ، يمين و يسار) الصفحة. على حجم الورقة (A4).
 7. يكون نوع الخط في المتن للبحوث العربية (Simplified Arabic) بحجم بنط (13)، في المتن بحجم بنط (16) للعناوين، وبنط (12) في الهوامش. وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman) بحجم (11).
 8. يكون نوع الخط في الجداول للبحوث العربية (Simplified Arabic) بحجم (10)، وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman) بحجم (8).

9. يتم توثيق الهوامش العلمية في نفس الصفحة بحجم خط (11) سواء في المتن ((APA)) أو أسفل الصفحة، باستخدام ميزة صناعة الهوامش لبرنامج وورد، ويعاد ترقيم الهوامش لكل صفحة.
10. يكتب عنوان البحث، واسم الباحث، أو الباحثين، والدرجة العلمية والمؤسسة التي ينتمي إليها باللغتين العربية والإنجليزية، على الصفحة الأولى.
11. يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث أو الباحثين في متن البحث صراحة أو إشارة.
12. تدرج الهوامش أسفل الصفحات، وتكون أرقامها متسلسلة حتى نهاية البحث مع مراعاة ذكر المعلومات كاملة عند ذكر المرجع للمرة الأولى، وفي حال ذكره مرة أخرى فيكتفي باسم الكتاب والصفحة.
- اسم المؤلف، عنوان المصدر أو المرجع، كتابة رقم الجزء أو الطبعة، اسم دار النشر، سنة النشر.
13. تكتب المصادر والمراجع في قائمة منفصلة في نهاية البحث مرتبة أبجدياً، باتباع المدرسة المغاربية في توثيق المصادر والمراجع، مع ذكر كامل معلومات النشر المتعلقة بالمصادر والمراجع.
14. يعطى لكل جدول أو صورة أو شكل رقم تسلسلي وعنوان كامل يعبر عن مضمونه.
15. تحتفظ هيئة التحرير بحقها في إجراء التعديلات المناسبة على المادة المقدمة للنشر، إن رأت ذلك ضرورياً وبما يلائم أسلوب المجلة.
16. أن يكون البحث المقدم خاضعاً لأسس البحث العلمي، مدققاً لغوياً وخالياً من الأخطاء الإملائية والمطبعية داخل البحث بحيث يكون مستوفياً شروط البحث العلمي المتعارف عليها.
17. الالتزام بعلامات الترقيم خلال كتابة البحث.
18. لا يقبل أي بحث بدون مراعاة الضوابط والشروط السابقة وخاصة الأخطاء الإملائية واللغوية.
19. تستغرق مدة تقييم البحث فترة زمنية لا تقل عن ثلاثين يوماً .
20. تضاف أي ضوابط أخرى ترى هيئة التحرير أهمية إدراجها حسب تخصص المجلة.

التواصل مع المجلة

الموقع الإلكتروني للجامعة: www.ius.edu.ly

البريد الإلكتروني للمجلة: jsr@ius.edu.ly

قائمة المحتويات

صفحة	البحث
26 - 10	1. رسالة القرافي في قضاء الدين تأليف: بدر الدين القرافي المصري المالكي ت 1008 هـ / إعداد : د. فرج المبروك آدم
50 - 27	2. التكييف الفقهي للإثبات الإلكتروني ومشروعيته في ضوء بعض نصوص القانون الليبي - دراسة فقهية معاصرة / إعداد : أ. عماد سليمان الحاج ميلود
68 - 51	3. موانع الصلح في المعاملات المالية عند المالكية / إعداد : د. محمد سليمان آدم
80 - 69	4. أسباب ودوافع الانتحال عند مرجليوث وطه حسين دراسة نقدية تحليلية / إعداد : أ. ضياء الدين جمال حماد
100 - 81	5. فن الوصف في العصر الأندلسي شعر الشريف الغرناطي (60 هـ) أنموذجا / د. منير سعيد حامد سعيد
125 - 101	6. ثنائية النهار والمساء في شعر إيليا أبو ماضي، قصيدة "المساء" بين تأمل الفناء ودعوة الأمل / إعداد : أ. أسماء عبدالله عطية الشريف
148 - 126	7. النفوذ التقليدي للزعامات المحلية وموقفها من السياسة المركزية للحكام العثمانيين في ولاية طرابلس الغرب (1836-1838م) / (دراسة وثائقية من خلال وثائق قنصلية نابولي بطرابلس) إعداد: د. علي عيسى علي الدعب، د. سعد إدريس سعيد آدم، د. عبدالرحيم عبداللطيف مفتاح عبدالقادر
164 - 149	8. ثورة بابك الخرمي ((201-222 هـ / 816-836م)) / د. أحمد علي صالح الحسنوني، د. عبد السلام سالم سعيد، د. وليد موسى إبراهيم (جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية)
191 - 165	9. الصراع السنوسي البريطاني في مصر وأثره على حركة الجهاد في ليبيا (1914-1918م) إعداد : أ. مصطفى مفتاح عبدالرازق أ. خالد فضل الله سليمان.
211 - 192	10. ممارسة القبائل الليبية للحرية السياسية / إعداد : د. سليمان بوبكر صالح محمد الحباس
241 - 212	11. آرتميس الإفيسية (دراسة تاريخية وأثرية) / إعداد : د. منى محمد موسى نوح أ. أكرم علي حمد علي
266 - 242	12. واقع مذكرة التفاهم لترسيم الحدود البحرية بين ليبيا وتركيا 2019م، دراسة تحليلية من منظور الجغرافيا السياسية / إعداد : د. أبو عبيدة عبدالقادر محمد حويل
306 - 267	13. تقييم وظيفة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الليبية دراسة وصفية للتقارير السنوية لديوان المحاسبة الليبي للفترة (2012-2024) / إعداد : د. عبد الوهاب محمد سالم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بحث بعنوان :

رسالة القرافي في قضاء الدين

تأليف: بدر الدين القرافي المصري المالكي ت 1008 هـ دراسة وتحقيق

Qarafi's Treatise on the Repayment of Debt

By Badr al-Din al-Qarafi al-Misri al-Maliki (d. 1008 AH)

A Critical Study and Edition

إعداد :

د. فرج المبروك آدم

D.FARAJ AL-MBROOK ADIM

أستاذ مشارك بكلية الشريعة والقانون

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

Associate Professor, Faculty of Sharia and Law, Saied Muhammad Bin Ali

Al-Sanussi Islamic University

Faraj.a.mohammed@ius.edu.ly

المراجعة اللغوية: د. عوض عقيلة عوض (كلية اللغة العربية جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية)

الملخص:

يتناول البحث أحد أهم مسائل المعاملات المالية، وهي مسألة "قضاء الدين"، والأحكام القضائية بين الدائن والمدين، وخلاف السادة الأحناف في المسألة، وانفراد المالكية لبعض المسائل الفقهية في هذا الباب. ولا يتبع مسلك العلماء في التحقيق كانت هذه الدراسة من قسمين: الأول: التعريف بالإمام بدر الدين القرافي، أحد أعلام القرن الثامن عشر الهجري، منذ ولادته حتى وفاته، ومسيرته العلمية وثناء العلماء عليه، والتعريف بالمخطوط من جميع الجوانب. الثاني: القسم التحقيقي؛ ويتمثل في العناية بالنص من حيث ضبطه، وتصحيح ما فيه من تصحيف، والتعليق على مسأله وقواعده الفقهية، وبيان دور أحكام القضاء في المسألة (قضاء الدين)، وانفراد المالكية لبعض أحكامها. **الكلمات المفتاحية:** [القرافي - الدين - المدين - الدائن - القضاء]

Abstract

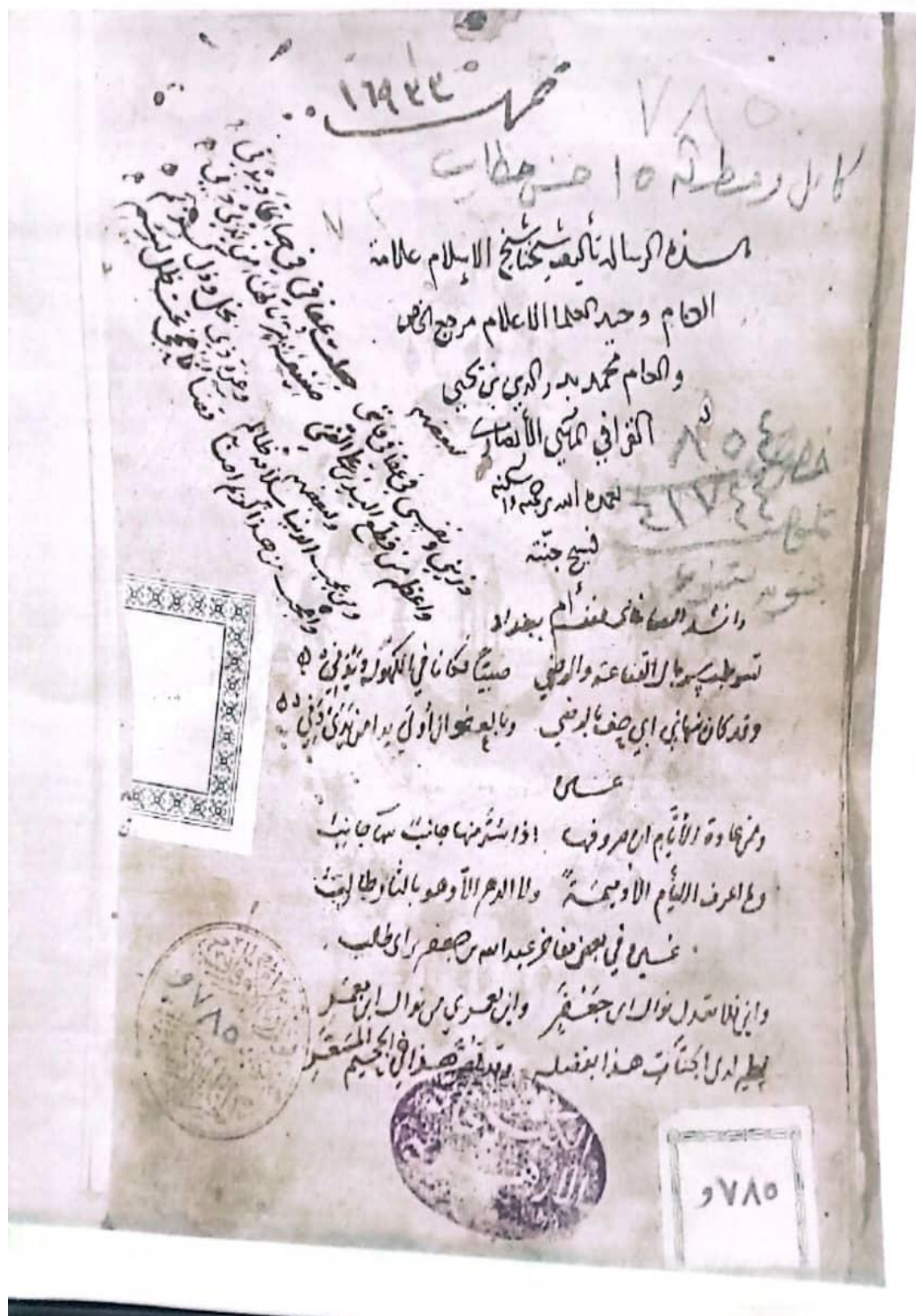
This research addresses one of the most critical issues in financial transactions: the "Settlement of Debt" (Qada' al-Dayn) and the judicial rulings governing the relationship between the creditor and the debtor. It explores the divergent views of the Hanafi school on this matter and the unique jurisprudential positions held by the Maliki school in certain aspects of this legal domain.

Following the methodology of scholars in manuscript editing and verification, this study is divided into two main parts:

First: A biographical study of Imam Badr al-Din al-Qarafi, a prominent figure of the 10th century AH. It covers his life from birth to death, his scholarly journey, the commendations he received from other scholars, and a comprehensive technical description of the manuscript.

Second: The critical edition (Tahqiq) section. This involves meticulous care for the text through linguistic accuracy, correcting clerical errors, and providing scholarly commentary on its jurisprudential issues and maxims. It also highlights the role of judicial rulings in debt settlement and the specific instances where the Maliki school stood independent in its legal conclusions.

Keywords: Al-Qarafi; Debt; Debtor; Creditor; Judicial Enforcement (or Adjudication).



المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، والصلاة والسلام على نبي الهدى المبعوث رحمة للعالمين، والذي أرسى قواعد المساواة والإخاء والعدل، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لاشك أن للمال في نظر الإسلام قيمة كبيرة ومقاماً كريماً، فنظر إليه نظرة واقعية، فوصفه بأنه "زينة الحياة الدنيا" وسوى بينه وبين الأبناء، ووصفه بأنه قوام الحياة، وصمام الأمان؛ لأنه ينظم معاملات الناس الاقتصادية. ومن ذلك اكتسبت مسألة "قضاء الدين" أهمية بالغة، حيث ترتبط بضرورة الوفاء، وتحقيق العدل في المعاملات المالية.

فجاءت رسالة الإمام "بدر الدين القرافي" في هذا الإطار، مع بيان موقف القضاء، من حيث تقديم الدعوى من المدين عند الحكم بقضاء الدين.

أولاً : أسباب اختيار الموضوع

(1) الرغبة في إحياء كتب التراث الفقهي، ونثر الغبار عن كنوزها الثمينة.

(2) الرغبة في التعرف على صاحب الرسالة.

(3) اكتساب مزيد من الخبرة في مجال التحقيق.

ثانياً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تحقيق نص الرسالة من المخطوط، وتقديم دراسة تحليلية لمضمونها لأحد علماء الأمة من المالكية.

ثالثاً: أهداف البحث

(1) تخصيص التراث وتحقيقه ضرورة علمية لا تقل أهمية عن المصنفات.

(2) اشتغال التحقيق على منهجية التعريف بالمؤلف وبالمخطوط.

(3) تقديم الرسالة التي ألفها القرافي، وبيان أهميتها وما تضمنته من أحكام المعاملات، والأقضية والشهادات.

رابعاً: إشكالية البحث: تدور إشكالية البحث حول سؤال رئيسي مفاده:

(1) ما أهم الأدوار التي قام بها علماء المالكية في الجوانب الفقهية؟

(2) وهل الإمام القرافي من كتب هذه الرسالة؟ وما دوافعها لتأليفه؟

(3) وهل تناولت كل ما يتعلق بمسألة قضاء الدين من أحكام شرعية؟

خامساً: منهج البحث:

في تحقيق هذه الرسالة من حيث كتابة نصها والتعليق عليها، اتبعت المنهج التكاملي الذي يندرج تحته بقية المناهج كالأستقرائي والتحليلي والوصفي والتاريخي.

سادساً: الدراسات السابقة: يبدو حسب علمي أن هذه الرسالة لم يسبق تحقيقها، من خلال ما طلعت عليه من فهارس المكتبات العربية.

سابعاً: المنهجية: سيأتي الحديث عنها في المبحث التحقيقي.

ثامناً: خطة البحث:

تقتضي خطة البحث أن تكون على قسمين تسبقهما مقدمة وفق ضوابط منهج البحث.

- **القسم الأول:** القسم الدراسي ويشتمل على مطلبين:

الأول: التعريف بالمؤلف ويتضمن عدة مطالب.

الثاني: التعريف بالمخطوط ويتضمن عدة مطالب.

- **القسم الثاني:** القسم التحقيقي ويتضمن:

نسخ المخطوط وضبطه وتصحيح ما به من تصحيف، ثم التعليق على مسائله، وترجمة أعلامه، وفق شروط التحقيق المتعارف عليها.

ثم تأتي الخاتمة وبعض النتائج، وأخيراً فهرس المصادر والمراجع.

القسم الأول - الدراسي

المبحث الأول - الكلام عن المؤلف.

أولاً - ترجمة الإمام بدر الدين القرافي ت 1008 هـ

المطلب الأول - اسمه ونسبه ولقبه :

أولاً - اسمه : اجمعت المصادر التي ترجمت للمؤلف أن اسمه بالكامل: محمد بن يحيى بن عمر بن يونس القرافي.⁽¹⁾

ثانياً - نسبته : فينسب إلى القرافة وهي حي تاريخي في القاهرة ؛ لذلك يقال له : القرافي ، كما اشتهر بها سلفه شهاب الدين القرافي ⁽²⁾ صاحب كتاب الذخيرة ، وغيره المتوفى سنة 728 هـ بالقدس .

ثالثاً - لقبه :

أطلق على الإمام القرافي العديد من الألقاب ولكل منها سببه :

⁽¹⁾ ينظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، محمد أمين الحموي ، ط لا - دار صادر بيروت 1111 هـ / 258 . وينظر فهرس الفهارس والأثبات، عبد الحي الكتاني ، تح : إحسان عباس ، ط 2 - دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982 م ، 1 / 216 .

⁽²⁾ شهاب الدين القرافي، هو أحمد بن إدريس المشهور بالقرافي الصنهاجي الأصل ، وأصله من قرية في الصعيد، كان مالكيًا و عالم بالأصول وأصول الدين، وله العديد من المؤلفات من الفقه وأصوله لعل أشهرها الذخيرة والفروق وغيرهما توفي سنة 728 هـ ، ينظر الوافي بالوفيات ، للصفدي، تح الاناؤوط ، ط لا - دار احياء التراث بيروت 1420 هـ / 6 / 146 .

لقب بالمصري، لأنه ولد ونشأ، ومات، ودفن فيها. ولقب بالمالكي؛ لأنه مالكي المذهب حتى وفاته.

أما لقبه بدر الدين فقال عنه عند ترجمة جده لأمه عبد الكريم الدميري : (1)

" وجدي هذا هو الذي لقبني بدر الدين ، ، وذلك أني ولدت ليلة السابع والعشرين من رمضان - أي

في ليلة القدر " . (2)

المطلب الثاني - مولده ، ونشأته.

أولاً - مولده :س

انفرد صاحب هداية العارفين (3) بأن بدر الدين القرافي ولد سنة 949هـ — ، بينما بقية المصادر التي ترجمت له تؤكد غير ذلك . وما قيل : إنه ولد ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان منه تسع وثلاثين وتسعمائة هجري ، قال القرافي : كما وجدته بخط والدي، وبلغني من طريق آخر أن السنة إنما هي سنة ثمان وثلاثون " والأرجح من خلال كتب التراجم أن سنة ولادته تسع وثلاثون وتسعمائة. (4)

ثانياً - نشأته : سبق الذكر أن الإمام بدر الدين القرافي ولد سنة 939 هـ، وأقام بها بداية حياته ، ونشأ في بيئة علمية أزهرية حيث تلقى علوم الفقه واللغة ، والحديث في بدايته العلمية على يد كبار العلماء وخاصة والده يحيى بن عمر (5) ثم جده لأمة الدميري (6) ثم تلقى مختلف العلوم على يد علما عصره . (7)

المطلب الثالث - مكانته العلمية ورحلاته وشيوخه :

أولاً- مكانته العلمية :

عرف الامام بدر الدين القرافي ببراعته في المذهب المالكي ، واللغة العربية ما أهله لتولى منصب القضاء أكثر من خمسين عاماً ، وهو أرفع منصب ديني ، وإداري لطائفته في ذلك الوقت " (8) . قيل عنه : " القاضي الباب المصري، رئيس العلماء في عصره ، وشيخ المالكية، وكان صدرًا من صدور العلم " (9) .

ولمعرفة المكانة العلمية لأي عالم لا بد من النظر في آثاره العلمية التي تركها بعد وفاته ، والمتمثلة في مؤلفاته ، وتلاميذه الذين حملوا لواء العلم بعده .

(1) الدميري : هو محمد عبد الكريم بن أحمد الدميري نسبه إلى دميرة قرية من قرى مصر قال القرافي : جدي لأمي. القاضي المعتمد المعول عليه في مصر ولم يذكر سنة ميلاده مكتفيًا بذكر وفاته في ربيع الأول سنة 443 هـ ، ينظر توسيع الديباج ، وحلية الابتهاج ، بدر الدين القرافي تح : و : على عمر ط 1 - مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1425 هـ من 19 6 .

(2) ينظر : المصدر السابق نفسه .

(3) صاحب الهداية هو / اسماعيل البغدادي.

(4) ينظر : خلاصة الأثر، للحموي 2 / 258 .

(5) والد بدر الدين هو يحيى بن عمر بن أحمد بن عدى المصري مولدًا والنابلسي أصلًا والقرافي شهرة ، والأنصاري نسبًا كان ميلاده سنة 906 هـ حفظ القرآن ، والعديد من العلوم ، مرضه خمسة أيام ، وتوفي سنة 946 هـ . ينظر توشيح الديباج للقرافي ص 250 وما بعدها.

(6) الدميري - سبقت ترجمته .

(7) ينظر : هداية العارفين، اسماعيل البغدادي ، ط لا - دار احباء التراث العرب بيروت ، 1951م ، 263 .

(8) ينظر : الأعلام ، خير الدين الزركلي، ط 5 - دار العلم للملايين - بيروت 7 / 141.

(9) ينظر : خلاصة الأثر للحموي 2 / 258 .

والبداية بمؤلفاته - رحمه الله تعالى - : حيث ترك العديد من المؤلفات قال صاحب الهداية حوالى ثمان ألف من التصانيف، وفي اعتقادي أن هذا الرقم مبالغاً فيه ، وحدد غيره تصانيفه بالاسم ، وذكرها في تراجمهم منها ما هو مطبوع، وآخر ما زال مخطوطاً ومنها هذه الرسالة التي بين أيدينا .

أهم تصانيفه هي :

- 1- القول المأنوس بتحرير ما في القاموس ط - لغة).
 - 2 - الرسالة في بعض أحكام الوقف - خ).
 - 3 - مجموع رسائل من الفقه - خ.
 - 4 - توشيح الديباج وحلية الابتهاج ط
 - 5- توالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح .
 - 6 - رسالة الدرر المنيفة في الفراغ من الوظيفة م خ
 - 7- شرح الموطأ في الحديث وله نظم ونثر⁽¹⁾ .
 - 8- تحقيق الإبانة في صحة إسقاط مالم يجب من الحضانة.
 - 9- عطاء الجليل في شرح مختصر خليل في فروع الفقه المالكي .⁽²⁾
 - 10- رسالة في قضاء الدين في موضوع البحث .
- أما تلاميذه الذين حملوا لواء العلم من بعده، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر كل من :
- 1 - على بن زين العابدين الأجهوري.

وهو أبو الارشاد نور الدين على بن زين العابدين محمد بن الشيخ عبد الرحمن الأجهوري، شيخ المالكية في عصره أخذ عن الكثير من الأعلام وممن أخذ عن جده . له تأليف كثيرة منها : ثلاثة شروح على مختصر خليل، وحاشية على شرح النتائي على الرسالة ، وتأليف في الحديث والمنطق ، والنحو، تضاربت الأقوال في وفاته .⁽³⁾

2 - محمد بن محمد بن أحمد الفيشي : نسبة إلى فيشة من قرى مصر، وهو مالكي من فقهاء أهل مصر، ومن آثاره المنح الألهية في شرح المقدمة العشماوية، وكلاهما في فروع الفقه المالكي .

لم تحدد المصادر سنة ميلاده، وتوفى تقريباً سنة 972 هـ .⁽⁴⁾

3 - سالم بن محمد عز الدين بن محمد ناصر الدين عز العرب السنهاوري، ولد سنة 945هـ بسنهاور ، تعلم في القاهرة ، وتوفي بها سنة 1015 هـ . ويقال له أبو النجا فقيه محدث، وكان مفتي المالكية، له

⁽¹⁾ ينظر: الأعلام للزركلي 7 / 141.

⁽²⁾ ينظر: هداية العارفين للبغدادي 2 / 263.

⁽³⁾ ينظر: ديوان الإسلام ، لشمس الدين الغزي، تح : سيد كسروي حسين ، ط 1 - دار الكتب العلمية بيروت 1411 هـ ،

89 / 1 .

⁽⁴⁾ ينظر: معجم المؤلفين - رضا كحالة 11 / 186، وينظر الأعلام للزركلي - 59/7

العديد من المؤلفات منها : حاشية على مختصر خليل من فروع الفقه المالكي، وفصائل ليلة النصف من شعبان و غيرهما .⁽¹⁾

ثانياً - رحلاته :

نظرًا لانشغاله العديد من السنوات بالقضاء ، والتدريس ، والتأليف لم يكن الإمام بدر الدين القرافي كثير الترحال، ولم تتطرق المصادر التي ترجمت له إلى أي رحلة من رحلاته، غير أن أحدها ذكر أنا له رحلة إلى المشرق لعله أدى فيها مناسك الحج، وذلك سنة 981هـ وقد التقى فيها بالعديد من العلماء في مكة، واجتمع بهم، وحضر مجا لسهم العلمية ، وأجازوه في بعض العلوم .⁽²⁾

ومن العلماء الذين أخذ عنه الإمام بدر الدين القرافي الشيخ على بن حجر الهيثمي ⁽³⁾ الفقيه الشافعي الشهير .

ثالثاً - شيوخه :

تلقى الإمام بدر الدين القرافي العلم على العديد من مشائخ عصره، والبداية كانت على يد والده محمد بن عمر القرافي ، ⁽⁴⁾ فكان المعلم الأول لابنه بدر الدين القرافي ، ثم جده لأمه محمد بن عبد الكريم الدميري ⁽⁵⁾ الذي أخذ عنه الكثير في بداية حياته العلمية ما صرح من توشيعه . ثم أخذ العلم عن العديد من علماء عصره تذكر منهم على سبيل المثال :

1- الشيخ ناصر الدين اللقاني : وهو محمد بن حسن ناصر الدين اللقاني ، قيل عنه " إمام المالكية في عصره ، وهو من كبار الفقهاء الذين أخذ عنهم الإمام بدر الدين القرافي ، وتأثر بهم ، وكان آخر من انتهت إليه الرئاسة العلمية بمصر فلم يبق في مصر الا من هو طلبته، أو طلبه طلبته، من آثاره حاشية على جمع الجوامع في أصول الفقه ، توفي - رحمه الله تعالى - في شهر شعبان سنة 958 هـ .⁽⁶⁾

2 - الخطيب الشربيني صاحب مغنى المحتاج، وهو أحد شيوخ بدر الدين القرافي في العلوم العقلية ، واسمه محمد بن أحمد الشربيني الإمام العلامة الهمام الخطيب

(1) ينظر : معجم المؤلفين رضا كحالة 4 / 204.

(2) جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ، د / قاسم على سعد ، ط لا - دار إحياء التراث العرب - دبي 1423 هـ / 1 / 107 .

(3) الهيثمي : هو محمد بن محمد الهيثمي ، من الها يتم قرية بمصر الفقيه المحدث الصوفي صاحب التأليف العديدة التي عليها المدار عن الشافعية في الحجاز واليمن وغيرهما . قيل عنه : " علامة الدهر خصوصاً الحجاز فكم حجت وفود الفضلاء لكعبته وتوجهت وجوه الطلبة إلى قبلته له زها ثمانين تصنيفاً توفي سنة 974 هـ ، ينظر فهرس الفهارس للكتاني 1 / 337 .

(4) سبقته ترجمته .

(5) سبقته ترجمته .

(6) ينظر : توشيع الديباج للقرافي ص 186-188 وينظر معجم المؤلفين ، رضا كحاله 11 / 167.

القاهري الشافعي أخذ عن العديد من علماء عصره، وقد أجازوه في الفتوى ، والتدريس ومارسهما في حياة أشياخه ، وله عدة تصانيف لعل أشهرها (شرح كتاب المنهاج) تضاربت الأقوال حول وفاته و قيل : أنها في شهر شعبان سنة 977 هـ .⁽¹⁾

المطلب الرابع - ثناء العلماء عليه ، ووفاته :

أولاً - ثناء العلماء عليه :

جاء في خلاصة الأثر بعض الثناء على الإمام بدر الدين القرافي ما نصه : " القاضي بالباب المصري، رئيس العلماء في عصره. وشيخ المالكية ، كان صدرًا من صدور العلم ، له همة عالية " ⁽²⁾ ويستطرد صاحب الخلاصة قائلاً : " وله شعر العلماء، ونثر طار مع العنقاء ... نفذ للشرعية الظاهرة بالقاهرة، وتقلد القضاء بها نحو الخمسين عاماً " ⁽³⁾.

ثانيًا - وفاته :

توفي الإمام بدر الدين القرافي في مدينة القاهرة، يوم الخميس الثاني والعشرين من جماد الآخر سنة 1008 هـ الموافق 1600 م عن عمر ناهز التسع والستين عاماً .

قيل : إن هناك رواية ضعيفة ذكرها صاحب نيل الابتهاج بأن وفاته سنة 1009 هـ — ، ولعل التحقيق التاريخي، أو صناع التراجم مثل الكتاني في كتابه فهرس الفهارس ، والزركلي في كتابه الأعلام و غيرهما رجحوا سنه وفاته 2008 كما ذكرنا .⁽⁴⁾

المبحث الثاني - الكلام عن رسالة القرافي :

المطلب الأول - العنوان ، والنسبة :

أولاً - العنوان : اختار الإمام بدر الدين القرافي (ت 1008هـ) لرسالته مسألة فقهية غاية من الأهمية، ومحل نظر وخلاف بين الأئمة أطلق عليها في فهارس المكتبة الأزهرية اسم " رسالة القرافي في قضاء الدين " ⁽⁵⁾ وبعد استقراء العديد من المصادر والتراجم التي ترجمت للإمام القرافي لم يتعرف لها أحد سوى صاحب كتاب الأعلام حيث قال : " مجموع رسائل في الفقه ⁽⁶⁾ ولم يحدد عناوينها .

⁽¹⁾ ينظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، نجم الدين الغزي تح : خليل المنصور ، ط 1 دار الكتب العلمية بيروت 1418 هـ / 3 / 72 .

⁽²⁾ - ينظر: خلاصة الأثر للمحبي 4 / 258.

⁽³⁾ - ينظر: المصدر السابق نفسه .

⁽⁴⁾ - ينظر: فهرس الفهارس للكتاني 1 / 216 ، وينظر الاعلام للزركلي 7/141

⁽⁵⁾ ينظر: فهارس المكتبة الأزهرية، الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية إلى 1364 ط لا - مطبعة الأزهر 1365 هـ 1612 م.

⁽⁶⁾ ينظر: الأعلام للزركلي 7 / 141.

ثانيًا - النسبة :

إن نسبة هذه الرسالة للإمام بدر الدين القرافي لا يتطرق إليها أدنى ريب فهو ثابت بطريقتين :

الأول - أثبتته ناسخ الرسالة في بدايتها بعد البسملة والاستعانة بالله تعالى والإطراء على صاحب الرسالة قال ما نصه : " قال سيدي العبد الفقير إلى الله ... محمد بدر الدين القرافي ... وقعت حالة كثير وقوعها في مصر المحروسة " (1).

الثاني - أن هذه الرسالة وجدت معلومات كاملة عنها من ضمن الكتب الموجودة بفهارس المكتبة الأزهرية إلى سنة 1364 هـ .

المطلب الثاني - مكان وزمان تأليف الرسالة والباعث على تأليفها :

أولاً-مكان وتاريخ التأليف:

سبق الذكر أن الإمام بدر الدين القرافي لم يكن كثير الترحال ، وقلنا : ربما لانشغاله بالقضاء والتدريس والتأليف ، فالمكان الذي ألف فيه الرسالة لاشك أنه بموطنه مصر ، وخاصة محل إقامته الدائمة القاهرة .

وتحديد زمان تأليف رسالته لم يتطرق إليه في رسالته ، وكذلك لم يتطرق إليه أحد من أصحاب التراجم، وبذلك يصعب التكهن هل تاريخ التأليف في بداية حياته العلمية أم في نهايتها؛ والأرجح أنه بعد اكتمال تعليمه، ومما يؤكد ذلك ماكتبه في نهاية رسالته حيث قال ما نصه: "قال ذلك وكتبه العبد الفقير المقيد بقيود التقصير محمد بدر الدين القرافي المالكي لطف الله به في أوائل آخر الربيعين من عام أربع وألف"

ثانيًا - دوافع تأليف الرسالة :

من المعلوم أن لكل مؤلف أسبابًا تدفعه إلى الكتابة والتأليف، فما الأسباب التي جعلت الإمام بدر الدين القرافي يقدم على تأليف رسالته هذه؟ والجواب عن هذا التساؤل:

يمكن القول : إن الإمام بدر الدين القرافي كغيره من المؤلفين قد تدفعه أمور إلى التصنيف فيضمنها في المقدمة ، وقد يعفو عن ذكرها تاركًا استنتاجها للقارئ، وقد سلك الإمام بدر الدين القرافي هذا المسلك في رسالته، فلم يورد الأسباب التي أفضت إلى تأليفه بالرغم من مسيس الحاجة إلى بيانها في هذه الرسالة لأهمية المسألة التي تطرق إليها، وهذا الأمر ليس من عادته في التأليف، فقد ذكر من مقدمة توشحه

(1) ينظر: رسالة قضاء الدين للقرافي ص 1 بتصرف .

سبب تأليفه حيث قال : " فقد سألني بعض إخواني من المالكية ، وخلص خلاني أن أضع من مطالعاتي ذيلًا على كتاب العلامة ابراهيم بن فرحون ⁽¹⁾المدني ⁽²⁾ .

ويبدو أن هذه الرسالة أجاب بها عن سؤال رفع إليه في (أن من وقف عليه شيء ، هل يجوز له أن يسقط حقه فيه شخص آخر في مقابلة دراهم يأخذها منه أو لا ؟) ⁽³⁾ .

المطلب الثالث - نسخ الرسالة وبياناتها . بالرغم من المحاولات العديدة التي بذلها الباحث في العثور على نسخ أخرى من الرسالة لمقابلتها، إلا أن الظروف حالت دون ذلك ولم يبق أمامه حيلة سوى الاكتفاء بالبيانات التي تحصلت عليها من فهرس المكتبة الأزهرية الجزء الثاني ص 316 على النحو الآتي :

اسم المخطوط : رسالة القرافي في قضاء الدين.

اسم الناسخ : يبدو نفس المؤلف بدليل نصه السابق

تاريخ النسخ : 1004 هـ بدليل نصه السابق

اللغة: العربية

خط النسخ : معتاد **عدد الأوراق :** من 1 - 3 **عدد الأسطر :** 15.

المقاس : 21 × 16 **عدد الأجزاء :** بدون **عدد المجلدات :** بدون

بداية المخطوط: بعد الديباجة . (وقعت حادثة كثير وقوع مثلها في مصر المحروسة ، وهي أن المدين يشهد على نفسه أن من ادعى دفع شيء من الدين أو مسقطاً لذلك الدين بغير محكمة) ... الخ

نهاية المخطوط: (حكم المخالف الصادر بغير دعوى لا ينفذه الحنفي ، فعند ذلك تطلع الشمس ويرتفع اللبس وبالله التوفيق) ⁽⁴⁾ لا بد من التطرق إلى محتوى الرسالة، وسيأتي بيان ذلك في القسم الثاني التحقيق .

وأخيراً: أسلوب الإمام بدر الدين القرافي في رسالته التي جاءت عباراته فيها سهلة وواضحة وافية بالمقصود، مما يدل على قدرته وامتلاكه زمام اللغة نحوًا و صرفًا وبلاغةً، وفق منهج متبع يهدف من خلال إيصال المطلوب في سبك أدبي صادق اللهجة، ساعده في صياغته تعقيد بعض المسائل الفقهية مع دقه المعاني الشرعية، ولا سيما أن الإمام بدر الدين القرافي يتطرق في هذه المسألة إلى الخلاف الفقهي بين أهل العلم.

⁽¹⁾ ابراهيم بن فرحون: أبو الوفاء برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمرى المدني ولد بالمدينة المنورة ونشأ بها ومات سنة 799 هـ ، ولى القضاء بالمدينة من تصانيفه " شرح مختصر ابن الحاجب ، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية، والديباج المذهب في أبيان

المذهبة " ينظر معجم المؤلفين، رضا كحالة 1/ 68

⁽²⁾ ينظر: توشيح الديباج للقرافي ص 13.

⁽³⁾ ينظر: فهرس المكتبة الأزهرية 2 / 346 .

⁽⁴⁾ - ينظر: الرسالة في قضاء الدين للقرافي ص 4.

القسم الثاني - القسم التحقيقي.

تمهيد : يعتبر التحقيق فناً إسلامياً أصيلاً له قواعده وأصوله، وما علم الرواية والدراية في الحديث إلا هذا الفن الحقيقي الذي يفوق في دقته ما نسبته المستشرقون لأنفسهم من زيادة علم التحقيق، بل لا مجال للمقارنة البتة.

وعلم التحقيق في مصنفات التراث ما هو إلا قبس من ذلك الفن الإسلامي العريق، وكم نحن اليوم في حاجة إلى إحياء التراث، وخصوصاً التراث الذي بدأ مع عهد التدوين بشكله الواسع في القرن الرابع الهجري وما تلاه، فقد اتسعت حركة التأليف وكثرت العلوم والفنون وكان اعتماد العلماء في نشر علمهم في الجملة رهين النسخ، فاتخذ كثير من الناس مهنة النسخ حرفة لتسجيل العلم وتدوينه فكان النساخ العاديون، ومنهم العلماء، ومنهم من يدرك فناً دون آخر، فوقع في جملة ذلك أخطاء، وتصحيقات وتحريفات وسقط عبارات، وتكرار أخرى ومن إخراج كثيراً من العبارات من مجراها وقصدها، وحمل المؤلف ما لا يتحمله، بل وصل الأمر إلى الخطأ في نسبة المؤلفات لأصحابها لتشابه المصنفات وأسماء المؤلفين، أو الاكتفاء بلقب المؤلف أو كنيته لشهرته عندهم، إلا أن حركة التدوين عن طريق النسخ سلمت من الإضافات والتحريفات الشنيعة والتصرف بالعبارات التصرف المقصود، فلم يكن ذلك من دأب ولا صنيع النساخ، فإن خوف الله - تعالى - ورقابته أضفت على النفوس سلامة ونبل مقصد، وما قد يحدث من ذلك على ندرته فإن التحقيق ومقابلة النسخ كفيل بكشفه وإزالته.

لكل هذا كان تخصيص التراث اليوم وتحقيقه ضرورة علمية لا تقل أهمية بل تزيد على كتابة كثير من المصنفات في الجملة، وكم من المصنفات في هذا العصر أفنى أصحابها أعمارهم في تصنيفها وهي في التراث مكونة بأوسع وأشمل وأدق ما صنفوه، وتراثنا هو الأصل والاهتمام به أولى⁽¹⁾.

أولاً - النص المحقق ، وهو تحقيق المخطوط بالكامل ويتضمن الآتي :

- 1- ما جاء في الورقة الأولى، وما حوته من أحكام، والتعريف بالمسألة الفقهية .
- 2 - ما جاء في الورقة الثانية، وهو شرح المسألة بالتفصيل.
- 3 ما جاء في الورقة الثالثة، وهو عرض الآراء الفقهية في المسألة، والنتائج التي توصل لها المؤلف، لعدم وجود خاتمة في المخطوط.

ثانياً - منهجي في التحقيق :

لقد سلكت في تحقيق هذه الرسالة من المخطوط ما سلكه واتبعه الباحثون عند التحقيق، وسرت على النحو التالي :

(1) يراجع: مقدمة كتابة فصول للجصاص، دراسة وتحقيق عجيل جاسم مسعود - رسالة مقدمة لكلية الشريعة جامعة الأزهر، لنيل درجة الدكتوراه، في أصول الفقه، 1418هـ.

- أولاً - نظراً لعدم حصولي على نسخ متعددة من الرسالة اكتفيت بالإشارة إلى النسخة المتوفرة.
- ثانياً - قمت بضبط النص وكتابته حسب القواعد الإملائية المعهودة، وعلامات الترقيم المتعارف عليها .
- ثالثاً - قمت ببعض التعليقات التي ذكرها صاحب الرسالة.
- خامساً - قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها .
- سادساً - قمت بتخريج الأحاديث والآثار من كتب السنة المشهورة باللفظ الوارد أو مثله، واكتفيت بتخريج الحديث من الصحيحين البخاري ومسلم، أو أحدهما . فإذا لم أجده خرجته من كتب السنة الأخرى.
- وأشرت في تخريجه إلى الكتاب والباب والجزء و الصفحة والرقم إن وجد، وبيان درجة الحديث والحكم عليه ما أمكن.
- سابعاً - بينت مدلولات الألفاظ اللغوية، والمصطلحات الفقهية.
- ثامناً - رجعت المسائل الفقهية التي ذكرها المصنف إلى أصولها من كتب الفقه.
- تاسعاً - إذا كان في المسائل أقوال أخرى غير ما ذكره المصنف، ذكرت أهمها من المذاهب الأربعة المشهورة.
- عاشراً - قمت بترجمة الأعلام في جميع أقسام البحث.
- أحدى عشر - قمت بوضع قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.
- أولاً - النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَمِنْهُ الْإِعَانَةُ.

قال سيدي العبدُ الفقيرُ إلى الله تعالى، الشيخُ الإمامُ العالمُ العلامةُ العمدةُ البليغُ الفهامةُ، أوجدُ عصره وزمانه، وفريدُ دهره وأوانه: محمدُ بدرُ الدين بنُ يحيى القرافي المالكي، أنزلَ الله عليه شأبيبَ الغفران، وأسكنه أعلى فراديس الجنان، آمين.

وقعتُ حادثةً يكثرُ وقوعُ مثلها في مصرَ المحروسة، وهي أنَّ المدينَ يُشهدُ على نفسه أنه متى ادَّعى دفعَ شيءٍ من الدَّين، أو مُسقطاً لذلك الدَّين، لغيرِ محكمةٍ كذا ببلدةٍ كذا، وأقامَ على ذلك بيّنةً، كانت دعواه باطلةً، وبيّنته كاذبةً، ومتى طُلِبَ بيمينه على ذلك كان حُقه ساقطاً، وثبت ذلك لدى حاكمٍ مالكيٍّ، وحكمَ بموجبه حكماً شرعياً بعد دعوى شرعية.

ثم إنَّه أحضرَ المدَّعي حجةً ببلدةٍ أخرى أنه دفعَ له من ذلك مبلغاً قدره كذا، ببلدةٍ غيرِ البلدةِ المشترطة، وحكمَ بذلك حاكمٌ حنفيٌّ، ثم ترفعاً لدى حاكمٍ آخر، فأفتى بعضُ علماء الحنفية أنه إن سبق الحكمُ من المالكيِّ بعد دعوى شرعية، فلا يُعَوَّل على حكم الحنفيِّ، وإلا فالْحُجَّةُ ببيّنة.

وطُلبَ الجوابُ من علماء المالكية.

فأجبت: هذا الاستشهاد المتضمن لاشتراط الدفع بالمحكمة المذكورة، دون غيرها صحيح لازم؛ لأنه تعريف على الدين، وقد قال علماؤنا: لو شرط المدين أنه إذا أنكر رب الدين دينه لا يمين على رب الدين أنه يعمل بشرطه وعليه عمل القضاة، والحكم بالاستشهاد المذكور صحيح معمول به لا ينقض، سواء تقدمه دعوى أم لا، أما إن صدر بعد دعوى كما هو في هذه الحادثة فظاهره وإن صدر بغير دعوى فكذلك عندنا؛ لأن الدعوى ليست شرطاً في صحة الحكم⁽¹⁾، وقد قال ذلك العلامة الشهاب القرافي⁽²⁾ صاحب المؤلفات الفريدة وهو تلميذ ابن الحاجب⁽³⁾ في كتابه المسمى: بالإحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام⁽⁴⁾. ما نص السؤال: هل من شرط الحاكم أن يكون في صورة النزاع، ويكفي أن يكون قاض للنزاع والخلاف وإن لم يقع خلاف؟

جوابه: يكفي، ومن هنا يُعلم أن ما نقل عن الإمام السرخسي⁽⁵⁾ من علماء الحنفية في كتابه المبسوط من حكايته الإجماع على سببية الحكم بالدعوى، إنما هو إجماع مذهبه⁽⁶⁾؛ لما تقدم من نص القرافي.

وأهل كل مذهب أخبر بمذهبه ويرشح هذا ما في جامع الفصولين⁽⁷⁾ من كتب الحنفية وعبارته في الفصل: أن شرط الحكم أن يكون بعد دعوى من الخصم إلى خصم بين يدي القاضي انتهى، ولا يخفاك؛ لأن قوله بين يدي القاضي حال والحال قيد في المعنى⁽⁸⁾، وهذا القيد يخرج الحكم على الغائب إذ لا يقول

(1) هذه القاعدة من القواعد القضائية، وقد يطلق عليها لفظ "تفوذ القضاء بغير دعوى"، وانفردوا بها المالكية في بعض صورها التعبدية أو ما يتعلق بحقوق الله تعالى، ينظر ترتيب الفروق واختصارها، محمد بن إبراهيم البقوري، تح: عمر بن عباد، ط1، وزارة الأوقاف المغرب، 2 / 219.

وهذا خلاف ما عليه الجمهور (الحنفية والشافعية والحنابلة) لأن عندهم في الغالب يشترطون الدعوى شرط لصحة الحكم مطلقاً، ولا يجوز للقاضي أن يقضي في حق إلا بمطالبة المدعي. ينظر: "النظام القضائي في الفقه الإسلامي" لمحمد رأفت عثمان، ط2، دار البيان، 1412هـ، (2) سبق ترجمته .

(3) ابن الحاجب: هو عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي، الشيخ الإمام المقرئ الأصولي الفقيه النحوي المالكي، صاحب التصانيف، ولد سنة 570هـ من بلاد الصعيد واشتغل بالقاهرة توفي سنة 646هـ. ينظر: "سير أعلام النبلاء" للذهبي، تح: مجموعة محققين، ط3، مؤسسة الرسالة بيروت، 1405هـ، 23 / 264-266.

(4) "الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام" لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، دار البشائر الإسلامية بيروت، 1416هـ، ص91.

(5) السرخسي: هو محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي الحنفي (أبو بكر)، فقيه أصولي مجتهد متكلم مناظر، توفي نحو 490هـ، من تصانيفه "شرح السير الكبير" جزأين و"المبسوط" في نحو خمسة عشر مجلداً، ينظر: "معجم المؤلفين" رضا كحالة، 8 / 267.

(6) هذه العبارة لم أجدّها في كتاب "المبسوط"، وإنما وجدت هذه القاعدة عند متأخري الحنفية، من ذلك قول ابن عابدين: "لا يشترط صحة الحكم من الدعوى الحادثة"، حاشية ابن عابدين مطبوع بهامش "الدر المختار" لابن عابدين، ط2، دار الفكر بيروت، 1412هـ، 3 / 587. ووردت كذلك من البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم - ط2 - دار الكتب العلمية بدون تاريخ 4 / 194.

(7) جامع الفصولين لقدوة الأمة وعماد الأئمة، لشيخ الإسلام ومرجع الفقهاء الأعلام الإمام المحقق الجليل محمود بن إسرائيل الشهير بابن قاضي سماونه.

(8) قوله: والحال قيد في المعنى:

به الحنفية، والمخالف يقول به، وكتب الفقه طافحة؛ بأن الحكم إذا صادف محلاً مجتهداً فيه يعبر المسألة كالمجمع عليها⁽¹⁾، وفي عبارة بعضهم كأن الله أنزلها، ولم يقيّدوا مذهب المخالف بكون الحكم صادر منه عن دعوى، وإنما أحدث هذا بعض من عاصرناه من الحنفية، ولم يسلم له علماء مذهبه في ذلك الوقت، ومنهم بعض شيوخه، وأفتوا بتنفيذ الحكم ولم يقيّدوه بما ذكره وعلى ما قاله، إذا وجد حكم من مخالف، ولم يتعرض للدعوى بنفي ولا إثبات، إنه يكلف صاحب المحجة في إثبات أن الحكم صدر بدعوى، وهذا أمر لا يكلف به، ومن المقرر عند العلماء؛ أن الأحكام تصان عن النقض ما أمكن، والأصل الصحة، وقد وقفت على إفتاء قاضي الحنفية، وعالم مذهبهم صاحب⁽²⁾

التصانيف المعتبرة القاضي عبد البر بن الشحنة⁽³⁾ تلميذ العلامة الكمال بن الهمام⁽⁴⁾ بتنفيذ حكم المخالف، ولم يقيده باشتراط سبق الدعوى فيه وهو ظاهر في عدم اشتراط ذلك، وإلا كان إطلاقاً منه في محل التقييد والإطلاق في محل التقييد خطأ⁽⁵⁾، فإن قلت يجوز أن يكون إطلاق في تنفيذ حكم المخالف مراده؟،

الحكم الواقع بطريقة قلت: الإرادة أمر قلبي على أن العلامة (القرافي)⁽⁶⁾ ذكر في الكتاب المذكور⁽⁷⁾ من المسائل التي لا ينقض فيها قضاء القاضي بالشروط والتعليق، تكلم على ذلك في السؤال؛ لأن المراد من فصل القضاء دفع التشاجر والخصام، فإذا نقض الحكم بالشروط أدى ذلك إلى طول الخصام وعدم الوقوف عند المقال، نعم إن وجد في كتب الحنفية التصريح بأن حكم المخالف الصادر بغير دعوى لا ينفذه الحنفي فعند ذلك تطلع الشمس ويرتفع اللبس وبالله التوفيق.

قال النحويون: الحال وصف لصاحبها قيد لعاملها الذي هو الفعل أو ما في معناه، فمثال: (جاء زيد راكباً) تلاحظ أن الركوب وصف لزيد حال مجيئه، فمجيء زيد المفهوم من (جاء زيد) مقيد بقيد ركوبه، وظاهر أن من هذا القيد مزيد فائدة يستفيد منها متلقي الكلام.

ينظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط 8 - دار القلم دمشق، 2000م، 1 / 460.

⁽¹⁾ هذه القاعدة وردت في العناية شرح الهداية لمحمد بن محمد بن محمود أكمل الدين البابرتي، ط لا - دار الفكر بدون تاريخ - 9 / 213. ⁽²⁾ نهاية الورقة السابقة.

⁽³⁾ عبد البر بن الشحنة (851 - 921هـ): عبد البر بن محمد بن محمود بن الشحنة الحلبي ثم القاهري الحنفي (أبو البركات) فقيه أصولي، مشارك في أنواع من العلوم ولد بحلب وارتحل إلى القاهرة وفيها درس وأفتى وتولى القضاء، من تصانيفه: الإشارة، والرمز في تحقيق الوقاية، وشرح الكنز في فروع الفقه الحنفي، وشرح منظومة جده (ابن الشحنة) وشرح جمع الجوامع للصبكي في أصول الفقه وغير ذلك. ينظر: معجم المؤلفين، رضا كحاله، 5 / 77، 78.

⁽⁴⁾ الكمال بن الهمام: هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد كمال الدين الشهير بابن الهمام السكندري السيواسي كان والده قاضياً بسيواس من بلاد الروم، ثم ولى القضاء بالإسكندرية، كان إماماً نظاراً فارساً في البحث فروعاً وأصولاً له تصانيف معتبرة منها شرح الهداية المسمى بفتح القدير والتحرير في الأصول وغير ذلك توفي سنة 861هـ. ينظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبن الحسنات اللكنوي، تح: محمد النعساني ط 1 - دار السعادة مصر 1324هـ ص 180.

⁽⁵⁾ قوله: الإطلاق في محل التقييد خطأ: هو تعبير دقيق مستخدم في علم أصول الفقه والمنطق؛ فإن قصد المتكلم بيان حقائق معنية في محل تقييد ثم استعمل لفظاً مطلقاً فهذا يعد خطأً قد يؤدي إلى اللبس، أو دخول ما ليس من الماهية منه وهو ينافي في عرف البيان. ينظر: جواهر البلاغة، لأحمد الهاشمي ط لا - مؤسسة هنداوي ص 168.

⁽⁶⁾ سبق ترجمته .

⁽⁷⁾ سبقت الإشارة إليه .

قال ذلك وكتبه العبد الفقير المقيد بقيود التقصير محمد بدر الدين القرافي المالكي، لطف الله به في أواخر شهر الربيع من عام أربع وألف ختم الله بالخير له⁽¹⁾

الخاتمة :

بعد حمد الله والصلاة والسلام على أشرف خلقه.

إن من أهم أهداف الفقه الإسلامي صيانة الحقوق فوضع الشرع ضوابط صارمة تضمن للدائن حقه، وتحفظ للمدين كرامته، معتبراً الوفاء بالدين من أسمى الواجبات الدينية والأخلاقية.

كما يتميز الفقه الإسلامي بمبدأ التيسير والنظرة إلى الميسرة، هذه الثوابت تناولها الشيخ الإمام محمد بن الحسن القرافي في رسالته التي كانت تعنى في قوله فقه المعاملات، واحتوت على أحكام بين الدائن والمدين.

أهم التوصيات:

أوصي أهل الاختصاص في المؤسسات العلمية بتدريب طلبة العلم على كيفية تحقيق المخطوطات، وتشجيعهم على إحياء التراث العربي، وخاصة فيما يتعلق بفقه الأصول، وبقية العلوم الشرعية.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام " لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، دار البشائر الإسلامية بيروت، 1416هـ.
- 2- الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت 1396هـ) الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م - دار العلم للملايين - بيروت.
- 3- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، المؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت 970 هـ)، الطبعة: الثانية عدد الأجزاء: 8 - دار الكتب العلمية بدون تاريخ.
- 4- البلاغة العربية، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَة الميداني الدمشقي (ت 1425هـ)، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م عدد الأجزاء: 2
- 5- ترتيب الفروق واختصارها، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البقوري (ت 707 هـ) المحقق: الأستاذ عمر ابن عباد، خريج دار الحديث الحسينية، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، عام النشر: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، عدد الأجزاء: 2.
- 6- توشيح الديباج ، وحلية الابتهاج ، بدر الدين القرافي تح : و: علي عمر ط ١ - مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1425 هـ

(1) نهاية الورقة الثالثة.

- 7- جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ، د / قاسم على سعد ، ط لا - دار إحياء التراث العرب - دبي 1423 هـ.
- 8- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت 1362هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي ، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت ، لأحمد الهاشمي ط لا - مؤسسة هنداوي .
- 9- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، المؤلف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (ت 1111هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت ، عدد الأجزاء: 4 ، ط لا - دار صادر بيروت .
- 10- ديوان الإسلام ، لشمس الدين الغزي، تح : سيد كسروي حسين ، ط 1 - دار الكتب العلمية بيروت 1411 هـ .
- 11- سير أعلام النبلاء ، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ)،تح: مجموعة محققين، ط3، مؤسسة الرسالة بيروت، 1405هـ.
- 12 - العناية شرح الهداية، المؤلف: أكمل الدين، محمد بن محمد بن محمود البابرتي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ،الطبعة: الأولى، 1389 هـ .
- 14- فهرس الفهارس والأثبات، عبد الحي الكتاني ، تح : إحسان عباس ، ط 2 - دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982 م .
- 15- الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبن الحسنات اللكنوي، تح: محمد النعساني ط 1 - دار السعادة مصر 1324هـ.
- 16- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، نجم الدين الغزي تح : خليل المنصور، ط 1 دار الكتب العلمية بيروت 1418 هـ .
- 17- معجم المؤلفين - المؤلف: عمر رضا كحالة [ت 1408 هـ]، ناشر: المكتبة العربية بدمشق (عبيد إخوان)، طبع: مكتبة الترقى بدمشق ،أعوام النشر: (1957 - 1961 م)
- 18- النظام القضائي في الفقه الإسلامي ،المؤلف: محمد رأفت عثمان، الناشر: دار البيان، الطبعة: الثانية 1415هـ1994م ،عدد الصفحات: 592 .
- 19- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين المؤلف: إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني أصلاً، البغدادي مولدا ومسكنا - دار احباء التراث العرب بيروت ،1951م
- 20- الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ) ، تح الأرنؤوط ، ط لا - دار احياء التراث بيروت 1420 هـ.

بحث بعنوان :

التكييف الفقهي للإثبات الإلكتروني ومشروعيته في ضوء بعض نصوص القانون الليبي

دراسة فقهية معاصرة

The Fiqh-Based Characterization and Legitimacy of Electronic Evidence in Light
of Selected Provisions of Libyan Law: A Contemporary Juristic Study

إعداد :

أ - عماد سليمان الحاج ميلود

Mr.Emad Suleiman Al-Hajj Miloud

محاضر مساعد بكلية القرآن الكريم وعلومه

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

Assistant Lecturer, Faculty of the Holy Qur'an and Its Sciences,

Sayed Muhammad Bin Ali Al-Senussi Islamic University.

emad1017400@gmail.com

المراجعة اللغوية: أ. ضياء الدين جمال حماد (كلية القرآن الكريم وعلومه الجامعة السنوسية)

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة التكيف الفقهي للإثبات الإلكتروني وبيان مشروعيته وحجتيه في الفقه الإسلامي، مع تحليل موقف التشريع الليبي من وسائل الإثبات الرقمية في ضوء قانون المعاملات الإلكترونية رقم (6) لسنة 2022م وقانون مكافحة الجرائم الإلكترونية رقم (5) لسنة 2022م، وقد تناول البحث مفهوم الإثبات الإلكتروني وطبيعته الفنية والقانونية، وأبرز خصائصه وصوره المعاصرة، كالمحررات الإلكترونية والتوقيعات الرقمية والرسائل الإلكترونية والسجلات الرقمية.

كما بحث الأساس التشريعي لحجية الإثبات الإلكتروني في النظام القانوني الليبي، ومدى قبوله أمام القضاء المدني والجنائي، مع بيان أبرز التحديات التقنية والإجرائية المرتبطة به، ومن الجانب الفقهي سعى الباحث إلى تأصيل حجية الإثبات الإلكتروني استناداً إلى القواعد الفقهية الكلية، مثل قاعدة «اليقين لا يزول بالشك» وقاعدة «الوسائل لها أحكام المقاصد»، وإلى المفهوم الواسع للبيئة في الفقه الإسلامي.

وخلص الباحث إلى أن وسائل الإثبات الإلكتروني تعد من البيانات المعتبرة شرعاً وقانوناً متى توافرت فيها شروط الموثوقية وسلامة البيانات وإمكان التحقق من نسبتها إلى أصحابها، وأن التشريع الليبي قد خطا خطوات مهمة في تنظيمها والاعتداد بها، مع الحاجة إلى استكمال اللوائح الفنية والإجرائية الداعمة لتفعيلها وضمان حجيتها أمام القضاء.

الكلمات الافتتاحية: الحجية الشرعية، التوقيع الإلكتروني، المعاملات الإلكترونية، الجرائم الإلكترونية، الأدلة الرقمية.

Abstract

Here is the concise English translation of the shortened abstract, maintaining its academic precision and core legal/jurisprudential terminology:

Abstract (Concise)

This research aims to establish the Islamic jurisprudential grounding (Al-Takyif Al-Fiqhi) of electronic evidence and demonstrate its authority, while analyzing the position of Libyan legislation under the Electronic Transactions and Anti-Cybercrime laws of 2022. The study examines the nature of digital evidence (such as electronic documents and signatures), its admissibility before civil and criminal courts, and its associated challenges.

Jurisprudentially, the study grounds the authority of digital evidence on the broad concept of proof (Al-Bayyinah) and major legal maxims, including "Certainty is not overruled by doubt" and "Means are judged by their ends." The researcher concludes that electronic means of proof are legally and judicially valid provided they ensure reliability and data integrity, while recommending that Libya finalize its technical and procedural regulations to fully activate this evidence before the judiciary.

Keywords: Legal Validity, Electronic Signature, Electronic Transactions, Cybercrime, Digital Evidence.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما

بعد:

فإن الحقوق لا تستقر إلا بإثباتها، ولا يتحقق العدل إلا بوسائل تكشف الحقيقة وتعين القاضي على الفصل في الخصومات؛ لذلك احتل الإثبات مكانة محورية في الفقه الإسلامي والأنظمة القانونية، إذ به تُصان الأموال والأنفس والأعراض، وتُحفظ المعاملات من الجحود والإنكار، وقد تنوعت وسائل الإثبات عبر العصور تبعاً لتطور حياة الناس ومعاملاتهم، مع بقاء الغاية منها واحدة، وهي الوصول إلى الحق وإظهاره.

ومع الثورة الرقمية التي شهدتها العالم في العقود الأخيرة، انتقل جانب كبير من المعاملات والتصرفات القانونية إلى الفضاء الإلكتروني، فأصبحت العقود تبرم عبر الشبكات الرقمية، والتعاملات المالية تُنجز إلكترونياً، والتواصل بين الأفراد والمؤسسات يتم بواسطة وسائل تقنية حديثة، وقد أفرز هذا الواقع أنماطاً جديدة من الأدلة والإثباتات، كالمحركات الإلكترونية، والتوقيعات الرقمية، والرسائل الإلكترونية، والسجلات الرقمية، الأمر الذي أثار تساؤلات فقهية وقانونية حول مدى حجيتها وإمكان الاعتماد عليها في إثبات الحقوق والالتزامات.

وتزداد أهمية هذه التساؤلات إذا ما لوحظ أن وسائل الإثبات في الفقه الإسلامي لم تُقصد لذاتها، وإنما قُصد بها تحقيق العدل وإظهار الحق، مما يقتضي النظر في مدى اندراج وسائل الإثبات الإلكترونية ضمن مفهوم البيئة المعتمدة شرعاً، ومدى توافقها مع القواعد الفقهية والمقاصد الشرعية الحاكمة لباب القضاء والإثبات، كما يقتضي الأمر الوقوف على موقف التشريعات الحديثة من هذه الوسائل، ولا سيما التشريع الليبي الذي شهد تطوراً ملحوظاً بإصدار قوانين خاصة بالمعاملات الإلكترونية ومكافحة الجرائم الإلكترونية.

ومن هذا المنطلق يأتي هذا البحث لبيان التكييف الفقهي للإثبات الإلكتروني، والكشف عن مدى مشروعيته وحجيته في الفقه الإسلامي، مع دراسة بعض النصوص القانونية الليبية المنظمة له، وصولاً إلى تحديد الضوابط الشرعية والقانونية التي تكفل الاعتماد على الأدلة الرقمية في إثبات الحقوق وحماية المصالح في البيئة الإلكترونية المعاصرة.

أولاً: أهمية البحث

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تعالج تقاطعاً حيوياً بين مستجدات التقنية الرقمية وبين الأصول الفقهية والقواعد القانونية، ويمكن تلخيص هذه الأهمية في النقاط الآتية:

1. بيان التأصيل الفقهي للإثبات الإلكتروني وربطه بالقواعد الفقهية الكلية ومقاصد الشريعة.
2. إبراز مدى استيعاب الفقه الإسلامي للمستجدات التقنية والأدلة الرقمية المعاصرة.
3. دراسة حجية الإثبات الإلكتروني في ضوء التشريعات الليبية الحديثة، ولا سيما القانونين رقم (5) ورقم (6) لسنة 2022م.
4. المساهمة في توضيح الضوابط الشرعية والقانونية اللازمة للاعتداد بالأدلة الرقمية أمام القضاء.
5. تقديم معالجة علمية تسهم في تطوير الدراسات الفقهية والقانونية المتعلقة بالتحول الرقمي وحماية الحقوق في البيئة الإلكترونية.

ثانياً: أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والعملية المتمثلة في الآتي:

1. بيان مفهوم الإثبات الإلكتروني وخصائصه وأهم صوره المعاصرة.
2. تأصيل مشروعية الإثبات الإلكتروني في الفقه الإسلامي وبيان تكييفه الفقهي.
3. إبراز القواعد الفقهية والضوابط الشرعية الحاكمة لحجية الأدلة الرقمية.
4. دراسة موقف التشريع الليبي من الإثبات الإلكتروني وبيان قيمته القانونية.
5. الوقوف على أبرز التحديات التي تواجه تطبيق الإثبات الإلكتروني واقتراح سبل معالجتها.

ثالثاً: الدراسات السابقة

بعد الاطلاع على ما كُتب في موضوع الإثبات الإلكتروني والدليل الرقمي، تبين وجود عدد من الدراسات القانونية والفقهية ذات الصلة، ومن أبرزها:

1. دراسة محمد تيباز: مدى حجية المحرر الإلكتروني في مجال الإثبات في القانون الليبي (2019م) تناولت هذه الدراسة مفهوم المحرر الإلكتروني وشروط حجتيته في الإثبات وفق التشريع الليبي، وركزت على الجوانب القانونية المتعلقة

بالمحركات والتوقيعات الإلكترونية، وبيّنت أوجه الاختلاف بينها وبين المحركات التقليدية.

وجه الإفادة منها: الاستفادة من التأصيل القانوني لحجية المحركات الإلكترونية وبيان شروط قبولها أمام القضاء.

2. دراسة أحمد أبو عيسى: مدى حجية المحركات الإلكترونية في الإثبات في القانون المدني الليبي (2019م)

بحثت الدراسة في القيمة القانونية للمحركات الإلكترونية في المعاملات المدنية، ومدى كفاية القواعد القانونية القائمة للاعتداد بها كوسيلة للإثبات.

وجه الإفادة منها: الوقوف على الأساس القانوني لحجية الإثبات الإلكتروني في المجال المدني.

3. دراسة مصطفى إبراهيم العربي: دور الدليل الرقمي في الإثبات الجنائي (2023م)

ركزت الدراسة على مفهوم الدليل الرقمي وخصائصه الفنية، ودوره في إثبات الجرائم الإلكترونية، والضوابط الإجرائية اللازمة لجمعه والمحافظة عليه.

وجه الإفادة منها: الاستفادة من الجانب الفني والإجرائي المتعلق بالأدلة الرقمية.

ما يستجد به هذا البحث عن الدراسات السابقة

على الرغم من أهمية الدراسات السابقة، فإنها انصرفت في معظمها إلى معالجة الجوانب القانونية أو الإجرائية للإثبات الإلكتروني، بينما يتميز هذا البحث بما يأتي:

1. الجمع بين التأصيل الفقهي والدراسة القانونية، من خلال بيان التكييف الفقهي للإثبات الإلكتروني وربطه بالنصوص التشريعية الليبية الحديثة.

2. إبراز الأساس الشرعي لحجية الإثبات الإلكتروني من خلال توظيف القواعد الفقهية الكلية، مثل قاعدة اليقين لا يزول بالشك، وقاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد، وتوسيع مفهوم البيئة ليشمل الأدلة الرقمية المعاصرة.

3. دراسة التشريعات الليبية الحديثة الصادرة سنة 2022م، ولا سيما قانون المعاملات الإلكترونية رقم (6) لسنة 2022 وقانون مكافحة الجرائم الإلكترونية رقم (5) لسنة 2022، في ضوء الفقه الإسلامي.

رابعاً: منهجية البحث

سلك الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التأصيلي القائم على جمع المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث من مصادرها الفقهية والقانونية، ثم تحليلها ومناقشتها واستنباط الأحكام والضوابط الشرعية منها، مع الاستعانة بالمنهج المقارن عند الحاجة للموازنة بين وسائل الإثبات التقليدية والإلكترونية، وبين ما قرره الفقه الإسلامي وما انتهى إليه التشريع الليبي، وذلك للوصول إلى التكييف الفقهي الصحيح للإثبات الإلكتروني وبيان مدى مشروعيته وحجيته.

خامساً: إشكالية البحث

تتمثل إشكالية البحث في بيان مدى مشروعية الإثبات الإلكتروني وحجيته في الفقه الإسلامي، وتحديد تكييفه الفقهي، ومدى كفاية التشريع الليبي في تنظيمه والاعتدأ به وسيلة للإثبات في المنازعات والمعاملات المعاصرة.

ويتفرع عنها السؤالان الآتيان:

1. ما التكييف الفقهي للإثبات الإلكتروني وما الأساس الشرعي لحجيته؟
2. إلى أي مدى كفل التشريع الليبي الحجية القانونية للأدلة الإلكترونية ونظم استخدامها أمام القضاء؟

سادساً: خطة البحث

اقتضت طبيعة الموضوع اعتماد خطة بحثية ثنائية البنية، جاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: ماهية الإثبات الإلكتروني وحجيته القانونية في التشريع الليبي

المطلب الأول: مفهوم الإثبات وتطوره.

المطلب الثاني: الطبيعة الفنية والقانونية للدليل الرقمي

المطلب الثالث: حجية الإثبات الإلكتروني في النظام القانوني الليبي

المبحث الثاني: التكييف الفقهي للإثبات الإلكتروني وتطبيقاته المعاصرة

المطلب الأول: القواعد الأصولية الحاكمة للإثبات الإلكتروني

المطلب الثاني: التطبيقات الفقهية المعاصرة للإثبات الإلكتروني

أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول

ماهية الإثبات الإلكتروني وحجته القانونية في التشريع الليبي

المطلب الأول: مفهوم الإثبات وتطوره

يعدُّ مفهوم الإثبات الركيزة الأساسية التي يقوم عليها العمل القضائي، فبدونه تضيع الحقوق وتتعلل المعاملات، ولتحديد كنه هذا المصطلح، لا بد من استعراضه من الزاويتين اللغوية والاصطلاحية (الفقهية والقانونية):

الفرع الأول: تعريف الإثبات لغةً.

كلمة "الإثبات" في اللغة مشتقة من الجذر "ثبت"، وهي تدور حول معاني الاستقرار، الاستمرار، واليقين.

وقد وردت في المعاجم اللغوية على النحو الآتي:

ثبت الشيء ثباتاً وثبوتاً: أي استقر ودام، فهو ثابتٌ وثبيت، وأثبت الشيء: أي أقره، وأحكمه، وجعله ثابتاً لا يتزحزح¹.

رجلٌ ثبت: يقصد به الرجل ثابت القلب، أو الشجاع الذي لا يبرح مكانه في الحرب².

الفرع الثاني: تعريف الإثبات اصطلاحاً

ينقسم تعريف الإثبات في الاصطلاح إلى معنيين رئيسيين، أحدهما عام والآخر خاص، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: المعنى العام:

هو إقامة الحجة مطلقاً سواء كانت أمام القضاء أو في غيره، وسواء تعلقت بحق أو بواقعة مادية. وفي هذا السياق، عرفه الشريف الجرجاني بأنه: "الحكم بثبوت شيء لآخر"³.

¹ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج2، ص14.

² ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م، ج1، ص371.

³ الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت 816هـ)، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ / 1983م، ص7.

ثانياً: المعنى الخاص:

يركز هذا التعريف على الجانب الإجرائي، وهو وصول المدعي إلى حقه عبر الطرق الشرعية أمام القضاء، لتمكين القاضي من إصدار حكم يمنع التعدي على الحقوق¹.
 فالإثبات هنا هو الوسيلة التي يستعين بها القاضي لاستنباط الحقيقة القضائية².

الفرع الثالث: تطور مفهوم الإثبات من الورقي إلى الإلكتروني

لم يعد الإثبات محصوراً في الوسائل المادية التقليدية كالكتابة الورقية والشهادة، بل شهد تحولاً جذرياً بظهور "الدليل الرقمي"، فالمرجع الليبي في القوانين الحديثة مثل القانون رقم 5 ورقم 6 لسنة 2022 ميلادي أقر بأن الكتابة الإلكترونية والتوقيع الرقمي يُعدان معادلاً قانونياً للوسائل التقليدية متى استوفيا الشروط التقنية³.

هذا التطور يعكس مرونة السياسة التشريعية في ليبيا لمواكبة البيئة التقنية، مع الحفاظ على المقصد الأساسي من الإثبات وهو "إقامة الدليل على واقعة أو تصرف قانوني"⁴.

المطلب الثاني: الطبيعة الفنية والقانونية للدليل الرقمي

تستمد الأدلة الرقمية حقيقتها من خصائصها الذاتية التي تميزها عن الوسائل التقليدية، وهو ما يفرض فهماً دقيقاً لطبيعتها الفنية والقانونية
 الفرع الأول: خصائص الإثبات الإلكتروني.

يتميز الإثبات الإلكتروني بمجموعة من الخصائص التقنية التي تمنحه طبيعة خاصة:
 الرقمية والطبيعة غير المادية: تعتمد هذه الأدلة على نبضات إلكترونية ووسائط رقمية "ملفات، رسائل، تسجيلات"، مما يجعلها تحتاج إلى وسيط تقني لإدراك مضمونها⁵.

¹ ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي (ت 799هـ)، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1406هـ / 1986م، ج1، ص125.

² الزحيلي، وهبة بن مصطفى، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط4، 1433هـ، ج6، ص411.

³ قانون رقم (6) لسنة 2022 بشأن المعاملات الإلكترونية، الجريدة الرسمية الليبية، العدد (3)، طرابلس.

⁴ فرج، وسيم محمد، "حجية الكتابة الإلكترونية في القانون الليبي"، مجلة الحق للعلوم الشرعية والقانونية، كلية القانون، جامعة بني وليد، ليبيا، العدد (2)، 2023م، ص45.

⁵ العربي، مصطفى إبراهيم، دور الدليل الرقمي في الإثبات الجنائي، مجلة البحوث القانونية، جامعة مصراتة، 2023م، ص

التوثيق والتسجيل الزمني (Timestamping): توفر الأنظمة الرقمية إمكانية تحديد تاريخ ووقت

إنشاء المستند أو تعديله بدقة، وهو عنصرٌ جوهري في دعم الحجية القانونية¹.

القابلية للاسترجاع والنسخ المتطابق: يمكن نسخ الدليل الرقمي واسترجاعه دون فقدان البيانات أو

تغيير جوهرها، مع إمكانية استخدام تقنيات التشفير لضمان سلامتها².

الفرع الثاني: أوجه الفرق بين الإثبات الورقي التقليدي والإثبات الإلكتروني الحديث.

تظهر المقارنة بين الوسيطتين فروقاً جوهرية تؤثر على كيفية تعامل القضاء مع كل منهما:

من حيث المحل: يقوم الإثبات الورقي على محرر مادي ملموس، بينما يعتمد الإلكتروني على بيانات

رقمية مخزنة في وسائط كالسحابات الرقمية أو الخوادم³.

من حيث التوقيع: التوقيع الورقي يدوي بخط اليد، أما الإلكتروني فهو المعادل القانوني له ويتم عبر

رموز أو أنظمة تشفير للتحقق من هوية الموقع⁴.

من حيث القيمة القانونية: الإثبات الورقي هو الأصل المستقر، بينما اعترف بالإلكتروني حديثاً

بموجب التشريعات السيبرانية الجديدة⁵.

الفرع الثالث: أنواع وسائل الإثبات الإلكتروني

يصنفُ الفقه القانوني الليبي وسائل الإثبات الإلكتروني إلى فئات رئيسية:

التوقيع الإلكتروني: بيانات إلكترونية تلحق بالمحرر لتحديد هوية الموقع، وهو يحقق وظائف التوقيع

الخطي من حيث الإسناد والإقرار⁶.

¹ بحبح، بشير الشعاب، إجراءات جمع أدلة الإثبات في الجرائم الإلكترونية في القانون الليبي، مجلة الشريعة والقانون، الجامعة الأسمرية الإسلامية، 2025م، ص 202.

² نويرات، فرج عبد الواحد، أحكام الدليل الجنائي الإلكتروني في التشريع الليبي، مجلة الأستاذ، جامعة الزيتونة، 2024م، ص 88.

³ تيار، محمد، مدى حجية المحرر الإلكتروني في مجال الإثبات في القانون الليبي، مكتبة عين الجامعة، 2019م، ص 45.

⁴ عبد الحميد، أحمد أبو عيسى، مدى حجية المحررات الإلكترونية في الإثبات في القانون المدني الليبي، مكتبة عين الجامعة، 2019م، ص 67.

⁵ القانون رقم (5) لسنة 2022 بشأن مكافحة الجرائم الإلكترونية، الجريدة الرسمية الليبية، العدد (15)، المادة (1).

⁶ القانون رقم (6) لسنة 2022 بشأن المعاملات الإلكترونية، الجريدة الرسمية الليبية، العدد (3)، المادة (2).

الرسائل الإلكترونية: تشمل البريد الإلكتروني والمراسلات عبر تطبيقات المراسلة الفورية، وتعد وسيلة لنقل الالتزامات والتصرفات القانونية¹.

التسجيلات الرقمية وقواعد البيانات: تشمل المواد الصوتية والمرئية المحفوظة إلكترونياً والسجلات البنكية، وتعتبر قرائن قوية في إثبات المعاملات².

المطلب الثالث: حجية الإثبات الإلكتروني في النظام القانوني الليبي

يستمد الإثبات الإلكتروني قوته القانونية في ليبيا من حزمة من التشريعات الحديثة التي استهدفت تنظيم الفضاء الرقمي، ونقل الدليل من مجرد قرينة بسيطة إلى دليل كامل الحجية متى استوفى الشروط.

الفرع الأول: الأساس التشريعي للإثبات الإلكتروني

يتجسد الأساس القانوني للإثبات الرقمي في ليبيا من خلال نصين تشريعيين صدرا في عام 2022م، أحدثا نقلة نوعية في المنظومة القضائية.

قراءة في قانون المعاملات الإلكترونية رقم (6) لسنة 2022.

يُعد هذا القانون حجر الزاوية في الاعتراف بالمعاملات الرقمية؛ حيث نص صراحة على مساواة المحررات الإلكترونية بالمحررات الورقية من حيث الأثر القانوني. حجية التوقيع: فُرر القانون في المادة (12) منه أن التوقيع الإلكتروني يتمتع بذات الحجية المقررة للتوقيع اليدوي، بشرط إمكانية التحقق من شخصية الموقع وسيطرته على وسيلة التوقيع. سلامة المحتوى: أكدت المادة (6) على قبول الرسائل الإلكترونية كدليل إثبات، شريطة إمكانية الاطلاع على محتواها واسترجاعه في أي وقت، وعدم حدوث أي تعديل يطرأ على البيانات منذ إنشائها³.

¹ فرج، حجية الكتابة الإلكترونية في القانون الليبي، ص 50.

² العربي، دور الدليل الرقمي في الإثبات الجنائي، ص 115.

³ مجلس النواب الليبي، القانون رقم (6) لسنة 2022 بشأن المعاملات الإلكترونية، الجريدة الرسمية، العدد (3)، ص 8-10.

فرج، حجية الكتابة الإلكترونية في القانون الليبي، مجلة الحق للعلوم الشرعية والقانونية، ص 58.

الدليل الرقمي في قانون مكافحة الجرائم الإلكترونية رقم (5) لسنة 2022

جاء هذا القانون ليعزز الجانب الإجرائي والجنائي للدليل الرقمي، حيث عرّف الدليل الإلكتروني ووضع ضوابط جمعه واستخلاصه.

تعريف الدليل الرقمي: نصت المادة (1) على أن الدليل الرقمي هو "أي معلومات أو بيانات مخزنة أو منقولة على وسائط إلكترونية يمكن استخدامها في إثبات الجريمة أو تحديد مرتكبها"¹.
مشروعية الدليل: منح القانون الصلاحية للجهات الضبطية والقضائية للتعامل مع الأدلة المستخرجة من الحواسيب والهواتف والشبكات، معتبراً إياها أدلة قانونية يعتد بها أمام المحاكم الجنائية².

الفرع الثاني: القيمة القضائية والتحديات الإجرائية

على الرغم من الاعتراف التشريعي بالإثبات الإلكترونية، إلا أن تفعيله أمام القضاء يواجه اعتبارات إجرائية وتحديات تقنية تؤثر على قيمته الثبوتية.

مدى قبول المحررات الإلكترونية أمام القضاء المدني والجنائي.

تختلف سلطة القاضي في قبول الدليل الرقمي بحسب طبيعة الدعوى المنظورة:

في القضاء المدني: استناداً لقانون المعاملات الإلكترونية رقم (6) لسنة 2022، أصبحت للمحررات الإلكترونية حجة المقايضة بالمحررات الرسمية أو العرفية متى استوفت شروط التوثيق الرقمي، مما يلزم القاضي المدني بالأخذ بها كدليل كامل الحجية في العقود والالتزامات³.

في القضاء الجنائي: يخضع الدليل الرقمي لمبدأ "الاقتناع العقلي للقاضي الجنائي". فللقاضي الحرية في تقدير قيمة التسجيلات أو الرسائل الرقمية كقرائن أو أدلة إثبات، شريطة أن تجمع بطرق مشروعة وفقاً لقانون مكافحة الجرائم الإلكترونية⁴.

¹ مجلس النواب الليبي، القانون رقم (5) لسنة 2022 بشأن مكافحة الجرائم الإلكترونية، الجريدة الرسمية، العدد (15)، المادة (1) والمادة (42).

² نويرات، أحكام الدليل الجنائي الإلكتروني في التشريع الليبي، ص 95.

العربي، دور الدليل الرقمي في الإثبات الجنائي، مجلة البحوث القانونية، ص 120.

³ عبد الحميد، مدى حجية المحررات الإلكترونية في الإثبات في القانون المدني الليبي، ص 72.

⁴ العربي، دور الدليل الرقمي في الإثبات الجنائي، مجلة البحوث القانونية، ص 122.

نويرات، أحكام الدليل الجنائي الإلكتروني في التشريع الليبي، ص 98.

الفرع الثالث: معوقات الإثبات الإلكتروني

تواجه عملية الإثبات الرقمي في ليبيا عدة تحديات تحول دون الاستفادة القصوى منها: التزوير الرقمي والعبث بالبيانات: تعد سهولة تعديل البيانات الرقمية دون ترك أثر مادي ملموس خلافاً للورق من أكبر الهواجس التي تضعف الثقة في الدليل ما لم يكن محصناً بتقنيات "البلوكشين" أو التشفير المتقدم¹.

نقص اللوائح التقنية التفصيلية: رغم صدور القوانين (5، 6) لسنة 2022م، إلا أن هناك فجوة في اللوائح التنفيذية التي تحدد المعايير الفنية للمختبرات الجنائية الرقمية وكيفية تحريز الأدلة الافتراضية لضمان عدم الطعن فيها².

التحدي المعرفي: حاجة الكوادر القضائية والضبطية إلى تدريب تخصصي مكثف لفهم طبيعة الأدلة الرقمية والتعامل معها تقنياً وقانونياً³.

المبحث الثاني: التكيف الفقهي للإثبات الإلكتروني وتطبيقاته المعاصرة

يهدف هذا المبحث إلى تأصيل مشروعية الإثبات الإلكتروني في ضوء القواعد الفقهية الكلية، وبيان أهم تطبيقاته المعاصرة في مجالات المعاملات والعقود والمنازعات المختلفة، بما يحقق مقاصد الشريعة في حفظ الحقوق وإقامة العدل.

المطلب الأول: القواعد الأصولية الحاكمة للإثبات الإلكتروني

يقوم التأصيل الفقهي للإثبات الإلكتروني على قواعد كلية تضبط استنباط الأحكام للمستجدات التقنية، بما يضمن عدم خروجها عن مقاصد الشريعة في حفظ الحقوق.

الفرع الأول: إعمال قاعدة "اليقين لا يزول بالشك" في الأدلة الرقمية

تعُد هذه القاعدة من القواعد الفقهية الكبرى، وتعني أن الأمر الثابت بيقين لا يرتفع إلا بدليل يساويه في القوة. وفي سياق الإثبات الإلكتروني، فإن الوسيلة الرقمية إذا بلغت درجة عالية من الأمان

¹ تيار، مدى حجية المحرر الإلكتروني في مجال الإثبات في القانون الليبي، ص 55.

² بحبح، إجراءات جمع أدلة الإثبات في الجرائم الإلكترونية في القانون الليبي، ص 208.

³ العربي، دور الدليل الرقمي في الإثبات الجنائي، ص 125.

مثل التوقيع الرقمي المشفر؛ فإنها تولد طمأنينة ويقيناً لدى القاضي، فلا يلتفت للشكوك الموهومة حول احتمالية الاختراق ما لم يقدّم دليل على ذلك¹.

الفرع الثاني: توسيع مفهوم "البينة" ليشمل القرائن الإلكترونية القاطعة

البينة في الشرع هي "اسم لكل ما يبين الحق ويظهره"، وليست محصورة في الشهادة واليمين كما قد يتبادر للأذهان، وبناءً على هذا المفهوم الواسع الذي أقره المحققون من العلماء كابن القيم، فإن السجلات الرقمية والآثار الإلكترونية التي لا تقبل التلاعب تُعد من أقوى البينات المعاصرة التي يجب على القاضي الاعتداد بها².

الفرع الثالث: قاعدة "الوسائل لها أحكام المقاصد" وتطبيقها على التقنيات الحديثة

تقرر هذه القاعدة أن الوسيلة تأخذ حكم المقصد الذي تؤدي إليه؛ فإذا كان "العدل" وإثبات الحقوق مقصداً شرعياً واجباً، فإن الوسائل التقنية الحديثة التي تحقق هذا المقصد تصبح مشروعة ومطلوبة، فالإثبات الإلكتروني وسيلة معاصرة لتحقيق مقصد شرعي قديم وهو صيانة أموال الناس وأعراضهم من الضياع³.

المطلب الثاني: التطبيقات الفقهية المعاصرة للإثبات الإلكتروني

الفرع الأول: الإثبات الإلكتروني في العقود والمعاملات المالية

شهدت المعاملات المالية في العصر الحديث تحولاً جذرياً بفعل التطور التقني، حيث انتقل جانب كبير من التعاقدات والتصرفات المالية من صورتها التقليدية إلى البيئة الرقمية، فأصبحت العقود تبرم عبر المواقع الإلكترونية والمنصات الرقمية وتطبيقات الاتصال الحديثة، مما أوجد حاجة ملحة إلى وسائل إثبات تتناسب مع طبيعة هذه المعاملات المستحدثة، وقد راعت الشريعة الإسلامية

¹ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ، ص 51.

تبار، مدى حجية المحرر الإلكتروني في مجال الإثبات في القانون الليبي، مكتبة، ص 48.

² ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ)، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1428هـ، ج1، ص 22.

الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج6، ص 415.

³ العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، دار المعارف، بيروت، ج1، ص 46.

نويرات، أحكام الدليل الجنائي الإلكتروني في التشريع الليبي، ص 92.

هذا التطور؛ لأن المقصود من وسائل الإثبات هو حفظ الحقوق وإظهار الحقائق، لا التقيد بشكل معين من أشكال الإثبات.

وقد قرر الفقهاء أن البيئة ليست مقصورة على الشهادة، بل تشمل كل ما يؤدي إلى إظهار الحق وكشفه؛ ولذلك عرف ابن القيم البيئة بأنها: «اسم لكل ما يبين الحق ويظهره»¹، وهو تعريف يتسم بالمرونة والقدرة على استيعاب المستجدات المعاصرة في مجال الإثبات.

وبناءً على هذا المفهوم الواسع للبيئة، فإن المستندات الإلكترونية والرسائل الرقمية والسجلات الإلكترونية يمكن أن تندرج ضمن وسائل الإثبات المعتبرة شرعاً متى أفادت العلم أو غلبة الظن الراجحة، وكانت مأمونةً من التزوير والتلاعب.

كما أن الفقه الإسلامي لم يقتصر في إثبات الحقوق على المشافهة المباشرة، بل أجاز التعاقد بالكتابة والمراسلة بين الغائبين، وعدّ الكتابة وسيلة معتبرة للتعبير عن الإرادة وإثبات التصرفات المالية. وقد نص السرخسي على أن «كتاب الغائب كخطاب الحاضر»²؛ لأن المقصود هو تحقق العلم بالإيجاب والقبول وصدورهما ممن يملك التصرف.

ومن ثم فإن العقود الإلكترونية المعاصرة تعد امتداداً فقهياً للتعاقد بالكتابة الذي عرفه الفقهاء، إذ إن الرسائل الإلكترونية والمراسلات الرقمية تؤدي الوظيفة ذاتها التي كانت تؤديها الرسائل الخطية قديماً، بل تزيد عليها من حيث سرعة النقل وإمكانية التوثيق والحفظ.

وقد انتهى الفقه المعاصر إلى اعتبار العقود المبرمة عبر وسائل الاتصال الحديثة صحيحة شرعاً متى استوفت أركان العقد وشروطه، وتحقق فيها الإيجاب والقبول المعتبران شرعاً، وهو ما أكدته مجمع الفقه الإسلامي الدولي في قراراته المتعلقة بالتعاقد عبر وسائل الاتصال الحديثة³.

ومن التطبيقات المهمة للإثبات الإلكتروني في المعاملات المالية المعاصرة التحويلات المصرفية الإلكترونية، إذ تعد السجلات البنكية الإلكترونية والقيود المحاسبية الرقمية من أقوى وسائل

¹ ابن القيم، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، ج1، ص22.

² السرخسي، محمد بن أحمد، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ، ج12، ص195.

³ مجمع الفقه الإسلامي الدولي، قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، قرار رقم 52 (6/3)، ص105.

الإثبات في العصر الحديث؛ لأنها تصدر عن أنظمة تقنية دقيقة تحفظ تاريخ العملية ومقدارها وأطرافها، الأمر الذي يجعلها قرينة قوية على وقوع التصرف المالي وثبوت آثاره¹. كما أن التوقيع الإلكتروني يؤدي وظيفة التوقيع التقليدي من حيث نسبة التصرف إلى صاحبه وإثبات رضاه بمضمون العقد، ولذلك اعتبره الفقهاء المعاصرون صورة حديثة من صور التوثيق المعتمدة شرعاً متى أمكن التحقق من هوية صاحبه ومنع انتحال شخصيته أو التلاعب ببياناته². وعلى الرغم من حجية وسائل الإثبات الإلكترونية، فإن الاعتداد بها شرعاً مشروط بتوافر جملة من الضوابط، من أهمها سلامة الدليل من التزوير، وإمكان التحقق من نسبته إلى صاحبه، ووضوح مضمون التصرف المالي، وانتفاء الغرر والجهالة والتدليس، وهي ضوابط تتفق مع المقاصد الشرعية الرامية إلى حفظ الأموال وصيانة الحقوق ومنع الخصومات³.

الفرع الثاني: الإثبات الإلكتروني في الأحوال الشخصية

تُعد مسائل الأحوال الشخصية من أكثر المجالات احتياجاً إلى الإثبات؛ لما يترتب عليها من آثار تمس الأسرة والنسب والحقوق المالية والزوجية، ومع تطور وسائل الاتصال الحديثة، ظهرت صور جديدة للتعامل والتواصل بين أفراد الأسرة، مما أوجد وسائل إلكترونية يمكن أن يكون لها دور مهم في إثبات بعض الوقائع المتعلقة بالأحوال الشخصية، كعقود الزواج، والطلاق، والرجعة، والإقرار بالنسب، والنفقة، والوصية، وغيرها من التصرفات التي قد تتم أو تثبت عبر الوسائط الرقمية⁴. وقد قرر الفقهاء أن المقصود من الإثبات هو الوصول إلى الحق وإظهاره، وأن وسائل الإثبات ليست مقصودة لذاتها، وإنما المقصود منها تحقيق العدل وحفظ الحقوق، ولذلك فإن الأدلة الإلكترونية في مسائل الأحوال الشخصية تأخذ حكمها من مدى قدرتها على تحقيق اليقين أو غلبة الظن الراجحة بشأن الواقعة محل النزاع⁵.

ومن أبرز تطبيقات الإثبات الإلكتروني في الأحوال الشخصية الرسائل النصية والمحادثات الإلكترونية المتبادلة بين الزوجين، إذ قد تتضمن إقراراً بالنفقة أو الدين أو المهر أو غير ذلك من

¹ الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج4، ص2949.

² الزرقا، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، دار القلم، دمشق، ط1، 1998م، ج1، ص690.

³ العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأناس، ج1، ص46؛ والزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج4، ص2950.

⁴ الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج7، ص5275.

⁵ ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، ج1، ص125.

الحقوق الزوجية، والإقرار من أقوى وسائل الإثبات في الفقه الإسلامي؛ لأنه حجة قاصرة على المقر، وقد أجمع الفقهاء على اعتباره سيد الأدلة متى ثبت صدوره من صاحبه مختاراً غير مكره¹.

كما تبرز أهمية الإثبات الإلكتروني في مسائل الطلاق، حيث قد يصدر الطلاق عبر رسالة هاتفية أو بريد إلكتروني أو تطبيقات التواصل الحديثة، وقد ذهب كثير من الفقهاء المعاصرين إلى أن الطلاق يقع بالكتابة إذا كانت الكتابة منسوبة إلى الزوج وثبت قصده وإرادته، لأن الكتابة تقوم مقام العبارة عند تعذر النطق أو عند قصد التعبير بها عن الإرادة²، وإذا أمكن التحقق من صدور الرسالة الإلكترونية عن الزوج، فإنها تعد قرينة معتبرة في إثبات وقوع الطلاق أو نفيه بحسب مضمونها وظروفها³.

وكذلك يمكن أن تسهم الوسائل الإلكترونية في إثبات الرجعة أثناء العدة، وذلك من خلال الرسائل الموثقة أو الإقرارات الإلكترونية التي تصدر عن الزوج وتدل دلالة واضحة على مراجعة زوجته، لأن العبرة في الرجعة بتحقيق إرادة الإرجاع بأي لفظ أو فعل يدل عليها دلالة معتبرة شرعاً⁴. وفي مسائل النسب، قد تستفاد الأدلة الرقمية في إثبات بعض القرائن المرتبطة بالنسب أو نفي الادعاءات الكاذبة، إلا أن الفقه الإسلامي يجعل للنسب ضوابط خاصة ويعتمد في الأصل على الفراش والإقرار والبيئة الشرعية، فلا تستقل الوسائل الإلكترونية بإثبات النسب أو نفيه إلا إذا اقترنت بالأدلة الشرعية المعتبرة أو الخبرة الفنية الموثوقة التي يجيزها القضاء المختص⁵.

كما أصبحت السجلات الإلكترونية الرسمية الصادرة عن الجهات المختصة ذات أهمية كبيرة في إثبات الوقائع الأسرية، مثل عقود الزواج الإلكترونية، وسجلات الأحوال المدنية الرقمية، ووثائق النفقة والحضانة المحفوظة إلكترونياً، إذ تكتسب حجيتها من جهة صدورها عن جهات مختصة ومن الأنظمة التقنية التي تضمن سلامتها من التغيير والتلاعب⁶.

¹ الكاساني، علاء الدين أبو بكر، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1406هـ، ج7، ص67.

² ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، مكتبة القاهرة، ط1، 1388هـ، ج7، ص373.

³ الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج7، ص5290.

⁴ ابن رشد، محمد بن أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ، ج3، ص85.

⁵ الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج7، ص5635.

⁶ الزرقا، المدخل الفقهي العام، ج1، ص694.

غير أن الاعتراف بالإثبات الإلكتروني في قضايا الأحوال الشخصية يتطلب مراعاة عدد من الضوابط الشرعية، من أهمها التحقق من هوية صاحب الرسالة أو المحرر الإلكتروني، والتأكد من سلامة البيانات من التزوير أو التحريف، ومراعاة خصوصية الأفراد وحرمة التجسس المحرم شرعاً، لأن المحافظة على الأعراض والأسرار الأسرية من المقاصد العظيمة التي جاءت الشريعة بحفظها¹. وعليه، فإن وسائل الإثبات الإلكترونية يمكن أن تؤدي دوراً مهماً في قضايا الأحوال الشخصية متى توافرت فيها شروط الموثوقية واليقين، وكانت مؤدية إلى إظهار الحق وحماية الأسرة وحفظ الحقوق الزوجية والمالية، وهو ما يتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية في تحقيق العدل ورفع النزاع بين الناس.

الفرع الثالث: الإثبات الإلكتروني في المنازعات التجارية والمصرفية

أصبحت المعاملات التجارية والمصرفية في العصر الحديث تعتمد بصورة متزايدة على الوسائل الإلكترونية، سواء في إبرام العقود التجارية أو تنفيذ التحويلات المالية أو إدارة الحسابات المصرفية أو تداول الأوراق التجارية الرقمية، وقد ترتب على ذلك ظهور منازعات تتعلق بإثبات الحقوق والالتزامات الناشئة عن هذه المعاملات، الأمر الذي أبرز أهمية الإثبات الإلكتروني بوصفه وسيلة معاصرة لحسم النزاعات التجارية والمصرفية وإظهار الحقيقة القضائية².

ويقوم النظام التجاري المعاصر على السرعة والثقة والائتمان، وهي مبادئ لا يمكن تحقيقها إلا بوجود وسائل إثبات تتناسب مع طبيعة المعاملات الإلكترونية، وقد عرّف الفقه الإسلامي منذ وقت مبكر حجية الكتابة والدفاتر والسجلات التجارية في إثبات الحقوق المالية، لا سيما عند تعذر الشهادة أو صعوبة إقامتها، مما يدل على مرونة الفقه الإسلامي وقدرته على استيعاب الوسائل المستحدثة التي تحقق مقاصد الإثبات وحفظ الحقوق³.

ومن أبرز صور الإثبات الإلكتروني في المنازعات التجارية العقود الإلكترونية المبرمة عبر المنصات الرقمية، إذ تُعد المراسلات الإلكترونية المتبادلة بين الأطراف، وعروض الأسعار الإلكترونية، وأوامر الشراء الرقمية، والفواتير الإلكترونية، وسائل مهمة لإثبات العلاقة التعاقدية

¹ الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ، ج2، ص17.

² الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج6، ص411-412.

³ ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، ج1، ص125.

ومضمون الالتزامات الناشئة عنها، فإذا أمكن التحقق من سلامة هذه البيانات ونسبتها إلى أصحابها، فإنّها تكتسب حجية معتبرة في الإثبات¹.

كما تمثل رسائل البريد الإلكتروني التجارية وسيلة مهمة لإثبات المفاوضات السابقة على التعاقد أو الاتفاقات اللاحقة له، إذ قد تتضمن قبولاً أو تعديلاً أو إقراراً بحق أو اعترافاً بالتزام معين، وهو ما يجعلها من القرائن القوية التي يمكن للقاضي الاستناد إليها عند الفصل في النزاع التجاري². وفي المجال المصرفي، تُعدّ كشوف الحسابات الإلكترونية والسجلات الرقمية الخاصة بالبنوك من أهم وسائل الإثبات المعاصرة، لأنّها تتضمن بيانات دقيقة عن العمليات المالية التي أجراها العميل، وتوضّح تواريخ التحويلات وقيمتها وأطرافها، وقد اكتسبت هذه السجلات قوة إثباتية كبيرة نتيجة اعتمادها على أنظمة تقنية متطورة تقلّل من احتمالات الخطأ أو التلاعب³.

ومن التطبيقات العملية لذلك إثبات عمليات التحويل المصرفي الإلكتروني، حيث يمكن الاعتماد على السجلات الإلكترونية للبنك لإثبات تنفيذ عملية التحويل أو عدم تنفيذها، كما يمكن الاستناد إلى البيانات الرقمية لإثبات الوفاء بالديون أو سداد الأقساط أو تنفيذ الالتزامات المالية الناشئة عن العقود التجارية⁴.

كذلك أدى انتشار الخدمات المصرفية الإلكترونية إلى ظهور وسائل توثيق حديثة، مثل التوقيع الإلكتروني والرموز السرية وأنظمة التحقق الثنائي والبصمة الرقمية، وهي وسائل تهدف إلى التأكد من هوية المتعامل وحماية المعاملات من الاحتيال والتزوير، ويكتسب التوقيع الإلكتروني أهمية خاصة في المنازعات التجارية؛ لأنه يؤدي وظيفة التوقيع التقليدي في نسبة التصرف إلى صاحبه وإثبات رضاه بمضمونه⁵، غير أن حجية الإثبات الإلكتروني في المنازعات التجارية والمصرفية لا تكون مطلقة، بل تتوقف على توافر عدد من الضوابط، أهمها سلامة النظام الإلكتروني المستخدم،

¹ قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم (6/3/52)، ص 105.

² ابن القيم، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، ج 1، ص 22.

³ فرج، حجية الكتابة الإلكترونية في القانون الليبي، مجلة الحق للعلوم الشرعية والقانونية، ص 45.

⁴ نوبرات، أحكام الدليل الجنائي الإلكتروني في التشريع الليبي، ص 88-95.

⁵ قانون المعاملات الإلكترونية الليبي رقم (6) لسنة 2022م، المادة (12).

وإمكانية التحقق من مصدر البيانات، والمحافظة على سجلات المعاملات بطريقة تمنع العبث بها أو تعديلها، فضلاً عن إمكانية تقديمها للقضاء بصورة واضحة ومفهومة عند الحاجة¹.

كما أن القاضي عند نظر المنازعات التجارية الإلكترونية لا يقتصر على فحص المستندات الرقمية وحدها، بل قد يستعين بأهل الخبرة الفنية للتحقق من سلامة البيانات الإلكترونية ومدى تعرضها للتعديل أو الاختراق، وذلك تحقيقاً لمبدأ العدالة وصيانةً للحقوق المالية للأفراد والمؤسسات².

ومن ثم فإن الإثبات الإلكتروني أصبح يشكل ركيزة أساسية في تسوية المنازعات التجارية والمصرفية المعاصرة، لما يوفره من سرعة ودقة في توثيق المعاملات وإثباتها، وهو ما يتوافق مع مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ الأموال واستقرار المعاملات ومنع الخصومات والنزاعات بين المتعاملين.

الفرع الرابع: الإثبات الإلكتروني في الجرائم المعلوماتية

أبرز التطور التقني وانتشار استخدام الحواسيب وشبكات الإنترنت نوعاً جديداً من الجرائم يُعرف بالجرائم المعلوماتية أو الإلكترونية، وهي الجرائم التي تُرتكب بواسطة الوسائط التقنية أو تستهدف الأنظمة والبيانات الإلكترونية، وتتميز هذه الجرائم بصعوبة اكتشافها وإثباتها؛ نظراً لطبيعتها غير المادية وسرعة محو آثارها أو نقلها عبر الحدود الجغرافية، مما جعل الدليل الإلكتروني الوسيلة الأساسية في كشفها وإثباتها³.

ويُعد الإثبات في الجرائم المعلوماتية من أكثر مجالات الإثبات الإلكتروني أهمية؛ لأن الجريمة الإلكترونية غالباً لا تترك آثاراً مادية ملموسة كالتي تتركها الجرائم التقليدية، وإنما تخلف آثاراً رقمية تتمثل في السجلات الإلكترونية، وعناوين بروتوكولات الإنترنت، وبيانات الدخول إلى الأنظمة، والمراسلات الرقمية، والملفات المحفوظة على الأجهزة أو الخوادم الإلكترونية⁴.

وقد أقرّ الفقه الإسلامي مبدأ الاستناد إلى القرائن القوية والأمارات الظاهرة في إثبات الحقوق والجرائم متى أدت إلى ظهور الحقيقة وغلبة الظن المعتمدة شرعاً، وقد توسّع ابن القيم في بيان حجية

¹ بحبح، إجراءات جمع أدلة الإثبات في الجرائم الإلكترونية في القانون الليبي، ص 202-208.

² العربي، دور الدليل الرقمي في الإثبات الجنائي، ص 120-125.

³ العربي، دور الدليل الرقمي في الإثبات الجنائي، ص 112.

⁴ نويرات، أحكام الدليل الجنائي الإلكتروني في التشريع الليبي، ص 88.

القرائن، وأكد أن القضاء لا ينبغي أن يقتصر على نوع معين من الأدلة متى وجدت قرائن قوية تؤدي إلى كشف الحق وإظهاره¹.

وبناءً على ذلك، فإن الأدلة الرقمية المستخرجة من الحواسيب والهواتف الذكية وأنظمة المراقبة الإلكترونية يمكن أن تندرج ضمن القرائن المعتبرة شرعاً إذا ثبتت سلامتها الفنية وصحة نسبتها إلى المتهم، وكانت مستخرجة بطرق مشروعة لا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية². ومن أهم صور الإثبات الإلكتروني في الجرائم المعلوماتية سجلات الدخول إلى الأنظمة الإلكترونية (Log Files)، إذ تمكن من معرفة المستخدم الذي قام بالدخول إلى النظام ووقت الدخول والعمليات التي أجراها، مما يساعد على تحديد المسؤولية الجنائية عن الأفعال المرتكبة داخل البيئة الرقمية³.

كما تمثل الرسائل الإلكترونية والمحادثات الرقمية والتسجيلات المحفوظة على الأجهزة الإلكترونية وسائل إثبات مهمة في جرائم الابتزاز الإلكتروني والاحتيال الرقمي واختراق الحسابات وسرقة البيانات، حيث يمكن من خلالها تتبع النشاط الإجرامي وربط الجريمة بمرتكبها عند توافر الضمانات الفنية اللازمة⁴.

وتبرز أهمية الخبرة الفنية في هذا المجال؛ لأن القاضي أو المحقق قد لا يملك المعرفة التقنية الكافية لفهم طبيعة الأدلة الرقمية وتحليلها، ولذلك يعتمد القضاء على المختصين في الأدلة الجنائية الرقمية لفحص الأجهزة والبرمجيات واستخراج البيانات وتحليلها والتأكد من عدم تعرضها للتغيير أو التلاعب⁵.

غير أن الاعتماد على الأدلة الإلكترونية في الجرائم المعلوماتية مشروط بتوافر مجموعة من الضوابط الشرعية والقانونية، من أهمها المحافظة على سلامة الدليل منذ لحظة ضبطه وحتى تقديمه للمحكمة، والتأكد من عدم العبث به، والتحقق من مشروعية

¹ ابن القيم، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، ج 1، ص 13-22.

² المرجع السابق، ج 1، ص 22-25.

³ العربي، دور الدليل الرقمي في الإثبات الجنائي، ص 115.

⁴ المرجع السابق، ص 115.

⁵ بحيج، إجراءات جمع أدلة الإثبات في الجرائم الإلكترونية في القانون الليبي، ص 202-205.

إجراءات جمعه؛ لأنَّ الشريعة الإسلامية تحرص على حماية الحقوق والحريات الفردية وتحريم الاعتداء على خصوصيات الناس دونَ مسوغٍ شرعيٍّ معتبر¹. وفي التشريع الليبي، اعترف قانون مكافحة الجرائم الإلكترونية رقم (5) لسنة 2022م بالدليل الرقمي ومنحه حجية قانونية في إثبات الجرائم الإلكترونية، كما وضع إطاراً قانونياً للتعامل مع البيانات الرقمية واستخراجها والاستفادة منها أمام جهات التحقيق والمحاكم المختصة². وعليه، فإنَّ الإثبات الإلكتروني في الجرائم المعلوماتية يمثل ضرورة قضائية معاصرة تفرضها طبيعة البيئة الرقمية، ويُعدُّ من الوسائل المشروعة التي تتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ الأمن والحقوق وردع المعتدين، شريطة الالتزام بالضوابط الشرعية والفنية التي تكفل سلامة الدليل وتحقيق العدالة الجنائية.

أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث.

بناءً على ما ورد في ثنايا هذا البحث، يمكن استخلاص أهم النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أولاً: أهم نتائج البحث

1. أنَّ الإثبات الإلكتروني أصبح وسيلة أساسية لإثبات الحقوق والالتزامات في ظل التحول الرقمي واتساع نطاق المعاملات الإلكترونية.
2. أنَّ الفقه الإسلامي يمتلك من المرونة والأصول العامة ما يستوعب وسائل الإثبات المستحدثة، متى كانت مؤدية إلى إظهار الحق وتحقيق العدل.
3. أنَّ مفهوم البيئة في الفقه الإسلامي مفهوم واسع لا يقتصر على الشهادة والإقرار، بل يشمل كل ما يُظهر الحق ويكشفه، مما يتيح إدراج الأدلة الرقمية ضمن وسائل الإثبات المعتمدة.
4. أنَّ حجية الإثبات الإلكتروني تستندُ فقهيًا إلى عددٍ من القواعد الكلية، من أبرزها: قاعدة «اليقين لا يزول بالشك»، وقاعدة «الوسائل لها أحكام المقاصد»، ومبدأ اعتبار القرائن القوية في الإثبات.

¹ المرجع السابق، ص 202-205.

² قانون مكافحة الجرائم الإلكترونية الليبي رقم (5) لسنة 2022م، المادة (1)، والمادة (42).

5. أنَّ التوقيع الإلكتروني والمحركات الإلكترونية والرسائل الرقمية يمكنُ أن تكتسب قوة إثباتية معتبرة شرعاً وقانوناً متى توافرت فيها شروط الموثوقية وسلامة البيانات وإمكان التحقق من نسبتها إلى أصحابها.
6. أنَّ التشريع الليبي اعترف صراحةً بحجية الأدلة الإلكترونية من خلال قانون المعاملات الإلكترونية رقم (6) لسنة 2022م وقانون مكافحة الجرائم الإلكترونية رقم (5) لسنة 2022م.
7. أنَّ قبول الأدلة الرقمية أمام القضاء يتوقفُ على سلامة إجراءات جمعها وحفظها وتحريزها، بما يضمنُ عدم العبث بها أو التلاعب بمحتواها.
8. أنَّ الإثبات الإلكتروني يسهمُ في سرعة الفصل في المنازعات وحماية الحقوق وتحقيق الأمن القانوني في البيئة الرقمية المعاصرة.

ثانياً: أهم التوصيات

1. تطوير اللوائح التنفيذية والمعايير الفنية المنظمة لجمع الأدلة الرقمية وحفظها وفحصها أمام الجهات القضائية المختصة.
 2. تعزيز البنية التشريعية الليبية بما يواكب التطورات المتسارعة في مجال التقنية والجرائم الإلكترونية.
 3. إنشاء مختبرات جنائية رقمية متخصصة وتجهيزها بالوسائل التقنية الحديثة اللازمة لفحص الأدلة الإلكترونية وتحليلها.
 4. تأهيل القضاة وأعضاء النيابة العامة ومأموري الضبط القضائي من خلال برامج تدريبية متخصصة في مجال الإثبات الإلكتروني والأدلة الرقمية.
 5. تعزيز التعاون بين الجهات القضائية والتقنية والمؤسسات الأكاديمية لتطوير آليات التعامل مع الأدلة الرقمية.
 6. التأكيد على ضرورة مراعاة الضوابط الشرعية المتعلقة بحفظ الخصوصية وصيانة الحقوق عند جمع الأدلة الإلكترونية واستخدامها، تحقيقاً لمقاصد الشريعة في العدل وحفظ المصالح.
- هذا والله أجل وأعلم، وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت 816هـ)، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ / 1983م.
- السرخسي، محمد بن أحمد، المبسوط، مطبعة السعادة - مصر، 1431هـ.
- الكاساني، علاء الدين أبو بكر، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1406هـ.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ.
- ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي (ت 799هـ)، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1406هـ / 1986م.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط4، 1433هـ.
- الزرقا، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، دار القلم، دمشق، ط1، 1998م.
- قانون رقم (6) لسنة 2022 بشأن المعاملات الإلكترونية، الجريدة الرسمية الليبية، العدد (3)، طرابلس.
- فرج، وسيم محمد، "حجية الكتابة الإلكترونية في القانون الليبي"، مجلة الحق للعلوم الشرعية والقانونية، كلية القانون، جامعة بني وليد، ليبيا، العدد (2)، 2023م.
- العربي، مصطفى إبراهيم، دور الدليل الرقمي في الإثبات الجنائي، مجلة البحوث القانونية، جامعة مصراتة، 2023م.
- بحيح، بشير الشعاب، إجراءات جمع أدلة الإثبات في الجرائم الإلكترونية في القانون الليبي، مجلة الشريعة والقانون، الجامعة الأسمرية الإسلامية، 2025م.



- نويرات، فرج عبد الواحد، أحكام الدليل الجنائي الإلكتروني في التشريع الليبي، مجلة الأستاذ، جامعة الزيتونة، 2024م.
- تيار، محمد، مدى حجية المحرر الإلكتروني في مجال الإثبات في القانون الليبي، مكتبة عين الجامعة، 2019م.
- عبد الحميد، أحمد أبو عيسى، مدى حجية المحررات الإلكترونية في الإثبات في القانون المدني الليبي، مكتبة عين الجامعة، 2019م.
- القانون رقم (5) لسنة 2022 بشأن مكافحة الجرائم الإلكترونية، الجريدة الرسمية الليبية، العدد (15).
- القانون رقم (6) لسنة 2022 بشأن المعاملات الإلكترونية، الجريدة الرسمية الليبية، العدد (3).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ)، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1428هـ.
- العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار المعارف، بيروت.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، مكتبة القاهرة، ط1، 1388هـ.

بحث بعنوان :

موانع الصلح في المعاملات المالية عند المالكية

دراسة تحليلية

mpediments to Settlement in Financial Transactions According to Maliki
Jurisprudence

إعداد :

د. محمد سليمان آدم

Dr. Mohammed Suleiman Adam

أستاذ مشارك بقسم الفقه وأصوله

كلية الشريعة والقانون

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

Associate Professor of Fiqh and the Al-Fiqh principle Department

Faculty of Sharia and Law

The Islamic University of Al-Sayyid Mohammed Bin Ali Al-Senussi

mohammed.s.amraj@ius.edu.ly

المراجعة اللغوية: (الباحث)

المخلص :

تناولت الدراسة أهم الموانع التي لا يجوز معها الصلح في المعاملات المالية، والتي تعتبر من قبيل الحيل الممنوعة عند الفقهاء، لما فيها من تغرير وجهالة، ومنفعة في قرض، وقد جاءت الدراسة في مقدمة ومبحثين، تضمن المبحث الأول : مفهوم الصلح وحكمه وأقسامه وما يجوز فيه، أما المبحث الثاني : فقد احتوى على القواعد التي تمنع الصلح، مع تعليل المنع في كل صورة تضمنتها القاعدة، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات .

الكلمات المفتاحية : صلح ، موانع ، الجهل ، الصرف .

Abstract

This study examines the major impediments that render reconciliation (ṣulḥ) impermissible in financial transactions. These impediments are regarded by Islamic jurists as prohibited legal stratagems (hiyal) due to the elements of uncertainty, deception, and ambiguity they entail. This study adopts an analytical methodology and organized into an introduction and two main sections. The first section discusses the concept of reconciliation (ṣulḥ), its legal ruling, its categories, and the cases in which it is permissible. The second section addresses the legal principles and rules that prevent the validity of reconciliation in financial transactions. The study concludes with a summary of the main findings and recommendations.

Keywords: Reconciliation (Ṣulḥ), Impediments, Ignorance (Jahālah), Currency Exchange (Ṣarf).

المقدمة:

الحمد لله على نعمه الواسعة ، وأفضاله العظيمة ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

إن المعاملات المالية بين العباد ، هي عصب العلاقة بينهم وهي المحرك الرئيس لشؤون حياتهم، وإذ تتنوع هذه المعاملات وتتعدد صورها وأنماطها وتداعياتها، مما قد يؤدي إلى النزاع والخصومة أحياناً.

ولما للشريعة الإسلامية من دور فعال، وأساس متين في تنظيم شؤون الناس ومعاملاتهم، بما لا يدفعهم إلى الظلم، أو العدوان، أو استغلال حاجات بعضهم البعض، إذ أن من مقاصدها حفظ المال وصيانه.

أقرت الشريعة مبدأ الصلح بين المتنازعين في كل الأحوال، وخاصةً التنازع في المعاملات المالية.

ورغم أن الشريعة أقرت الصلح في المنازعات المالية، وجعلته جائز إلا أنها قيدته بأن يكون صلحاً سامياً، لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً، فضبطته تصويراً، وتديلاً، وحكماً، وأقساماً وأنواعاً.

ومع ذلك كله جعلت لهذا الصلح موانعاً تحول دون قيامه وإمضائه، وقد صرح بها المذهب المالكي وهو موضوع بحثنا هذا لتسليط الضوء عليه، وبيانها، وإظهاره لحاجة الناس إليه اليوم، لما للمنازعات من شيوع، وللمصالحين والموفقين من أهمية وضرورة، فوجب إبراز هذا الجزء من الفقه، في بحث عنوانه "موانع الصلح في المعاملات المالية عند المالكية".

- أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في تسليط الضوء على قضية من قضايا الصلح في المعاملات المالية، وبيانها، لما لها من علاقة بجواز الصلح من عدمه.

- أهداف البحث:

بيان موانع الصلح عند المالكية، وإبرازها، وإجمالها في دراسة تخصصها، وكذلك تقديمها لكل من يتصدر المصالحة بين المتنازعين لتتضح له جلية، ليميز بها جواز الصالح من عدمه.

- مشكلة الدراسة:

تتمحور مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات الآتية:

- هل الصلح جائز في كل الأحوال؟

- هل توجد صور تمنع قيام الصلح، وما العلة في هذه الموانع؟

- الدراسات السابقة:

حقيقة أن موضوع الصلح تناوله الكثير من الباحثين، لأهميته، ولكنهم يسلطون جل تركيزهم على الصورة العامة للصلح وأقسامه، والصلح في الخصومات كالإرث والقصاص، ووجدت بعض الدراسات التي تناولت الصلح في المعاملات المالية من أهمها:

1- أحكام الصلح وأثره في فض النزاعات في الشريعة الإسلامية- والقانون الوضعي، د. أحمد على معتوق، مجلة كلية الآداب، جامعة المرقب، العدد 8.

وقد تناولت هذه الدراسة مفهوم الصلح، وحكمه، ومشروعيته، وخصائص عقد الصلح، وشروطه وأركانها، وأنواع الصلح، والجرائم التي يكون فيها، وأدلة الصلح، وموانع الصلح. ودراستي تختلف عنها في أن الدراسة فصلت في موانع الصلح وأبرزتها منفردة لما لها من أهمية في تعليل المانع .

2- عقد الصلح في المعاملات المالية (في الفقه الإسلامي) إعداد صلاح عودة سمحان، أطروحة لاستكمال متطلبات الماجستير، بجامعة النجاح الوطنية 2006م.

وقد تناولت هذه الدراسة مفهوم عقد الصلح وما يتعلق به والمعاملات المالية أو أحكام الصلح في المعاملات المالية، ولم تتطرق هذه الدراسة إلى موانع الصلح. بينما تركز دراستي على موانع الصلح عند المالكية وإبرازها وبيانها.

- خطة البحث:

تكونت هذه الدراسة من مبحثين، المبحث الأول تناولت فيه مفهوم الصلح وحكمه وأقسامه، وقد جاء في مطلبين، أما المبحث الثاني فقد تناول القواعد الحاكمة لموانع الصلح عند المالكية.

المبحث الأول: الصلح مفهومه وحكمه وأقسامه

المطلب الأول: مفهوم الصلح وحكمه ودليله:

الصلح في اللغة من صَلَحَ: والصلاح ضد الفساد، صلح يَصْلَحُ وتصلح صلاحاً وصلوحاً، والصلح تصالح القوم بينهم⁽¹⁾.

وهذا المعنى اللغوي حقيقةً فيه، إذ أن ما يفسد بين القوم من أمر يستعان في التوفيق بينهم ووقع الخصومة بالصلح، ويطلق على هذا الأمر الصلح، وعلى القائمين به بالمصالحين، ومن بينهم الخصومة وما فسد من الأمر بالمتصالحين.

- الصلح اصطلاحاً:

قال ابن عرفة: الصلح انتقال عن حقٍ أو دعوى بعوض لرفع نزاعٍ أو خوف وقوعه⁽²⁾. ومما تعقب على هذا التعريف أن الصلح ليس انتقالاً، بل هو معاوضة، وبهذا لا يجب التسليم بأن الصلح انتقال عن حق، ولكن تصريح ابن عرفة بعبارة أن الصلح انتقال عن الحق، ليدخل فيه الصلح على الإقرار، وقوله "أو دعوى" ليدخل صلح الإنكار، وتصريحه يقول "بعوض" متعلق بالانتقال ليجمع المعنى المسلم به عند الفقهاء، وهو معنى المعاوضة⁽³⁾.

قال الرصاع: "والانتقال عن الحق إنما هو سبب عن الصلح أو مسبب"⁽⁴⁾.

- حكمه: الصلح حكمه الجواز، وفي جملته مندوب لما فيه من خير بين العباد ودفع للخصومة وصيانة للمجتمع من الأحقاد والإفساد، ولكن قد يختلف حكمه بحسب عواضه، فيكون مكروهاً إذا وقعت في أركانه شبهة أسلفني وأسلفك.

¹- لسان العرب مادة صَلَحَ 516/2.

²- شرح حدود ابن عرفة 406.

³- ينظر: شرح التلغين للمازري 1056/2، مدونة الفقه المالكي وأدلته للحبيب بن طاهر 441/5، لباب اللباب في بيان تضمنته أبواب الكتاب، للقصي 234، المقدمات الممهدة لابن رشد 156/2، الجامع بين الأمهات لابن الحاجب 584/2، الذخيرة للإمام القرافي 344/5.

⁴- شرح حدود ابن عرفة 406.

ويكون ممنوعاً إذا وقع الصلح على الإقرار بما لا تصح المعاوضة به لو حصل الصلح بحرام في حق المتصالحين ، فسخ لما فيه من مخالفة كونه أحل حراماً وهذا منافي للصلح ابتداءً لأن الصلح من شروط قيامه أن لا يحل حرام قط ولا يحرم حلالاً⁽¹⁾ .

- دليله:

الصلح بين المسلمين فيما يحصل من خصومات أو نزاعات أو دعاوى جائز والدليل على جوازه الكتاب والسنة.

أما من الكتاب:

قوله تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ)⁽²⁾ ووجه الدلالة تصريح القرآن الكريم بكلمة إصلاح، وتخصيص الإصلاح بين الناس، وهذا دليل على أن الإصلاح بين الناس من أعظم الأمور التي يقوم بها الإنسان، وأن يتكلم فيها وجعلها الله عز وجل من القربات كالصدقة والمعروف، وذلك لأنها من دفع المفاسد ورفع النزاع، وتأليف القلوب قال أبو عبدالله القرطبي "قوله تعالى: (أو إصلاح بين الناس) عام في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شيء يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين"⁽³⁾، ولما لفاعله بحقه من أجر عظيم وفضل كبير عند الله⁽⁴⁾ .

وكذلك قوله تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا)⁽⁵⁾ وهذا أمر بالقيام على الإصلاح بين المتنازعين، ورأب الشقاق بين أبناء الأمة.

وهذه الآيات تحدثت عن الإصلاح بين الناس والإصلاح عام في كل المنازعات الأموال والأنفس وأن هذا الإصلاح لا يكون إلا بالعدل، والعدل يوافق روح الشريعة ومقاصدها وهذا ما سيثبتته دليل السنة على الصلح .

1 - ينظر أبواب الباب للفقي 234.

2- النساء، 114.

3 - الجامع لأحكام القرآن 384/5 .

4 - ينظر : بحر العلوم، للسمرقندي 338/1، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 112/2.

5- الحجرات، 9.

أما من السنة:

فقوله -صلى الله عليه وسلم- "الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً..."⁽¹⁾.

ووجه الدلالة في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نص على الصلح وعلى جوازه بين المسلمين، إلا أنه قيد هذا الجواز بأن لا يحل هذا الصلح ما حرم الله، ولا يحرم ما أحل الله عز وجل وهذا شرط في كل صلح، وهنا تجدر الإشارة إلى أن المتصالح يجب عليه أن ينفي الظلم، لما فيه من حرمة، فيجب أن يقع الصلح بين المتخاصمين بالترضي وعدم الظلم لأحد الأطراف بالتخويف أو التهويل أو بالحياء.

وأما من فعله -صلى الله عليه وسلم- فقد ورد عن كعب بن مالك أنه تقاضى ابن أبي حردر ديناً كان له عليه، في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو في البيت، فخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إليهما، حتى كشف سجد حجرتيه، فنادى كعب بن مالك فقال "يا كعب" فقال لبيك يا رسول الله فأشار بيده أن ضع الشطر، فقال كعب: قد فعلت يا رسول الله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قم فاقضه⁽²⁾.

ووجه الدلالة في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ما سمع النزاع والخصومة بين الاثنين حتى باشر المصالحة بينهم، ويظهر أن النبي قد علم ما عليه ابن أبي حردر من حاجة وعجزه عن الوفاء بدينه فأشار لكعب أن يضع شطر الدين تخفيفاً على ابن أبي حردر ورضي كعب بذلك محبة في النبي -صلى الله عليه وسلم-، وبذلك أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- ابن أبي حردر بالقضاء لذلك الدين، وهذا دليل على جواز الصلح بين الناس.

- أركانه : للصلح ثلاثة أركان :

¹ سنن الترمذي، باب ما ذكر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الحديث 1352، 626/3، قال عنه الترمذي هذا الحديث حسن صحيح.

² صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب الصلح بالدين والعين، 2710، 188/3.



أولاً : المصالح وهو من تتحقق فيه أهلية المعاملة ، ويجوز للرجل أن يصالح عن غيره وإن لم يأذن له .

ثانياً : المصالح به وهو كل ما يصح أن يكون ثمناً في البيع .

ثالثاً : المصالح عنه : وهو مال وعيب في المعاملات المالية، دم في الجراح أو الأنفس .

قال القفصي " المال يعتبر فيه ما يحل ويحرم ، فلو كان له طعام من سلم فصالحه على رأس ماله ، وفارقه قبل القبض لم يجز "(1) فحتى المصالح عنه يجب فيه اعتبار الحل والحرمة كما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم .

- ما ينقص الصلح وما لا ينقضه :

للصلح أحوال إذا توافرت ينقض الصلح ولو حصل ، وهي :

1- إذا أقر الظالم منهما بالحق بعد الصلح ، فللمظلم نقضه واسترجاع حقه لأنه كالمغلوب عليه(2) .

2- إذا قامت بينة للمظلوم منهما بالحق ولم يعلمها حال الصلح .

3- إذا وجد وثيقة بعد الصلح فيها دينه الذي أنكره المدعى عليه .

4- إذا كان المدعى عليه مقراً بالحق سراً وينكره بين الناس وشهدت بينة على ذلك وتسمى هذه البينة بينة الاسترعاء(3).

أما إذا علم المدعي بالبينة على المدعى عليه. وصالح ولم وذلك لبعد منال هذه البينة فلا ينقض الصلح بناءً عليها، كذلك لا ينقض الصلح لو قال المدعي لي وثيقة بحقي وطلب المدعى عليه الإتيان بها، فادعى ضياعها منه(4) .

¹- لباب اللباب في بيان ما تضمنه الكتاب 235.

2 - الفقه المالكي وأدلته للحبيب بن طاهر 450/5 .

3 - المصدر السابق 450/5 .

4 - ينظر المصدر نفسه 451/5.

المطلب الثاني: أقسام الصلح وما يجوز فيه:

ينقسم الصلح إلى ثلاثة أقسام وهي الإقرار والإنكار والسكوت وهذه الأقسام الثلاثة تجري في عدة أنواع وهي البيع أو الإجارة أو الهبة⁽¹⁾.

أولاً- الإقرار:

يجوز الصلح على الإقرار، لأن الإقرار ظاهر، وهو إقرار المدعي عليه، وهذا الإقرار يوجب عليه ما ادعى به، وهذا يجري فيه إما البيع إن كان المدعي به ذاتاً، أو الإجارة إذا كانت المدعى بها منفعة، أو الهبة إذا كانت المدعى بها بعضاً منه وقد اشترط مالك في الذات المدعي بها شروط للبيع وانتفاء موانعه⁽²⁾ في الصلح على غير المدعى به بيع لذات المدعى به، إن كان المعوض عنه ذاتاً.

ثانياً- الإنكار:

وهو إنكار المدعى عليه، وهذا النوع جائز عند المالكية وكذلك الحنفية ولا يجوز عند الشافعية⁽³⁾، والذي عليه المالكية جوازه، وتعليل ذلك أن كل صلح جاز مع الإقرار جاز مع الإنكار، وما يستفاد من قوله -صلى الله عليه وسلم- "الصلح جائز بين المسلمين وهذا عام في الجواز". قال ابن القاسم لم أسمع في الإنكار شيئاً إلا أنه مثل الإقرار⁽⁴⁾.

ثالثاً- السكوت:

وهو الصلح على سكوت المدعى عليه من غير إقرار ولا إنكار، ولأن الساكت ينزل بمنزلة المنكر حكماً إلى أن تسمع عليه البينة وجميع ذلك داخل في معنى (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)⁽⁵⁾. وتجري في الأقسام الثلاثة السابقة أقسام الصلح العملية وهي بيع أو إجارة أو هبة.

¹ - ينظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير 309/3.

² - ينظر المدونة 371/4، التاج والإكليل للمواق 6/7.

³ - ينظر بدائع الصنائع للكاساني 39/6.

⁴ - المدونة الكبرى 371/4.

⁵ - النساء، 128.

فالبائع صالح على غير المدعى به، بيع لذات المدعى به، إن كان المعوض عنه ذاتاً سواء كان المدعى به معيناً أم لا⁽¹⁾.

والإجارة إن كان المصالح به منفعة، وهي بذلك يشترط فيها شروطها. والهبة وذلك بأن يكون الصلح على بعض المدعى به، فهو هبة للبعض والمترك وإبراء من المدعى من ذلك البعض، وهذا كما ذكر من ضمن الأقسام الثلاثة السابقة.
ما يجوز في الصلح:

يجوز في الصلح عدة أمور لا تعتبر مانعاً من إمضائه وقبوله.

1- يجوز الصلح عن دين بشي يباع به ذلك الشيء: أي ما ينفع ببيعه به وذلك على سبيل المعاوضة وهذه المعاوضة يجب أن تتنفي فيها أوجه الفساد، من فسخ الدين في دين والنسا وبيع الطعام قبل قبضه والصرف المؤخر، وعدم جهالة المدعى بقدر المصالح عنه⁽²⁾.

2- يجوز الصلح على ذهب بورقٍ والعكس، ولكن ذلك لا يتم إلا بشرطين وهما: أن يحل المصالح عنه والمصالح به، وأن يعجل المصالح به⁽³⁾.

3- يجوز الصلح عن عرض معين ادعاه على صاحبه، أو عن طعام معين غير المعاوضة وذلك بعين ذهب أو فضة أو بطعام مخالف للطعام الذي صلح عنه أو يعرض مخالف لما صلح عنه⁽⁴⁾.

4- يجوز الصلح على الافتداء بشيء من يمين توجهت على المدعى عليه المنكر.

أما ما لا يجوز في الصلح فهو ما سيأتي بيانه في مبحث موانع الصلح على التفصيل.

¹ - مدونة الفقه المالكي وأدلته للحبيب بن طاهر 446/5.

² - ينظر مدونة الفقه المالكي وأدلته 446/5.

³ - ينظر الكافي في فقه أهل المدينة المالكي لابن عبد البر ص 451.

⁴ - ينظر مدونة الفقه المالكي وأدلته 447/5.

المبحث الثاني: موانع الصلح في المعاملات المالية

موانع الصلح جزئية مهمة في المعاملات المالية الإسلامية، لما نراه اليوم من توسع كبير في المؤسسات المالية، وبين الأفراد، في التعامل بكل الصورة الممكنة للمعاملات المالية اليومية، وغير اليومية، مما يترتب على ذلك الكثير من الخصومات بين المتعاملين، مؤسسات أو أفراد مما يدفعهم إلى الاتجاه إلى الصلح أو التحكيم كما يسمى عند البعض، لذلك وجب الإشارة إلى هذا الجانب المهم من الفروع الفقهية لبيان أهميته وما يترتب عليه، فقد استقر الأمر عند المالكية على أن الصلح وإن كان جائزاً بأقسامه جميعها، وأنه تجوز فيه بعض الأمور منها ما ذكر سابقاً إلا أنه توجد صور ممنوعة لا يجوز الصلح بها لاجتماع ما يحرم المعاملة فيها من غرر وجهالة، وغيرها مما يمنع منه البيع أو تخالف شروط الإجازة.

وقد جمعها الشيخ الدردير في نظم وبذلك بقوله "أن مواقع الصلح سبعة جمعتها في قولي

موانع الصلح جهل حُطّ ضع ونسا * تأخير صرف وتسليف بمنفعة

بيع الطعام بلا قبض فجملتها * سبغ عليك بها تحظى بمعرفة"⁽¹⁾.

وبذلك تنحصر موانع الصلح في سبعة وهي كما يلي:

أولاً- الجهل بالمصالح به والمصالح عليه:

ثانياً- قاعدة حط الضمان وأزيدك:

ثالثاً- قاعدة ضع وتعجل:

رابعاً- قاعدة ربا النساء:

خامساً- قاعدة الصرف المؤخر أو تأخير الصرف:

سابعاً- قاعدة بيع الطعام قبل قبضه:

سادساً- قاعدة سلف جر نفعاً:

¹ - بلغة السالك لأقرب المسالك "حاشية الصاوي على الشرح الصغير للشيخ الدردير على أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك"

أولاً- الجهل بالمصالح به والمصالح عليه:

لا يجوز الصلح بمجهول جنساً أو قدراً أو صفةً لأنه بيع وإجارة أو ابراء فلا بد من تعيين ما صالح به، وإذ إن الجهل بالبيع يفسد البيع فلزم أن يكون المصالح به والمصالح عليه معلوماً مصوناً لأن من شروط جواز الصلح أن يكون معاوضة يصلحها ما يصلح البيع ويفسدها ما يفسده⁽¹⁾

ثانياً- قاعدة حط الضمان وأزديك:

وهي بمعنى تأجيل الدين الذي حال أجله مع زيادة في قيمته، أو زيادة في حفظه بعد تعجيله، وهذه الصورة ربوية محتومة عند المالكية، وعليه فالصلح على هذه الصورة صلح ممنوع غير جائز لما فيها من الربا، لأنه داخل في معنى سلف جر نفعاً، وهذا مختص بغير العين إذ لا ضمان في العين ومن ذلك تصلحه على عشرة أثواب لشهر اثني عشر نقداً⁽²⁾.

ثالثاً- قاعدة ضع وتعجل:

وهي أن يضع من الدين الذي عليه شرط تعجيل سداذه، كأن يكون لشخص على آخر دين إلى أجل فيصالحه على إسقاط بعضه ويأخذ بعضه، مثل أن يكون عليه مائة إلى شهر فيقول له رب الدين عجل لي خمسين وأنا أضع عنك خمسين.

فلذلك لا يجوز الصلح بثمانية نقداً عن عشرة مؤجلة لما فيها من ضع وتعجل⁽³⁾ وهذا كله قبل حلول الأجل فلو كان بعد حلول الأجل جاز صلحاً، وللأسف أرى كثرة هذه الصورة في زماننا، فترى المقرض (الدائن) يرغب في استرجاع ماله من المدين لأي سبب إما للدخول في مشروع ما أو لشراء عرض مغري أو أي أمر يدفع إلى استرداد ماله قبل الأجل المحدد، فيغري المدين بكونه لو أرجعت ما عليك من دين أضع عنك قيمة كذا فيرغب المدين في ذلك لما فيها من نقص في قيمة الدين وهذا حرام لا يجوز .

رابعاً- قاعدة ربا النساء:

وربا النسيئة هو الزيادة مع تأخير، والنسيئة تمنع الصلح، لأنها من المحرمات في المعاوضات، والصلح أصله معاوضة، فلا يجوز الصلح على تأخير مقابل زيادة، وذلك لما فيها من تحليل لمحرّم

¹ - ينظر مدونة الفقه المالكي وأدلته 449/5.

² - ينظر شرح الزرقاني على مختصر خليل 5/6، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب 263/6.

³ - بلغة السالك لأقرب المسالك للساوي 410/3، الشامل في فقه الإمام مالك لبهرام الدميري 670/1.

وهذه مخالفة لأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخروج عن هديه، وتستخدم هذه الصورة أيضاً في كثير من المصالحة بغير علم بحرمتها وذلك بأن يتحجج الدائن بأن سوف يعطل المبلغ عند المدين حيناً من الزمن ، وعليه فمن حقي أن أطلب زيادة لهذا الأجل وهذه صورة محرمة قطعاً أيا كان نوع الصلح لصراحة الربا فيها .

خامساً- قاعدة الصرف المؤخر أو تأخير الصرف:

فلا يجوز الصلح بدراهم عن دنانير مؤجلة لما فيه من الصرف المؤخر، ولا عكسه وعلته أن من شروط معاوضة الصرف التقابض وهذا التقابض منفي عن الصلح لوقوع التأجيل فيه، عليه يكون الصرف المؤخر أو عكسه مانع من موانع الصالح.

سادساً- قاعدة سلف جر نفعاً:

السلف إذا جر نفعاً يعتبر من المعاملات المحرمة الممنوعة اتفاقاً لأنه عين الربا، فعن فضالة بن عبيد قال "كل قرض جر منفعة فهو وجه من وجوه الربا"⁽¹⁾ وبناءً عليه إذا جرى الصلح على منفعة فهو باطل لمنع ذلك، فلا يجوز، وإنما وجدت علة المنفعة منع ذلك ابتداءً، ويرى غير المالكية بجواز إسقاط الدين المؤجل ببعضه حالاً مع الإقرار والإنكار.

قال ابن القيم: " للناس فيه ثلاثة أقوال أحدها: أنه لا يصح مطلقاً، وهو المشهور عن مالك؛ لأنه يتضمن بيع المؤجل ببعضه حالاً، وهو عين الربا، وفي الإنكار المدعي يقول: هذه المائة الحالة عوض عن مائتين مؤجلة، وذلك لا يجوز، والقول الثاني أنه يجوز؛ لأن هذا عكس الربا"⁽²⁾، ثم يعلل ابن القيم جواز ذلك وأنه عكس الربا بقوله: "فإن الربا يتضمن الزيادة في أحد العوضين في مقابلة الأجل، وهذا يتضمن براءة ذمته من بعض العوض في مقابلة سقوط الأجل، فسقط بعض العوض في مقابلة سقوط بعض الأجل، فانتفع به كل واحد منهما، ولم يكن هنا ربا لا حقيقة ولا لغة ولا عرفاً، فإن الربا الزيادة وهي منتفية ههنا، والذين حرموا ذلك إنما قاسوه على الربا ولا يخفى الفرق الواضح بين قوله: " إما أن تربني وإما أن تقضي " وبين قوله: عجل لي وأهب لك مائة، فأين أحدهما من الآخر؟ فلا نص في تحريم ذلك ولا إجماع ولا قياس صحيح.

¹ - السنن الكبرى للبيهقي الحديث 10933، 573/5، مصنف ابن أبي شيبة الحديث 20690، 327/4.

2 - إعلام الموقعين عن رب العالمين 287/2

والقول الثالث: يجوز ذلك في دين الكتابة، ولا يجوز في غيره، وهو قول الشافعي وأبي حنيفة. قالوا: لأن ذلك يتضمن تعجيل العتق المحبوب إلى الله، والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم، ولا ربا بين العبد وبين سيده؛ فالمكاتب وكسبه للسيد، فكأنه أخذ بعض كسبه وترك له بعضه¹.

هنا يفرق ابن القيم في مسألة النفع الناتج عن هذه الصورة ويقول بعد حرمتها إذ هي من الحيل الجائزة وأن النفع المدعى فيها والذي يحرمها قد انتفى عنها لانتفاع الطرفين، إلا أن ما عليه المالكية أصوب بالنظر إلى أن قبول النفع أساس للمقترضين من باب تحليل ما حرم الله وفتح للذرائع سابعاً - قاعدة بيع الطعام قبل قبضه:

لا يجوز بيع الطعام قبل قبضه إلا إذا كان سَلماً فلو كان قرضاً جاز، ومن ذلك فلا يجوز الصلح على بيع الطعام قبل قبضه إن كان سَلماً قال المازري: "لا يجوز الصلح بعرض لأنه بيع طعام قبل قبضه إذا كان ذلك استقر في الذمة من سلم لا من قرض"⁽²⁾.

وهذا لما استقر رأي المالكية على أن الصلح هو عبارة عن معاوضة وضعوا المالكية القواعد الحاكمة للمعاوضة والتي تعتبر هي مدار التحريم والربا.

لتصبح هذه القواعد السبع هي علة المنع من الصلح لما فيها من جهالة وغرر وربا واستغلال، لأن أصل الصلح لا بد أن تتحقق معه العدالة وينتفى عنه الظلم.

وكذلك لما نص عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الصلح يجب أن لا يحرم حلالاً ولا يحل حراماً.

1 - المصدر نفسه 287/2.

² - شرح التلخيص 1088/2.

الخاتمة

من خلال هذا البحث يمكن الوصول إلى النتائج الآتية:

- 1- أن الصلح جائز بشرط أن لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً.
- 2- أن فقهاء المالكية قرروا الأقسام الثلاث للصلح الإقرار والانكار والسكوت.
- 3- أن الانكار والسكوت يجرى مجرى الإقرار.
- 4- أن موانع الصلح سبعة موانع تجرى فيها العلة على التحريم لأن أصل الصلح عندهم معاوضة.
- 5- أن موانع الصلح هي الجهل، حط الضمان وازيدك، صنع والعجل، ربا النساء، الصرف المؤخر، والسلف إذا جر نفعاً، وبيع الطعام قبل قبضه، وجميعها العلة فيها التحريم.

- التوصيات:

- 1- الاهتمام بالجزئيات التي تهم أحوال الناس اليوم وإظهارها.
- 2- تسليط الضوء على ما يفسد المعاملات لكثرتها وتعددتها في زماننا.

قائمة المراجع :

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية ، دار ابن الجوزي ، القاهرة مصر 2012م .
- بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، تحقيق محمود مطرجي، ط1، دار الفكر ، بيروت لبنان 1997م.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني ت587هـ، ط2، دار الكتب العالمية، 1406-1986م.
- بلغة المالك الأقرب الممالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير للشيخ الدردير، لأبي العباس أحمد الصاري المالك ت1241هـ، دار المعارف.
- التاج والإكليل لمختصر خليل، لمحمد بن يوسف أبو عبد الله المواق ت897هـ، ط1، دار الكتب العلمية، 1416هـ-1994م.
- التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، لخليل بن إسحاق الجندي ت776هـ، تحقيق د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، ط1، مركز نجيبويه 1429هـ-2008م.
- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط2 ، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1964 م ،
- الجامع بين الأمهات، لأبي عمرو عثمان المعروف بابن الحاجب، تحقيق أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه ، القاهرة مصر 2010م.
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد بن أحمد الدسوقي ت1233هـ، دار الفكر.
- الذخيرة في فروع المالكية، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، تحقيق محمد بو خبزة، ط1، دار الغرب الإسلامي- بيروت لبنان 1994م.
- سنن الترمذي، للمحمد بن عيسى بن الضحاك الترمذي ت279هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر محمد فؤاد عبد الباقي، ط2، مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ-1975م.

- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين البيهقي ت458هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية بيروت، 1424هـ-2003م.
- الشامل في فقه الإمام مالك، لبهرام بن عبد الله الدميري الدمياني ت805هـ، ضبط د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، ط1، مركز نجيبويه 1429هـ-2008م.
- شرح التلقين، لأبي عبد الله محمد من علي المازري ت526هـ، ط1، دار القرب الإسلامي، 2008م.
- شرح الزرقاني على مختصر خليل، لعبد الباقي بن يوسف الزرقاني ت1049هـ، ضبط وتصحيح عبد السلام أمين، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1422هـ-2002م.
- شرح حدود بن عرفة لأبي عبد الله محمد الرصاع ت894هـ، ط1، شركة القدس القاهرة، 1430هـ، 2009م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.
- : فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت 1414.
- الفقه المالكي وأدلته، للحبيب بن طاهر، ط1، مؤسسه المعارف، بيروت، 1430هـ، 2009م.
- الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، لأبي عمر يوسف بن عبد البر الغرناطي، ط3، منشورات محمد بيضون دار الكتب العالمين بيروت، 1422هـ/2002م.
- لباب الباب في بيان ما تضمنته أبواب الكتاب، محمد بن عبد الله بن رشد البكري القفصي ت736هـ، ط1، 2003م.
- لسان العرب محمد بن مكرم ابن منظور ت711هـ، ط3، دار صادر بيروت، 1414هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، ط1، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، 1422هـ.



- المدونة الكبرى لإمام دار الهجرة مالك بن أنس، رواية سحنون التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم ت191هـ، تحقيق عامر الجزار، عبدالله المنشاوي دار الحديث، القاهرة، 1426هـ-2005م.
- المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة العباسي ت235هـ، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة الرشد الرياض، 1409هـ.
- المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمّهات المسائل المشكلات، لمحمد بن أحمد ابن رشد ت520هـ، زكريا عميرات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2002م.

بحث بعنوان :

أسباب ودوافع الانتحال عند مرجليوث وطه حسين دراسة نقدية تحليلية

Causes and Motives of Plagiarism according to Margoliouth and Taha
Hussein: A Critical Analytical Study

إعداد:

أ. ضياء الدين جمال حماد

Mr.Diaa al-Din Jamal Hammad

محاضر مساعد بكلية القرآن الكريم وعلومه

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

Assistant Lecturer Sayyid Muhammad ibn Ali al-Senussi Islamic University

Faculty of the Holy Qur'an and Its Sciences

dhyauldin.j.alamismaery@ius.edu.ly

ملخص البحث:

هذه الدراسة تتناول موضوع الانتحال عند مرجليوث في كتابه أصول الشعر العربي، وطه حسين في كتابه في الأدب الجاهلي، وبيان آرائهم والقواعد التي أصلوها في هذه القضية، وردود النقاد عليهما، وإبطالهم ما جاءوا به، وترجع أهمية البحث إلى أهمية القضية المدروسة، والتي لها أثر واضح بشعر وتراث العرب.

الكلمات المفتاحية: الإنتحال، المستشرقين، مرجليوث، طاه حسين

Abstract:

This study examines the issue of plagiarism (al-intihal) in the works of Margoliouth, specifically in his book The Origins of Arabic Poetry, and Taha Hussein in his book On Pre-Islamic Literature. It highlights their perspectives and the principles they established regarding this issue, while also exploring the critics' responses and their refutation of these claims. The significance of this research stems from the importance of the subject matter, which has a profound impact on Arabic poetry and heritage.

• المقدمة:

تعد قضية الانتحال في الشعر الجاهلي من أكثر القضايا النقدية إثارة للخلاف في العصر الحديث، فقد أحدثت ثورة نقدية أعادت قراءة التراث برؤية أخرى، وبرز في هذا السياق اسمان شكلا الأساس في دائرة الخلاف، وهما: المستشرق الإنجليزي مرجليوث، وعميد الأدب العربي طه حسين.

ورغم اتفاقهما في الشك بنسبة الشعر الجاهلي، إلا أن بواعث هذا الشك اختلفت باختلاف المرجعية الثقافية والمنهجية لكل منهما، تأتي هذه الدراسة النقدية التحليلية للبحث عن دوافع الانتحال لدى الرجلين، وردود بعض النقاد المنهجية عليهما.

• أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى:

- 1 . تقديم بحث موجز من خلال عرض أهم دوافع مرجليوث وطه حسين في قضية الانتحال، وعرض ردود بعض النقاد التي تنصر صحة نسبة الشعر لقاتليه.
- 2 . بيان آراء النقاد في قضية الانتحال، ودور هذه الآراء في خدمة الشعر الجاهلي.

• أسباب اختيار الموضوع:

- 1 . الرغبة في توفير الطرق الواضحة لدراسة القضايا النقدية القضايا النقدية، عن طريق العرض والردود.
- 2 . ارتباط طه حسين ومرجليوث وآرائهم بأهم القضايا النقدية، وما أحدثوه من ضجة في الخلاف، مما ساعدت في البحث والتنقيح في نسبة الشعر الجاهلي، ومدى صحته.
- 3- الإلمام بشيء من ردود النقاد والمستشرقين ودوافعهم، وموقفهم من تراث العرب.

• أهمية الدراسة:

- 1- ترجع أهمية البحث إلى أهمية القضية المدروسة والدفاع عن نسبة الشعر الجاهلي وصحته خدمة للتراث العربي.
- 2- تيسير الوصول إلى مجموع كلام النقاد في الموضوع الواحد.

- 3- تسليط الضوء على هذه القضية المهمة والوصول إلى أحسن طرق العرض في المباحث النقدية. 4- 4 قضية الانتحال من أهم القضايا التي تدور في فلك الدراسات النقدية، ومعلوم مركزيتها في التراث العربي.

• تساؤلات الدراسة:

- 1- هل يمكن إنتاج منهج نقدي واضح من خلال عرض الآراء الدائرة من ثمرة الخلاف؟

- 2- ما جدوى استنطاق التراث العربي من خلال الإمام بالقضايا النقدية؟

- 3- هل هناك فروق حادة بين منهج النقاد، أم كلها تصب وتدور حول منهج واحد؟

• المنهج المتبع:

سأنهج في هذه الدراسة طريقة جمع أهم النصوص التي ذكرها مرجليوث وطه حسين، وبيان آراء بعض النقاد في الرد عليهم، واختصار فحوى كلامهم، بما يؤديني إليه نظري؛ لاجتناء الأنسب وإطراح ما عداه.

❖ خطة البحث:

- مقدمة: وقد تقدمت:
- المبحث الأول: وفيه مطلبان: التعريف بمرجليوث وطه حسين، تعريف الانتحال لغة واصطلاحاً:
- المطلب الأول: تعريف مختصر بمرجليوث وطه حسين.
- المطلب الثاني: تعريف الانتحال لغة واصطلاحاً.
- المبحث الثاني: وفيه مطلبان: دوافع الانتحال عند مرجليوث وطه حسين:
- المطلب الأول: أهم دوافع الانتحال عند مرجليوث في كتابه أصول الشعر العربي.
- المطلب الثاني: أهم دوافع الانتحال عند طه حسين في كتابه في الأدب الجاهلي.
- خاتمة: عرضت فيها أهم النتائج.

المبحث الأول

التعريف بمرجليوث وطه حسين ، تعريف الانتحال لغة واصطلاحاً

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف مختصر بمرجليوث وطه حسين:

أولاً: التعريف بمرجليوث:

هو دافيد صموئيل مرجليوث ابن حزقيال الإنجليزي البروتستانتى: من كبار المستشرقين. من أعضاء المجمع العلمي العربى بدمشق، والمجمع اللغوى البريطانى، وجمعية المستشرقين الألمانية. ولد في لندن سنة 1858 وتوفي فيها سنة 1940. تعلم في جامعة أكسفورد، وعين أستاذا للعربية فيها سنة 1899 م. وعمل في مجلة الجمعية الآسيوية الإنجليزية، وترأس تحريرها، ونشر فيها بحثاً منها (فهارس) لديوان أبي تمام، وألف بالعربية كتاب (آثار عربية شعرية) وامتاز بكثرة ما نشره من مؤلفات العرب، كمعجم ياقوت (إرشاد الأريب) و (الأنساب) للسمعاني، و (ديوان ابن التعاويذي) و (حماسة البحتري)، و (رسائل أبي العلاء المعري) مع ترجمتها إلى الإنجليزية. وله في لغته كتب عن الإسلام والمسلمين، لم يكن فيها مخلصاً للعلم، على الرغم من توسعه في معرفة المسلمين وأدبهم.⁽¹⁾

ثانياً: التعريف بطه حسين:

طه بن حسين بن علي بن سلامة، الدكتور في الأدب: من كبار المحاضرين ولد سنة 1889، وجدد مناهج، وأحدث ضجة في عالم الأدب العربي. ولد في قرية (الكيلو) بمغاغة من محافظة المنيا (بالصعيد المصري) وأصيب بالجذري في الثالثة من عمره، فكف بصره. وبدأ حياته في الأزهر (1902 - 08) ثم بالجامعة المصرية القديمة. وهو أول من نال شهادة (الدكتوراه) منها (1914) بكتاب (ذكرى أبي العلاء - ط) وسافر في

(1) الأعلام للزركلي، ج2، ص329-330.

بعثة إلى باريس فخرج بالسوربون (1918) وعاد إلى مصر، فاتصل بالصحافة. وعين محاضرا في كلية الآداب بجامعة القاهرة.

ثم كان عميدا لتلك الكلية فوزيرا للمعارف. وفي هذه البرهة تمكن من جعل التعليم الثانوي والفني مجانا. وكان من أعضاء المجمع العلمي العربيّ المراسلين بدمشق ثم رئيسا لمجمع اللغة بمصر. وأقبل الناس على كتبه. ومن المطبوع منها (في الأدب الجاهلي) و (في الشعر الجاهلي) و (حديث الأربعاء) ثلاثة مجلدات، و (قادة الفكر) و (على هامش السيرة) ثلاثة أجزاء، و (مع أبي العلاء في سجنه) و (مع المتنبي) جزآن و (أحاديث) و (الأيام) وكان قد شغف بالأدب اليوناني في صباه وترجم بعض آثاره ككتاب (نظام الأثينيين لأرسطو) و (آلهة اليونان) و (صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان) وله (فلسفة ابن خلدون) و (دروس التاريخ القديم) و (رحلة الربيع والصيف) وقد ترجم كثير من كتبه إلى عدة لغات وعينته جامعة الدول العربية رئيسا للجنة الثقافية فأدارها مدة، توفي سنة 1973.⁽¹⁾

المطلب الثاني

تعريف الانتحال لغة واصطلاحاً.

أولاً الانتحال في اللغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور " نحل جسمه، ونحل ينقل، وينحل نحولا، فهو ناخذ: ذهب من مرض أو سفر والفتح أفصح، وانتحل فلان شعر فلان إذا ادعا أنه قائله، وتتحله ادعاه وهو لغيره، ونحله القول ينحله نحلا نسبه إليه ونحله القول أنحله نحلاً بالفتح: إذا أضفت إليه قولاً قاله غيره، وادعيته عليه، ونحل الشاعر قصيدة إذا نسبت إليه ".⁽²⁾

(1) الأعلام للزركلي، ج3، ص331-332.

(2) لسان العرب لابن منظور مادة نحل

ثانياً الانتحال في الاصطلاح:

جاء في معجم المصطلحات أن الانتحال " هو أن يأخذ الشاعر كلام غيره، بعد علمه بنسبته له، بلفظه كله ومن غير نضير لنظمه أو أن يأخذ المعنى، ويبدل الكلمات كلها أو بعضها أو ما يراد بها".⁽¹⁾

ويمكننا إيجاز مفهوم الانتحال بأنه نسبة الشعر لغير قائله، سواء أكان ذلك بنسبة شعر رجل إلى آخر، أو أن يدعي الرجل شعر غيره لنفسه، أو أن ينظم شعراً وينسبه لشاعر أو غيره، وقد فطن علماء العربية إلى هذه الظاهرة، إذ يؤكد ابن سلام الجمعي ذلك يقول: " فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شِعْرَ شعرائهم، وما ذهب من ذكر وقائعهم، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقلوا على ألسنة شعرائهم، ثم كانت الرواة بعد، فزادوا في الأشعار التي قيلت. " ⁽²⁾

المبحث الثاني

دوافع الانتحال عند مرجليوث وطه حسين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهم دوافع الانتحال عند مرجليوث في كتابه أصول الشعر العربي

يقرر مرجليوث بأن الشعر يجب أن يحفظ إما بالرواية، أن بالكتابة، ويستبعد أن يكون قد حفظ بالرواية لأسباب:

- يستوجب أن يكون حفظ الشعر وجود مجموعة من الرواة مهمتهم الحفظ، وهو ينكر ذلك.
- إن الإسلام يجب ما قبله، والقرآن ذم الشعراء، وهذا سبب قوي لنسيان الشعر
- إن الأشعار كانت تتغنى بانتصارات بعض القبائل على الأخرى، والإسلام جاء لتوحيد العرب ونبذ العصبية القبلية. ⁽³⁾

(1) معجم المصطلحات العربية مجدي وهبة وكامل المهندس 410.

(2) طبقات فحول الشعراء، ج1، ص46.

(3) ينظر: أصول الشعر العربي، لمرجليوث، ص417-418

يقرر مرجليوث أن القبائل قد حفظت أمجادها عن طريق الشعر ، والإسلام ينبذ التعصب لغير الإسلام، قرر أيضا أن القرآن ذم الشعراء ، وهذا أيضا فيه نظر؛ لأن القرآن ذم أصحاب الغواية والضلال من الشعر ، ولا يخفى علينا أن النبي ﷺ أجاز الشعر ، ودافع الشعراء عن الإسلام كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة.

- ينفي أيضا أن يكون قد حفظ بالكتابة؛ لأن القرآن ينفي أن يكون للجاهليين كتاب، والشعر الذي قيل إنه جاهلي ، هو مرحلة تالية للقرآن؛ لأن في القرآن سجعا، وبعض الآيات فيها وزن، فينبغي أن يكون الشعر تطورا للقرآن لا سابقا عليه.
- يرى أن الإسلام حدث عظيم، وانفصال عن الماضي، ولم يكن الإسلام متسامحا مع الوثنية، بينما نجد في الشعر وثنية، فكيف يحفظون أشعارا تمجد نظاما أبطله الإسلام، أيضا اللغة فاللهجات بين القبائل متعددة ، والشعر جاء يلغة القرآن⁽¹⁾.

وقد رد أمير البيان شكيب أرسلان على ما قرره مرجليوث، إذ يقول: " والحق أن مرجليوث لكونه إفرنجيا صار يميز الشعر المصنوع على لسان الجاهلية من الشعر الجاهلي الأصلي، وأنه صار يظهر له فيهما ما يخفى على مثل سيبيويه والخليل والفراء والأخفش والمبرد وابن جني وأبي على الفارسي والزمخشري، وأقرانهم ممن لا يحصيهم عدد ولا يحويهم بلد ، وهم جهابذة العربية، وصيارف اللغة الذين يعرفون صحيحها من بهرجها، وأصيلها من هجينها، وإذا تليت عليهم القصيدة عرفوا من نسجها من أول بيت فيها ، وذلك لشدة مرانهم هذا الأمر، لكونهم وقفوا أنفسهم على خدمة اللغة، وأنفقوا جواهر أرواحهم من المهود إلى اللحد في تتقادها، وعاشوا بها وماتوا عليها، ونخلوها وعجنوها وطبخوها، وجعلوها قوتهم الدائم فامتزجت بلحمهم." ⁽²⁾

وحاول الكثير من النقاد القدامى والمستشرقين أصحاب الإنصاف والفهم العميق كالمستشرق ليال، دفع هذه الشبهة، فهو يرى أن الرواة كخلف الأحمر وحماد لم يكونا وحدهما رواة للشعر، بل كان هناك كثير من الرواة، وإذا ثبتت زيادة في بعض الأبيات

(1) ينظر: أصول الشعر العربي، لمرجليوث، ص 417- 418- 423- 424.

(2) الشعر الجاهلي، أمنحول أم صحيح النسبة، لشكيب أرسلان ص 16.

فلن تكون إلا محاكاة لما هو صحيح ثابت، ومن إفراط الخيال أن نظن أن معظم القصائد منحوالة في عصر متأخر، ومن تأليف شعراء عاشوا تحت ظروف مغايرة عن الحياة البدوية في الصحراء، وتكذيب حماد أنه وضع أشعارا كما يرى مرجليوث وطه حسين لا يعصف الشعر بالكلية، وإنما بما تجرأ على زيادته الراوي.

يرى ليال أيضا أن الشعر الجاهلي مملوء بالفاظ عدت غريبة على علماء العصر الأموي، إذ كانت تنتمي إلى مرحلة لغوية أقدم من عصرهم، وقد اختلف شراحهم فيها اختلافا واضحا، فكيف تكون القصائد مصنوعة في عصرهم، ويرى أيضا أن شعر القرن الأول يتضمن وجود هذا الشعر الجاهلي وسبقه عليه، فقد استمر الأخطل وجريير والفرزدق وأمثالهم يتبعون تقاليد الجاهليين، دون أن تكون بينهم فجوة، وقد ذكروهم في أشعارهم صراحة مما يدل على وجود هذا الشعر. (1)

المطلب الثاني

أهم دوافع الانتحال عند طه حسين في كتابه في الأدب الجاهلي:

لم يكن طه حسين أول باحث في العصر الحديث، بحث في صحة الشعر الجاهلي وأسباب الانتحال فيه، فقد سبقه المستشرق الألماني (تيودور نيلدكه) سنة 1861 أي قبل (طه حسين) بخمس وستين سنة، ثم تلاه (ألفرت) سنة 1872 أي بعده بإحدى عشرة سنة من خلال نشره لكتاب (العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين).

رأى أن هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين يظهر الحياة غامضة خالية من الشعور الديني القوي والعاطفة الدينية، وإلا فأين تجد شيئا من هذا في شعر امرئ القيس، أو طرفة، أليس عجيباً أن يعجز الشعر الجاهلي كله عن تصوير الحياة الدينية للجاهليين؟ وأما القرآن فيمثل لنا حياة دينية قوية تدعو أهلها إلى أن يجادلوا عنها ما وسعهم الجدل.

ويرى أن هؤلاء القوم ليسوا من الجهل والغباوة والغلظة والخشونة بحيث يمثلهم هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين، كلا لم يكونوا جهالا ولا أغبياء، ولا غلاظا، ولا أصحاب حياة خشنة حافية، وإنما كانوا أصحاب علم وذكاء، وأصحاب عواطف رقيقة وعيش فيه لين ونعمة. (2)

(1) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي لناصر الدين الأسد، ص، 368-369-370-372.

(2) في الأدب الجاهلي، طه حسين ص80.

وهنا يقرر طه حسين أن الشعر الجاهلي منحول بالكلية، وقد استدعى النقاد للرد عليه، يقول الخضر حسين: " صحيح أن في الشعر الجاهلي تزويرا، وهو ما لا يختلف فيه النقاد القدامى والجدد، أما أن يكون التزوير قد استحوذ على الشعر الجاهلي بأسره، أو أتى على الكثرة المطلقة؛ بحيث يكون الصحيح قليلا جدا لا يمثل شيئا، ولا يدل على شيء، فدعوى لا تتكئ على رواية، ولا يقوم بها برهان. " (1)

ومن النقاد العرب الذين ردوا على ما قاله المستشرقون خاصة مرغليوث وطه حسين شكيب أرسلان، حيث قال: نسأل طه حسين ومرغليوث من الذي قام بهذا العمل كله بعد الإسلام ، ومن الذي نظم هذه الألف من القصائد ، وألقى هذه المسحة مسحة الجاهلية، حتى خفي أمر إحداثها بعد الإسلام حتى على أعلم علماء اللغة، ونسألهم أن يتفصلا علينا بالتبيين متى وقع هذا النظم على ألسن الجاهليين، وفي أي حقبة من حقبة الإسلام؟ فإن لهذه المسألة مكانا خاصا من الأهمية؛ لأنه من المعلوم أن شعر الجاهلية هو الذي منه شواهد النحو والصرف واللغة، وأنه الحجة التي يستشهد بها عند التصحيح، ولماذا خفي على أئمة اللغة وعلمائها. (2)

(1) موسوعة الأعمال الكاملة، لمحمد الخضر حسين، ج13، ص373.

(2) الشعر الجاهلي، أم منحول أم صحيح النسبة، ص49- 555.

الخاتمة

- أبرز ما توصل إليه البحث من النتائج:

إن ما ورد من آراء حول قضية الانتحال كما أورد مرجليوث وطه حسين ، ليست على إطلاقها؛ لأن كثيرا من النقاد وكذلك بعض المستشرقين أصحاب نظرة الإنصاف قد نقضوها، بالأدلة والحجج العقلية والنقلية.

إن ظاهرة الانتحال كانت ظاهرة خطيرة مست الشعر العربي القديم، لولا فضل النقاد القدامى، وكذلك المحدثين الذين لم يألوا جهداً في إثبات صحته. إذا سلمنا بأن هناك رواة يجيدون ويحفظون الشعر، ويحاكون القصائد القديمة، فإن ذلك يستدعي وجود نص أصيل قد تمت محاكاته.

إن ظاهرة الانتحال ليست ظاهرة نقدية خاصة، اختص بها الشعر العربي، بل هي ظاهرة تجاوزت الحدود، وقد عززت الشك عند النقاد، مما أدى إلى الاعتقاد بأن معظم ما وصلنا منحول، ، وهذا الأمر استدعى ضرورة الدفاع عن صحة هذا الشعر. إن أسباب ودوافع الانتحال كثيرة ألقت فيها كتب عديدة ، ولكننا أتينا بأهمها لمناسبة وجازة البحث، وليطلع القارئ على شيء من هذه الردود، باختصار غير مغل.

فهرس المصادر والمراجع

- أصول الشعر العربي، لمرجليوث، مجلة الجمعية الآسيوية، ط1.
- الأعلام ، للزركلي، دار الملايين، ط 15- 2002.
- الشعر الجاهلي أمنحول أم صحيح النسبة، لأمير البيان شكيب أرسلان، تحقيق : محمد العبد، دار الثقافة - الطبعة الأولى: 1980.
- طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني جدة ، 1980.
- في الأدب الجاهلي، لطف حسين، دار المعارف، الطبعة الرابعة، 1927.
- لسان العرب لابن منظور، تحقيق: محمد الصادق العبيدي، وأمين عبد الوهاب ، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى.
- مصادر الشعر الجاهلي، لناصر الدين الأسد، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة ، 1988.
- معجم المصطلحات العربية، لمجدي وهبة وكامل المهندس، الطبعة الأولى.
- موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، لمحمد الخضر حسين، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى: 2010 م.

بحث بعنوان :
فن الوصف في العصر الأندلسي
شعر الشريف الغرناطي (760 هـ) أنموذجا

The Art of Description in the Andalusian Era: The Poetry of Al-Sharif Al-Gharnati (760 AH) as a Model

إعداد:

د. منير سعيد حامد سعيد

Dr. Moner saeed hamed

أستاذ مشارك بكلية اللغة العربية

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي - ليبيا

Associate Professor at the Faculty of Arabic Language, Department of Literature, Sayed Muhammad bin Ali Al-Senussi University, Libya:

Moner20022002@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث المعنون بـ (فنّ الوصف في العصر الأندلسي، شعر الشريف الغرناطي (60 هـ) أنموذجاً) لدراسة فنّ بارزٍ ومهمّ من فنون الأدب العربي، ، وكيفية وصف الشاعر لما حوله من الأحداث و التفاعل معها، وتأمله ووصفه للطبيعة ومالها من صلة بحياته اليومية، حيث سيُسلط البحث على النصوص الإبداعية عند شاعر أندلسي مُجيدٍ ومُكثّرٍ، وهو الشريف الغرناطي، وكيفية تعامله مع الطبيعة؛ ممثلة بحيوانها ورياضها وديارها وأطلالها، وكيف أفادَ منها ووظفها توظيفاً ملائماً لأغراضه الشعرية، وأيضاً كيف أنه اعتنى بكلّ صغيرة وكبيرة من المشاهد القريبة إلى نفسه وعواطفه، واستلهم أو استحضّر الألفاظ والمعاني وأفادَ من استخداماتها، ممّا يدلّ على قدرة كبيرة في التحكم بالألفاظ، وبراعة في التشبيه والوصف.

الكلمات المفتاحية بالعربية:

فنّ الوصف- الشعر الأندلسي- الشريف الغرناطي- الطبيعة في الشعر الأندلسي- الصورة الشعرية

Abstract:

This research, entitled "The Art of Description in the Andalusian Era: The Poetry of Al-Sharif Al-Gharnati (60 AH) as a Model," aims to study a prominent and important art form within Arabic literature. It examines how poets describe and interact with surrounding events, and their contemplation and description of nature and its connection to daily life. The research will focus on the creative texts of a prolific and accomplished Andalusian poet, Al-Sharif Al-Gharnati, and how he engaged with nature, represented by its animals, gardens, homes, and ruins. It will explore how he utilized and appropriately employed these elements for his poetic purposes, and how he paid attention to every detail of scenes close to his heart and emotions. The research will also examine how he drew inspiration from and utilized words and meanings, demonstrating a remarkable ability to control language and a skillful command of expression. Simile and description

Keywords:

Art of Description-Andalusian Poetry-Al-Sharif Al-Gharnati -Nature in Andalusian Poetry-Poetic Imagery

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، ملك يوم الدّين، الحمدُ لله ربّ السّماوات والأرض وربّ العرش العظيم، والصّلاة والسّلام على أشرف الخلق وسيّد المرسلين، نبينا محمّد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد..

فإنّ من أبرز السّمات وأوضح الطّواهر في الشعر قديمه وحديثه الامتزاج مع البيئة، والتأثّر بها، فهو صورة حيّة تصف جميع مظاهر الحياة، حيث استوعب الشعراء هذا الامتزاج بأشكاله المتنوّعة ووظفوه في نصوصهم الشعريّة، وظهر امتزاجهم مع البيئة وأصبح ظاهرةً شائعةً وسمّةً بارزةً من سمات الشعر العربيّ، فمن الفنون المتأثّرة تأثّراً كبيراً بالبيئة، فنّ الوصف، حيث شغل الوصف مساحة واسعة من الشعر العربيّ القديم والحديث، فإنّنا لا يمكن أن نقرأ نصّاً شعريّاً إلا والوصف شاخص فيه أو داخل في ثناياه.

فالشّعر في معظمه راجع للوصف، وينصرف الوصف في العموم إلى مظاهر الطبيعة كالصحراء والرمال والجبال، وغيرها، ويمكن أن يصف الشاعر بعض الحيوانات كالإبل والخيّل والغزلان والنعامة والبقر الوحشي وغيرها.

وما من شاعر إلا ولجأ إلى توظيف الوصف في أعماله، بحيث يشكّل نظاماً خاصاً في بنية خطابه الشعريّ، إذ إنّ اتّكاء الشعراء على الوصف وارتباطهم به يُكسب أعمالهم أصالة وتفرّداً، وأصالة الشّاعر وتفرّده يزيد بمقدار غنى شعره بوصف ما حوله والإبداع فيه.

ويُعَدُّ اهتمام الشعراء بتصوير الجانب الماديّ من التغيّرات الجديدة في بيئتهم، من قصور وبيوت ووسائل لهو وتسليه، وهو جانب مهمّ في انتقالهم من بيئة إلى بيئة أخرى، كما حصل مع بعض الشعراء، فبعد أن كانوا يصفون الصحراء وما فيها، انتقلوا فيما بعد لوصف الزهور والأشجار، كما وصفوا وسائل الثقافة وأدواتها، كالكتب والأقلام وغيرها، الأمر الذي جعل لفنّ الوصف بعض الاستقلالية عن غيره من فنون الشّعر، بعد أن كان يأتي في ثنايا القصيدة القديمة، وهو الأمر الذي جعل النقاد يولون عنايتهم بالدّرس والتحليل للوصف كفنّ مستقلّ، ومن أبرزهم قدامه بن جعفر، حيث جعله غرضاً قائماً بذاته، حال الرثاء والهجاء والمديح.

إن الحديث عن التأثير بالبيئة لدى الشعراء حديث يحتاج إلى الكثير من الورقات، وهو كلام معلوم تكلم فيه غير واحد من الأدباء والنقاد، وأفردوا له العديد من المؤلفات، فتحدثوا عن أثر البيئة في الشعراء الجاهليين، وأثرها في شعراء عصر صدر الإسلام، والعصر العباسي، وغيرها من العصور، حتى العصر الحديث، وهو حديث مكرور نجتنب الخوض فيه، وننتقل مباشرة إلى عصر الشاعر المستهدف من هذه الدراسة، وهو العصر الأندلسي.

الوصف في العصر الأندلسي يمكن أن يوصف بأنه ظاهرة، فالشعراء الأندلسيون أغرقوا في هذا الفن، وتقدموا فيه عن غيرهم، فوصفوا وأوغلوا في وصف الطبيعة الغناء التي حباها الله بها، ومن الطبيعي أن ينبري أولئك الشعراء لوصف ما يحيط بهم من رياض وبساتين ومجالس لهو، إذ كانت هناك قصائد موقوفة على هذا الفن فحسب، فغلب عندهم الوصف في أشعارهم واستطاعوا تطويره من كونه وصفاً نقلياً، كما هو شائع عند أكثر الشعراء، إلى كونه وصفاً وجدانياً يمتزج فيه نفس الشاعر، حتى كأنه لا يرى الموصوف بحواسه فقط، بل بقلبه وخياله، كما هو وصف ابن زيدون، وابن خفاجة، للظواهر الطبيعية، والآثار الإنسانية، وغيرهم من الشعراء الأندلسيين، الذين لا يتسع المقام للحديث عنهم وعن قدرتهم في إصابة الوصف، والقدرة على إفراغ حمولاتهم المعرفية والثقافية المختلفة.

تناول الشعراء الأندلسيون في شعرهم جميع الموضوعات، وهي موضوعات تناولها الشعراء من قبلهم، كالمدح، والهجاء، والرتاء، والغزل، والحماسة، وغيرها، إلا أنهم انصرفوا في أغلب شعرهم إلى الوصف، وهذا راجع إلى جمال البيئة الأندلسية؛ طبيعتها، وأنهاها، وقصورها، وجنائنها، وزادوا على وصف النساء أوصافاً أخرى، وتغزلوا بهن، وأوغلوا في وصف كل ما يتعلق بهن.

ولعلمهم تأثروا تأثراً مباشراً بالعرب الفارزين إلى الأندلس من سيوف العباسيين في الحرب التي حصلت في المشرق بين العباسيين والأمويين، ابتداء بعبد الرحمن الداخل، الأمير الأموي الناجي من تلك الأحداث، حيث يصف حاله وشوقه إلى أخته، فيبعث إليها بأبيات تعكس إحساساً عميقاً وسيطرة على اللغة والشعر.

أُفْرِ مِنْ بَعْضِي السَّلَامَ لِبَعْضِي	أَيُّهَا الرُّكْبُ الْمَيِّمُ أَرْضِي
وَفُؤَادِي وَمَالِكِيهِ بِأَرْضِ	إِنَّ جِسْمِي كَمَا تَرَاهُ بِأَرْضِ
وَطَوَى الْبَيْنَ عَنْ جُفُونِي غَمَضِي	فُدِّرَ الْبَيْنَ بَيْنَنَا فَافْتَرَقْنَا

قد قضى الله بالفراق علينا فغسى باجتماعنا سوف يقضي¹.

كذلك له أبيات جميلة يصف فيها نخلة وحيدة في قصره بالرُصافة، وشبهها بنفسه، فالجامع بينها التَّنائي والبُعد عن البنين والأحباب، يقول:

تبدّت لنا وسط الرُصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلتُ شبيهي في التغرّب والنوى وطول التنائي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

إن شعر الوصف عند الأندلسيين لا تكاد تسلم منه قصيدة ولا مقطوعة، فهو متغلغل في نفوسهم، بحيث أصبح جزءاً من تكوينهم، يستطيعون بعده أن يصلوا إلى أساليبهم الخاصة، فيضيفون إليها جديداً، بل ويخرجون بوصفهم إلى باحة التجربة الواسعة في حياتهم.

ونحن في هذا المقام نقدّم دراسة نقدية بعنوان: (فنّ الوصف في العصر الأندلسي، شعر الشريف الغرناطي (60 هـ) أنموذجاً).

وقد جعلنا هذا البحث في مقدّمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

فأمّا التمهيد ففيه ترجمة موجزة للشاعر.

وأما المبحث الأول: بيّنا فيه المدلول اللغوي لكلمة الوصف، ومفهومها في النقد.

بالنسبة للمبحث الثاني: فكان موضوعه: فنّ الوصف في شعر الشريف الغرناطي.

الخاتمة: وتشتمل على أهمّ النتائج والتوصيات.

أهداف وأهمية الدراسة :

يهدف البحث إلى إبراز جهود شاعرٍ مُجيد من شعراء العصر الأندلسي، وعرض سيرة مختصرة له تتضمن شيئاً من أخباره وشعره، مع التركيز على بعض الوصف في شعره، وبذلك تتّضح أهمية الدراسة التي تحاول إلقاء الضوء على جودة شعره، وشيءٍ من موروته الثقافي والأدبي.

¹ - نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، أحمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968م،

المنهج المتبع في إخراج البحث :

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، ثم استخدام المنهج التحليلي لقضية مهمة استفاد فيها الشاعر من جودة شعره وسعة اطلاعه، كما يقوم منهج البحث عن هذه القضية المهمة، مرتباً حسب الدراسة، ومتبعاً فيه الخطوات الآتية:

1. اعتمدت في كتابة الآيات المستشهد بها على رواية حفص عن عاصم، ونسخها في المتن بعدها اسم السورة ورقم الآية.
2. جهود بعض المعجميين في شرح معنى كلمة (الوصف) حسب الترتيب الزمني.
3. كتابة اسم المصدر في الحاشية ثم رقم الجزء والصفحة، دون ذكر باقي البيانات لوجودها في قائمة المصادر والمراجع.
4. وضع هامش للفقرة التي لم تُنقل حرفياً من غير أن توضع بين الأقواس، والاكتفاء بالتهميش فقط، أما إذا نقل النص حرفياً من غير تصرف فيوضع بين قوسين، ويكتب المصدر في الحاشية مباشرة.
5. إذا تكرّر المصدر في الصفحة نفسها يذكر في المرة الأولى باسمه ورقم الصفحة، وفي الثانية يكتب المصدر السابق مع رقم الصفحة.
6. إذا كان المصدر يتكوّن من جزء واحد فيكتب رقم الصفحة مباشرة بعد اسم المصدر، وأما إذا كان المصدر أكثر من جزء فيكتب رقم الجزء والصفحة والفصل بينهما بشرطة مائلة (/).
7. التّخريج من المعاجم بذكر اسم المادّة بدلاً من الصفحة والجزء، وذلك لأنّ كلّ الطّبّعات تتفق في اسم المادّة ، وكذلك التّخريج من كتب المسائل برقم المسألة للسبب نفسه.
8. كتابة الشواهد الشعرية بما ورد في الديوان ثم بما في كتب النّقد، والإشارة إلى رواية الديوان في الهامش إن اختلفت عن رواية النّقاد.
9. نسبة الشواهد الشعرية إلى قائلها، وتخرجها من الدواوين، فإن لم يعرف لها قائل فتخرج بدون نسبة من كتب النحو واللغة والأدب.
10. ترك الترجمة للأعلام من الأدباء والنقاد المشهورين، والاستغناء عنها اجتناباً للإطالة.
11. الاعتماد على الكتب الورقية المطبوعة، ثم الكتب الالكترونية الموافقة للمطبوع، ثم الكتب المصورة على أجهزة الحاسوب والموجودة على الإنترنت بنظام (pdf).

الدراسات السابقة

إنّ هذه الدراسة ليست الأولى من نوعها، بل هناك دراسات تعرّضت لهذا الموضوع، وكلّ واحدة حاولت استقصاء الجانب الذي رآته مهماً وبحاجة إلى دراسة وتمحيص، وهذه الدراسة بدورها حاولت تسليط الضوء على زاوية من شعر الشّريف الغرناطيّ، حيثُ رأى الباحث أنّه بحاجة إلى سبرٍ ومزيد استيضاح. ومن الدراسات التي تناولت شعر الوصف أو الشّاعر وشعره وأفاد منها البحث:

- 1- الوصف في شعر الملك الأندلسيّ يوسف الثالث، هبة إبراهيم منصور، رسالة ماجستير من جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2012م.س
- 2- الخطاب الوصفي في الأدب العربيّ القديم، محمد ناصر العجمي.
- 3- الوصف في الشعر العربيّ في القرن الثاني للهجرة، بسمة نهى الشاوش.
- 4- اتجاهات الشعر الأندلسيّ، نافع محمود البغدادي العراقي.
- 5- الشعر الأندلسيّ وصدى النّكبات، يوسف عيد.
- 6- الأدب العربيّ في الأندلس، عبد العزيز عتيق.

التمهيد

ترجمة الشّريف الغرناطيّ

هو أبو القاسم محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عليّ بن موسى بن إبراهيم بن محمّد بن ناصر بن جنون بن القاسم بن الحسن بن الحسين بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب.

عاش الشّريف الغرناطي في مدينة سبتة المغربية ونشأ بها ، وكان إماماً فاضلاً، أديباً مكثراً، متصرفاً في فنون اللّغة العربية، ساعده على ذلك كون أبيه من علماء سبتة البارزين في الفقه والأدب. عُرف بحسن التّخييل، وجودة المقاصد، وصحّة المعاني، وعذوبة التراكيب، عارفاً بالبديع وأنواعه، وامتاز شعره بالسهولة المفرطة، لسبب طبعيّ، وهو أنه نشأ في بيئة شعرية وأدبية، ومازال الشعر يصعد به حتى عيّن قاضياً بمدينة غرناطة.

وهو ما جعل اسمه مقترناً بهذه المدينة، حتى إنَّ أغلب الكتب التي ترجمت للشَّريف، نسبتَه إلى غرناطة وجعلت اسمه مقترناً بها، فكانت تقول (الشَّريف الغرناطي) وهذه التَّسمية كما ذكرنا جاءت من انتقاله إلى غرناطة، وقيامه بمنصب القضاء فيها¹.

أمَّا سبب ارتحاله عن سبتة إلى الأندلس وهو في عِفْوان شبابه، عدم إنزاله منزلته التي يستحق، وأيضا لم يلق التَّقدير اللائق به، فلم يهنا له في سبتة عيش ولم يطمئن له بال، يقول:

لولا مضاربُ من آل النبيِّ بها وهُنَّ ما هُنَّ من طيب ومن كرم
 نقلت لا جادها صوب الحيا أبداً إلا بناقع سَمٍ أو عبيط دم

التفت الشَّريف في الأندلس إلى التَّدريس وتفرَّغ للإقراء، والتفَّ حوله كثير من الناس، يأخذون منه وينهلون من معرفته، ونال احترامهم وأصبح محطَّ تقديرهم وإعجابهم، فقد كان عالماً وفقياً جليلاً وعلماً بارزاً من أعلام اللُّغة العربيَّة في ذلك العصر².

ومن أبرز تلاميذ الشَّريف، وأشهرهم : لسان الدِّين بن الخطيب، الشَّاعر الأديب، والمؤرخ الكبير ابن خلدون، والوزير الشَّاعر محمد بن يوسف بن زمرك، وأحمد بن حسين المعروف بابن قنفذ صاحب (الوفيات).

أما مؤلفاته فحصرنا معظمها، وهي:

1. التقييد الجليل على كتاب التسهيل.
2. تقييد على درر السمط في خبر السبط لابن الأبار.
3. جُهد المقل (وهو ديوان شعره الذي أهداه إلى تلميذه ابن الخطيب)
4. الدرة النحوية في شرح الأجرومية.
5. رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة.
6. شرح التنبيه لأبي إسحق الشيرازي
7. شرح القصيدة الخزرجية في العروض والقوافي
8. اللؤلؤ والمرجان من بحر أبي البركات بن الحاج يستخرجان.
9. مختصر في الوثائق.

¹ الإحاطة في أخبار غرناطة - لسان الدين بن الخطيب - تحقيق: محمد عبد الله عنان ط1 - 1974م، 185/2

² المصدر السابق.

شعره:

كان الشريف إلى جانب ما ذكر شاعراً مطبوعاً، وله في الشعر -كما يقول تلميذه ابن الخطيب - (الإحاطة): القدر المَعْلَى والحظّ الأوفر والدرجة العليا، ونظمه - كما يقول النّباهي - (تاريخ قضاة الأندلس): كلُّه رائق المعنى صريح الدلالة صحيح المعنى.¹

وديوانه المسمى (جهد المقل) جمعه وعلق عليه : د. أيمن محمد ميدان، ولم نقف عليه بين أيدينا، إلا أننا وقفنا على مقدمته التي قدم بها الشريف ديوان شعره، وضمّنها جملة من بنات أفكاره. وبالنظر إلى ما تتأثر من شعر هذا الرجل في كتابه الموسوم بـ (رفع الحجب المستورة)، فإننا وجدنا أنه طرق معظم الأغراض الشعرية، مثل: المدح والزّناء والغزل والتّشبيب والزّهد والوصف.² وموضوع هذه الدراسة (الوصف) جاء عنده في ثماني مقطوعات لم تتجاوز الواحدة منها عشرة أبيات، حيث وصف دولاب الماء، وناعورة السقي، والزورق، والمنزل، والرمح، ودواة الحبر، وشقائق النعمان، وغيرها.

المبحث الأول

المدلول اللغوي لكلمة الوصف

جاءت كلمة وصف في اللسان، من: وَصَفَ الشَّيْءَ لَهُ وَعَلَيْهِ وَصْفًا وَصِفَةً: حَلَّاهُ، وَالْهَاءُ عَوْضٌ مِنَ الْوَاوِ، وَقِيلَ: الْوَصْفُ الْمَصْدَرُ وَالصِّفَةُ الْحَلِيَّةُ، اللَّيْثُ: الْوَصْفُ وَصْفُكَ الشَّيْءَ بِحَلِيَّتِهِ وَنَعْتِهِ، وَتَوَاصَفُوا الشَّيْءَ مِنَ الْوَصْفِ، وَقَوْلُهُ عَرَّ وَجَلَّ: (وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)³، أَرَادَ مَا تَصِفُونَهُ مِنَ الْكُذِبِ، وَاسْتَوْصَفَهُ الشَّيْءُ: سَأَلَهُ أَنْ يَصِفَهُ لَهُ، وَاتَّصَفَ الشَّيْءُ: أَمَكَنَ وَصْفُهُ⁴. وَاتَّصَفَ مِنَ الْوَصْفِ، وَاتَّصَفَ الشَّيْءُ أَي صَارَ مُتَوَاصِفًا؛ وَوَصَفَ الْمُهْرُ: تَوَجَّهَ لِحُسْنِ السَّيْرِ كَأَنَّهُ وَصَفَ الشَّيْءَ، وَيُقَالُ لِلْمَهْرِ إِذَا تَوَجَّهَ لِشَيْءٍ مِنْ حُسْنِ السَّيْرِ: قَدْ وَصَفَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ وَصَفَ الْمَشْيَ. يُقَالُ: مَهْرٌ حِينَ وَصَفَ، وَوَصَفَ الْمُهْرُ إِذَا جَادَ مَشْيُهُ⁵.

¹ تاريخ قضاة الأندلس - علي بن عبد الله النباهي - بيروت - المكتب التجاري للطباعة والنشر، ص 165

² الإحاطة في أخبار غرناطة، 185/2.

³ الأنبياء، آية 111.

⁴ لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999م، (9/ 356)

⁵ المصدر السابق (9/ 357)

وجاء في حديث عُمرَ، رضي الله عنه: إِنَّ لَا يَشْفَ فَإِنَّهُ يَصِفُ: أَي يَصِفُهَا، يُرِيدُ الثَّوْبَ الرَّقِيقَ
 إِنَّ لَمْ يَبْنِ مِنْهُ الْجَسَدَ، فَإِنَّهُ لِرَقَّتِهِ يَصِفُ الْبَدَنَ فَيُظْهِرُ مِنْهُ حَجْمَ الْأَعْضَاءِ، فَشَبَّهَ ذَلِكَ بِالصِّفَةِ كَمَا
 يَصِفُ الرَّجُلُ سِلْعَتَهُ، وَغُلَامٌ وَصِيفٌ: شَابٌّ، وَالْأُنْثَى وَصِيفَةٌ¹.

وَجَمَعَ الْوَصْفَ: الْأَوْصَافُ، وَجَمَعَ الصِّفَةَ: الصِّفَاتُ، وَبَيَّعَ الْمُواصِفَةَ: أَنْ يَبِيعَ الشَّيْءَ بِصِفَتِهِ
 مِنْ غَيْرِ رُؤْيَا، وَفِي حَدِيثِ الْحَسَنِ: أَنَّهُ كَرِهَ الْمُواصِفَةَ فِي الْبَيْعِ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: هُوَ أَنْ يَبِيعَ مَا لَيْسَ
 عِنْدَهُ، ثُمَّ يَبْتَاعَهُ، فَيَذْفَعَهُ إِلَى الْمُشْتَرِي، قِيلَ لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ بَاعَ بِالصِّفَةِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ وَلَا حِيَارَةَ مُلْكٍ،
 وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: أَوْصَفَ الْغُلَامُ: تَمَّ قَدُّهُ، وَكَذَا أَوْصَفَتِ الْجَارِيَةُ، وَفِي الْأَسَاسِ، أَوْصَفَ: بَلَغَ أَوَانَ
 الْخِدْمَةِ. وَالصِّفَةُ: الْحَالَةُ الَّتِي عَلَيْهَا الشَّيْءُ مِنْ حَلِيَّتِهِ وَنَعْتِهِ، وَأَمَّا الْوَصْفُ فَقَدْ يَكُونُ حَقًّا وَبَاطِلًا،
 يُقَالُ: لِسَانُهُ يَصِفُ الْكَذِبَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا
 حَرَامٌ)² وَهُوَ مَجَازٌ، وَتَوَاصَفُوا بِالْكَرَمِ، وَشَيْءٌ مَوْصُوفٌ وَمُتَوَاصِفٌ، وَمُتَّصِفٌ³.

إِذَا رَأَيْنَا أَنَّ كَلِمَةَ الْوَصْفِ تَدُلُّ فِي الْعُمُومِ عَلَى: ذِكْرِ الشَّيْءِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْهَيْئَاتِ⁴، عِنْدَ
 النَّظَرِ إِلَى الْوَصْفِ قَدِيمًا، نَجِدُ أَنَّهُ أَسْلُوبٌ مَهْمٌ مِنَ الْأَسَالِيبِ التَّعْبِيرِيَّةِ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ يَنْقَسِمُ إِلَى:
 وَصْفٍ خَيَالِيٍّ، وَوَصْفٍ حَسِّيٍّ؛ فَالْوَصْفُ الْخَيَالِيُّ هُوَ: التَّشْبِيهُ وَالِاسْتِعَارَةُ، أَمَّا الْوَصْفُ الْحَسِّيُّ: فَهُوَ
 تَصْوِيرٌ دَقِيقٌ لِلْمَوْصُوفِ، وَيَعْدُ أَكْثَرُ بَلَاغَةً وَجُودَةً وَنَدَرَةً مِنَ الْأَوَّلِ، وَأَكْثَرُ صَعُوبَةً، حَتَّى إِنَّ الشُّعْرَاءَ
 الْقَدَمَاءَ جَاءَتْ مَعْظَمُ أَوْصَافِهِمْ حَسِّيَّةٌ مَادِّيَّةٌ بَعِيدَةٌ كُلُّ الْبَعْدِ عَنِ التَّجْرِيدِ وَالْخِيَالِ، وَهِيَ نَسْخَةٌ مُطَابِقَةٌ
 لِلْوَاقِعِ⁵.

وَبِمَا أَنَّ لِكُلِّ فَنٍّ مَكْتَمَلٍ مَرَاكِلَ يَمُرُّ بِهَا حَتَّى يَصِلَ إِلَى دَرَجَةِ الْكَمَالِ، كَذَلِكَ فَنُّ الْوَصْفِ
 غَيْرُهُ مِنَ الْفُنُونِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَاكِلَ حَتَّى اكْتَمَلَ وَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ، أَجْمَلَ بَعْضُ النُّقَادِ هَذَا التَّطَوُّرَ فِي
 عِدَّةِ مَرَحِلٍ، وَهِيَ:

¹ المصدر السابق.

² سورة النحل، آية 116 .

³ تاج العروس، للزبيدي، تحقيق: مجموعة من المختصين، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت 1965م (24/ 461)

⁴ نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق عبد النعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1956م، ص: 130.

⁵ تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1978م، ص: 81.

المرحلة الأولى: الوصف النقلي.

ويكون باكتشاف التشابه بين مشهدين مختلفين، فيرسم الشاعر المعنى في ذهنه، ويقابله بصورة أخرى رآها ببصره.

والمرحلة الثانية: الوصف المادي.

وهو وصف يقوم على فكرة أو حالة نفسية من جهة، ومشهد حسيّ أو صورة مادية من جهة أخرى. أما المرحلة الثالثة: الوصف الوجداني.

وهذا أرقى مراحل الوصف، لأنّ الشاعر يتخطّى حدود الحسّ، فينتقل إلى نفسه أو ضميره أو شعوره، وينصرف إلى تأويل ما يراه بعد أن تتولاه نفسه وتتحد به ¹.

ويقترص معنى الوصف في اللغة على معنى العناية بالمشهد عناية كبيرة، وتدقيق النظر في المشاهد، والتأمل فيه، ليشمل صفاته وخصائصه، ويحيط بصورته إحاطة تامة، هذا كلّ من غير غلو ولا بالغة ولا إسراف.

فهو مشهدٌ كامل وفرّ له الشاعر كلّ أسباب الصورة الموحية، فيه الجوّ الملائم من المكان والزمان واللّون والحركة، وحتى الصّوت في بعض الأحيان ².

ويعدّ الوصف من الأغراض التقليديّة الشعريّة المتجدّدة، فهو وسيلة متطورة لنقل الأحاسيس والانطباعات تجاه البيئة، وهو شائع عند كلّ الشعراء، ومتفاوت عندهم، فمنهم من برّع في وصف الطّبيعة، ومنهم من برّع في وصف الخيل، ومنهم من برّع في وصف النّاقة، ومنهم من برّع في وصف الخمر وآلتها، ومنهم من وصّف النّساء فأحسن وأجاد.

ولمّا كان الوصف جزءاً طبيعياً من منطق الإنسان، ظهرت حاجة النّفس وفطرتها إلى ما يكشف لها الموجودات، ولا يكون ذلك الكشف إلاّ بتمثل الحقيقة وتأديتها إلى التّصور من طريق السّمع والبصر والفؤاد ³.

¹ فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1978، ص: 8 وما بعدها.

² الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2001، ص 401.

³ تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، الطبعة الثانية، 1974، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 3 / 119.

تظهر أهمية الوصف ومنزلته من الشعر في الطريقة التي اتبعتها العرب في أوصافهم بدلالة الفطرة القويّة، والطبيعة الراقية، وتطبيقهم لوصف الحيوان والنبات، وغيرهما، على علومهم ومعارفهم التي خلّوها بذلك في أشعارهم، لأنّ أخصّ مزايا العلم التدقيق والاستقصاء¹.

كما أنّ أكثر وصف الشعراء إنّما (يقع على الأشياء المركّبة من ضروب المعاني، وكان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره أكثر المعاني التي الموصوف بها مركّب فيها، ثمّ بأظهرها فيه وأولاها به، حتى يحكيه ويمثّله للحسّ بنعته)².

وأحسن الوصف ما يكون صادقاً (إذا خرج من علم، وصرفته روعة العجب، فإن العلم يعطي مادة الحقيقة، والعجب يُكسبها مادة الصّورة الشعريّة)³.

إنّ الأديب أو الشاعر أو البليغ إذا وصف شيئاً بالغ في وصفه، وطلب الغاية القصوى من الموصوف، إن كان مادحاً بالغ في مدحه غاية المدح، وإن كان ذاماً بالغ في ذمه غاية الذمّ. فهو يحاول (تصوير الظواهر الطبيعيّة بصورة واضحة التقاسيم، وتلوين الآثار الإنسانيّة بألوان كافّة عن الجمال، وتحليل المشاعر الإنسانيّة تحليلاً يصل بك إلى الأعماق، إلى غير هاتيك العناصر التي يحتاج وصفها إلى ذوق فنيّ، وتتطلّب الإحاطة بنواحيها والسّم إلى آفاقها وجداناً شاعراً، وإحساساً مرهفاً، وذوقاً سليماً، ككلّ ما يملك على الإنسان المرفه الحسّ إحساسه، ويثير فيه شعوره ووجدانه، وكتلك المناظر التي تخلق لب المتأمل وتملكه، وتأسر بفتنتها المتمعّن وتسحره، فيطيل في قسماتها التأمّل، ويدمن في أجزائها التمعّن، ثم يصوره بعدئذ في الصّورة التي يرتضيها ذوقه، ويقبلها فنّه)⁴.

والمدح من الشعراء هي الذي ينظر إلى ما حوله ببصره وقلبه معاً، فيفيض عليها من شعوره، ويخرجها من إطارها أو شكلها المادّي الخارجيّ، وينيط بها (ذاتاً إنسانيّة تختلج، فالشّعور إذا هو المحرك الأول للوصف الوجدانيّ، وهو الذي ينزع غلاف الأشياء وجمودها، ويبعث فيها المعاناة والحنين، إلا أن هذا الحنين الذي يختلج في نفس الشاعر، يبقى حسّاً وحنيناً داخليّاً قد يعتري الشاعر، كما أنّه يعتري سواه

¹ المصدر السابق، 3/ 120.

² العمدة، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، 1972، دار الجيل، بيروت، لبنان، 295/.

³ تاريخ آداب العرب، 3/ 121.

⁴ الوصف في الشعر الجاهلي، عبد العظيم قناوي، 1/ 42.

من النَّاسِ.... بالشَّعور ليس سوى حالة لا شكل ولا ملامح لها، ينقرض ويزول إذا لم يقدر له الخيال الذي ينزعه، فيغدو صورة بعد أن كان معاناة¹.

المبحث الثاني

فنُّ الوصفِ في شعر الشَّريف الغرناطيِّ.

شَغَلَ الوصفُ مساحةً واسعةً من الشَّعر العربيِّ، وتناوله معظم الشَّعراء، حتَّى إنَّنا لا نكاد نقرأ نصّاً شعريّاً إلا والوصفُ شاخصٌ فيه، أو داخلٌ في ثناياه.

فهو غالباً ما يكون ممتزجاً مع غيره من الموضوعات، ونادراً ما يكون غرضاً مستقلاً بذاته، وهو في الشَّعر الجاهليِّ غالباً منصرف إلى مظاهر الطَّبيعة: كالصحراء، والرَّمال، والجبال، وما شاكل ذلك؛ كالبحر، والحيوانات: كالإبل، والخيول، والغزلان، والنَّعام، والبقرة الوحشي، وغيرها².

وفي العصر العبَّاسيِّ راح الشَّعراء يهتمون بتصوير الجانب الماديِّ من الحضارة الجديدة، حتَّى شمل تصويرهم جميع مظاهر الحياة، من قصور، وبيوت، ووسائل لهو وتسلية، كما وصفوا وسائل الثقافة وأدواتها كالكتب والأقلام، وغيرها.

في هذا العصر - العبَّاسيِّ - استطاع الوصف أن يكون فناً مستقلاً في الشَّعر العربيِّ، بعد أن كان يأتي في ثنايا القصيدة القديمة، وهو الأمر الذي جعل نقَّاد تلك الفترة يولونه عنايتهم بالدَّرس والتَّحليل من جوانب متعدِّدة، وجعله بعضهم غرضاً قائماً بذاته، حال الرِّثاء والهجاء والمديح³.

إذاً فقد عَرَفَ العرب قديماً فنَّ الوصف في أشعارهم، واستطاعوا تطويره من كونه وصفاً نقليّاً، إلى كونه وصفاً وجدانياً يمتزج فيه نفس الشَّاعر، حتَّى كأنَّه لا يرى الموصوف بحواسه فقط، بل بقلبه وخياله، كما هو وصفُ البحتريّ للطَّبيعة، ووصفُ الأشخاص عند ابن الرُّومي، ووصفُ الخمر عند أبي نواس.

¹ فن الوصف، إيليا الحاوي، ص 14.

² الوصف بين الشعر والنثر، عبد الكريم خضير عليوي السعيد، مجلة جامعة ذي قار - كلية الآداب، العدد، المجلد 1،

2011م.

³ المصدر السابق.

إذ اشترط النقاد العرب القدامى (الصدق الفني) على الشعراء عند حديثهم عن العمود الشعري، حيث اشترط هؤلاء النقاد على الشاعر أن يكون وصفه خالياً من المبالغة والغلو (الإصابة في الوصف) حتى لا يخرج شعره عما ألفه العرب، على الرغم من إيمان أغلب أولئك النقاد بأن أعذب الشعر أكذب، الأمر الذي جعل أم جندب تقدم علقمة الفحل على أمريء القيس، لأن الأخير كان صادقاً في وصفه عكس الأول الذي بالغ وكذب.¹

من جهتهم حاول الأندلسيون الإغراق في هذا الفن، ولاسيما في وصف الطبيعة الغناء التي حباهم الله بها، إذ أن من الطبيعي أن ينبري أولئك الشعراء لوصف ما يحيط بهم من رياض وبساتين ومجالس لهو، فكانت هناك قصائد موقوفة على هذا الفن فحسب.²

في الشعر الأندلسي نصوص كثيرة تُعد من الفرائد، تنبض بأحاسيس إنسانية عميقة، وتحتاج لقراءة فاحصة، وهذه النصوص ينتظمها خيط واحد، وتجمعها سمة واحدة، وهي أنها نصوص إنسانية خالدة، تتجاوز حدود أزمنتها، وتترصد أصدائها في كل العصور، وكأنها تخاطبنا اليوم، ففيها حس إنساني عميق، وعاطفة متوهجة، ومعاينة للواقع الإنساني المعاش، حيث يتميز جل الشعراء تلك الحقبة بالحس الإنساني، والحكمة، والقدرة على محاكاة الطبيعة.³

ومن هذا المنطلق فقد أثرت البيئة الأندلسية أفكار كثير من الشعراء في العصر الأندلسي، وعمقت رؤيتهم للأحداث، وأسهمت في تشكيل البناء الفني لديهم، واهتموا كثيراً بما حولهم، وانتقوا ما يلائمها من ألفاظ وتراكيب، واختاروا منها ما يناسب تجاربهم الشعرية، وأولوها تأويلاً خاصاً يلائم طبيعة هذه التجارب، وامتزجت شخصياتهم وتجاربهم امتزاجاً تاماً ومتكافئاً مع تلك البيئة.

ومن بين هؤلاء الشريف الغرناطي، حيث شكّل فن الوصف ملمحاً أسلوبياً خاصاً في خطابه الشعري، يميّز لغة القصيدة وبناءها لديه، فظهر تعالق نصوصه مع كثير الظواهر الطبيعية من حوله. من ذلك قوله واصفاً الشيب، وقد خالط سواد شعره، فابيضت لمّته: وهي : بكسر اللام، شعر الرأس المجاور شحمة الأذن، ولاح الشيب بفوده، وهو: جانب الرأس مما يلي الأذن إلى الأمام.

¹ المصدر السابق.

² المصدر السابق.

³ - قراءة في النص الشعري الأندلسي، فوزي عيسى، دار الثقافة العلمية للطبع والنشر، الإسكندرية، ص/ 4، 5.

دعّني إلى لهُو التصابي وما درث بأنّ زمان اللّهُو عني ذاهب
 فقلتُ لها مالي وللهو بعدما تولّى الصبا وازورّ للغيد جانب
 وقد وخطت بيض من الشعر لمّتي تخيّر أنّ البيض عني رواغب
 ألهو وفجر الشّيب قد لاح بدوّه بفؤدي فقالت: أوّل الفجر كاذب¹

وله في وصف دولابٍ مملوء بالماء، واصفاً هذا الدّولاب، بأوصاف الأجرام الطّبيعية: الكواكب السّائرة،
 والشّمس المشّعة، والنّجوم العديدة :

ومُترعةٍ يغلّ الروض منها إذا علّت من الماء الفرات
 بدا دولابها فلکاً ولاحت بدائرهِ كواكب سائرات
 إذا ما الروض قابلهنّ كانت عليه بكلّ سعدٍ طالعات
 تراها إنّ شعاع الشمس لاقى بياض الماء مشرقة الآيات
 وأعجب أنّهنّ ذوات نوء غزير وهي تغرب خاويات²

ويصف في موضع آخر زورقاً ركبّه في صغره :

وغريبة الإنشاء سرنا فوقها والبحر يسكن تارةً ويموج
 عُجنا نؤمّ بها معاهد طالما كرمت فجاج الأنس حيث نعوّج
 وامتدّ من شمس الأصيل أماننا نور له مرأى هناك بهيّج
 فكأنّ ماء البحر ذائب فضّة قد سال فيه من النّضار خليج³

حيث وصف سیر هذا الزورق على البحر وقت غروب الشمس، وشبّه البحر بلون الذهب وقت هذا
 الغروب المنعكس على البحر لوناً وشكلاً.

وقال يصف ناعورة ماء تسقي الأرض المرتفعة والمنخفضة، وسعادة الأرض بهذه الناعورة:

وذي فلک ما دار إلا قضى بان يُعاد إلى الروض الشباب جديداً.
 تجود بنوء الفرغ فيه كواكب فتسقي وهاداً ريثها ونجوداً

¹ رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة - الشريف السبتي ، مطبعة السعادة - مصر - 1344 هـ ، 30/2.

² رفع الحجب المستورة ، 136/1 - 137.

³ المصدر السابق، 134/1.

إذا الكوكب المائي مِنْهُن قُورنت به انجمُ الأزهار كُنْ سَعُوداً¹

فالوهاد: هو الأرض المنخفضة، والنُّجُود ما ارتفع من الأرض من تلٍّ أو جبل، وقد طابق الشاعر بين الوهاد والنُّجُود.

ومن الوصف الجيد الذي أثرى به الشاعر تجربته الشعريّة، قوله في منزل:

يا راکباً يطوي المطي..... ي به الفلا يبدأ فييدا

متوسداً أعضادها يرمي بها البلد البعيدا

دع عنك أعمال الركا بٍ وخط عنهن القتودا

وانزل به بيتاً لآل البيت بالعلياء شيدا

للضيف فيه حكمه منهم ويولون المزيديا

لم يذخروا عنك الطري ق إذا أتيت ولا التليدا

خلق لهم ورثوه عن عمرو الذي هشم الثريدا²

فهو يحث من يركب المطيّة؛ وهي الدابة: يركب ظهرها من يريد السفر بالبيداء وهي: الفلاة.

يحثهم على النزول بهذا البيت، لما عُرف عن أهله من الكرم والجود، وإكرام الضيف، فأهل هذا المنزل ورثوا هذا الكرم والجود عن عمرو المشهود له بهشم الثريد لأضيافه إكراماً لهم.

إنّ الشريف الغرناطي من الشعراء المميزين الذين أحسنوا التفاعل مع البيئة المحيطة بهم، فالملاحظ عليه أنه لا يصف لأجل الوصف فحسب، بل لما ينطوي عليه الوصف من تصوير صادق، وأبعاد دلالية تعكس موقف الشاعر وتجربته الشعورية.

يقول واصفاً دولا ب السقي، مشبها إياه بأمّ حنون تستهلّ دموعها، أي: (تتساقط)، وهذا الماء يصل إلى المحلّ الجذب من الأرض، فيسقي المرتفع والمنخفض منها، فينجد هذه الأرض ويحيلها خضراء بعد أن كانت جدباء لا حياة فيها :

وذات حنين تستهلّ دموعها سجاماً إذ يحدو ركائبها الحادي

تعجبت أن ليست تريم مكانها ولم تخل من تأويب سير واسناد

وأرصدتها في الرّوض أية عدة فكانت لدفع المحل عنه بمرصاد

¹ المصدر السابق، 1/ 136.

² رفع الحجب المستورة 100/1.

تَخَالَفَ مَاءُ الْمَزْنِ حُكْمًا وَمَاؤُهَا وَكَلَّ عَلَى رَوْضِ الرُّبَا رَائِحَ غَادٍ
 فَيَنْجُدُ هَذَا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتْهِمًا وَذَاكَ تَرَاهُ مُتْهِمًا بَعْدَ إِنْجَادٍ
 لَئِنْ قَذَفْتَ ذَوْبَ اللُّجَيْنِ عَلَى الثَّرَى لَقَدْ خَلَّصْتُهُ الْقَضْبُ حَلْيًا لِأَجْيَادٍ¹

وله في وصف اللّيل وتشبيهه الشّعر به و اشتراكهما في السّواد والطول:

لَيْلٌ وَلَيْلٌ فْفِرْعَ وَارِفٌ وَدُجَى طَالَا فَوَا حَزَنِي مِمَّا أَكَابِدُهُ
 شَاهَدْتُ فِي ذَاكَ بَدْرًا لَا أَهِيْمُ بِهِ وَهَمْتُ فِي ذَا بَدْرٍ لَا أَشَاهِدُهُ²

ويصف في أبيات أخرى زيارة محبوبته له، ومبادلتهما الشكوى إلى آخر الليل، وفراقها مع الصّبح، :

زَارْتُ بِأَكْرَمِ لَيْلَةٍ وَفَى بِهَا حَقَّ الصَّبَابَةِ زَائِرٌ وَمَزُورُ
 نَتَاطَرُ الشُّكُوى وَقَدْ شَرَدَ الْكُرَى عَنَّا فَنَنْجُدُ فِي الْهُوى وَنَغُورُ
 ثُمَّ انْجَلَى الْإِصْبَاحُ فَالْتَفَتَتْ كَمَا يَرْنُو غَزَالُ الرَّبْرِبِ الْمَذْعُورُ
 حَتَّى إِذَا قَامَتْ تَمُدُّ بِنُورِهَا مَتَبَلِّجَ الْإِصْبَاحِ حِينَ يُنِيرُ
 طَارَ الْفَوَادُ فَظَلْتُ أَعْجَبُ وَهُوَ فِي شَرْكَ الْهُوى قَدْ صِيدَ كَيْفَ يَطِيرُ؟³

ونراه يبدع في وصف قطعة مستطيلة من الجلد (دولاب السقي)، وكيف يصب الماء منه، بقدر لا يؤذي :

وَذَاتَ سَيْرٍ إِذَا حَنَّتْ رَكَائِبُهَا حَنَّتْ فِرَاقَتُكَ فِي مَرَأَى وَمُسْتَمَعٍ
 كَأَنَّهَا فَلَكُ دَارَتْ كَوَاكِبُهُ عَلَى الرِّيَاضِ بَنُومٍ غَيْرِ مَنْقَشِعٍ
 تَمَائِلُ السَّحْبِ صَوْبًا بَلْ تَخَالِفُهَا إِذَا اسْتَهَلَّ حَيَا الْهَتَانَةِ الْهَمْعِ
 هَذِي مِنَ الْمَاءِ تُعْلِي كُلَّ مَنْخَفِضٍ وَتَلَكُ تُنْزِلُ مِنْهُ كُلَّ مَرْتَفِعٍ⁴

ويصف ويصور تصويراً دقيقاً رمحاً طويلاً مضروباً من مطل الحديد، وهو وصف دقيق لطول الرمح ونصله، وما يتميز به هذا الرمح إذا استخدمه الرّجل الشجاع المقدّم البطل :

¹ المصدر السابق 136/1.

² رفع الحجب المستورة 35/1.

³ المصدر السابق 39/2.

⁴ رفع الحجب المستورة 136/1.

وأصمَّ ممطول الكُعب إذا اقتضى مُهَجَ الكُماة فَدَيْئُهُ لَا يُمِطُّ
 متوقِّدٌ حتَّى أقولُ أذابلُ بيدي منه أُم ذبالٌ مشعلُ
 لولا التَّهابُ النَّصلُ أَيْنَعُ عُوْدُهُ ممَّا يعلُّ من الدِّماءِ وينهلُ
 فاعجبْ له إِنَّ النَّجِيعَ بطَرْفه رمْدٌ وَلَا يَخْفَى عليه مقتلُ¹

ممَّا سبق يتبيَّن لنا أَنَّ الشَّاعر ينقل صورة حيَّة عن المشاهد التي يشاهدها، وهو نقلٌ يدلُّ على حسِّ مرهفٍ لدى الشَّريف الغرناطيِّ، وهذا أكسب خطابه الشَّعريَّ إضاءةً ولونا من التَّعالي والسمو، ومنحتَه قدراتٍ إضافيةً وفاعليَّةً في إعادة تشكيل الصُّور المشاهدة.

هذه الصُّور أكسبت شعره علاقات متينة، وأمَّدتَه بقيم جماليَّة وشعوريَّة عدة، ونلاحظ ظهور الوصف بشكل واضح عند الشَّاعر، حيثُ يصف ما يتلاءم مع تجربته الشَّخصيَّة، وهذه التَّجارب تحملُ الكثير من المدلُّولات الدِّينيَّة والتَّاريخيَّة، والشَّاعر يصف ما تقع عليه عينُه، أو يخالُجُ إحساسه، ويوظِّفها في أشعاره، ليبين مدى قدرته على التَّشبيه والنَّقل.

إذ إنَّ أغلب أوصافه في شعره مشابهة إلى حدِّ كبير للألفاظ والمعاني القديمة المتداولة والمتعارف عليها بين الشُّعراء والأدباء على حدِّ سواء، وفي مواضع عديدة من شعره يتداخل بقصدٍ أو بغير قصد مع هذه الجُمْل المطروقة عند غالب الشُّعراء، ولكنه يعيد تشكيلها على حسب الوضع الملائم لبيئته المحيطة به.

¹ المصدر السابق 12/2.

الخاتمة

يُستخلص مما سبق حضور فنّ الوصف حضوراً لافتاً في شعر الشّريف الغرناطيّ، و تمثيله مساحةً مهمّةً في شعره ، حيث إنّّه لا يصف لأجل الوصفِ فحسب، بل لما ينطوي عليه الوصف من تصوّر صادق، وأبعادٍ دلاليّةٍ تعكس موقف الشّاعر وتجربته الشعوريّة، فالبحتُ حاول تقديم أبرز مظاهر هذا الفنّ وتجليّاته الإبداعية في شعره.

إنّ براعة الشّريف الغرناطيّ تجلّت في استطاعته تطوير فنّ الوصف من كونه وصفاً نقلياً، إلى كونه وصفاً وجدانياً، تمتزج فيه نفسه، حتى كأنّه لا يرى الموصوف بحواسّه فقط، بل بقلبه وخياله، كما هو وصفه للطبيعة، وللشّيب، ولدواليب السّقي، وللرماح، وللليل، والنّساء، وغيرها.

فالشّاعر صوّر هذه الطّواهر الطّبيعيّة بصورة واضحة التقاسيم، ولوّّن هذه الآثار بألوانٍ جميلة، وحلّل مشاعره تحليلًا يصل بك إلى الأعماق، وهذه كلّها يتطلّب ذوقاً فنيّاً سليماً، ووجداناً شاعراً، وإحساساً مرهفاً. وبما أنّه يملك حسّاً مرهفاً، وذوقاً رفيعاً، فقد أثار ذلك شعوره، وسحرت الطبيعة بصره ولُبّه، وأسّرت المناظر حوله خياله، ففتّن بسحرها، وأطال النّظر بقسماتها، ثم أدمن في أجزائها التّمعّن ، وأطال في جنبّاتها التأمّل، وصوّرها بعدد في الصّورة التي يرتضيها ذوقه، ويقبلها فنه.

المصادر والمراجع

- 1- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي 1978م.
- 2- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، طرابلس، ط1.
- 3- الإحاطة في أخبار غرناطة - لسان الدين بن الخطيب - تحقيق: محمد عبد الله عنان ط1- 1974م.
- 4- إنتاج الدلالة الأدبية، قراءة في الشعر والقصص والمسرح، صلاح فضل، هيئة قصور الثقافة، القاهرة، 1993م.
- 5- تاج العروس، الزبيديّ، تحقيق مجموعة من المختصين، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت 1965م.
- 6- تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف ، دار المعارف، 2003م.

- 7- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، الطبعة الثانية، 1974، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- 8- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1978م.
- 9- تاريخ قضاة الأندلس، علي بن عبد الله النباهي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر.
- 10- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة - الشريف السبتي، مطبعة السعادة - مصر - 1344
- 11- روض الأدب، شهاب الدين أحمد، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة، رقم 1437 أدب.
- 12- الشعر الجاهلي، خصاصه وفنونه، يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2001.
- 13- العمدة، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، 1972، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- 14- فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1978.
- 15- قراءة في النص الشعري الأندلسي، فوزي عيسى، دار الثقافة العلمية للطبع والنشر، الإسكندرية.
- 16- لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999م.
- 17- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، أحمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968م.
- 18- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: عبد النعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1956م.
- 19- الوصف بين الشعر والنثر، عبد الكريم خضير عليوي السعيد، مجلة جامعة ذي قار - كلية الآداب، العدد، المجلد 1، 2011م.

بحث بعنوان :

ثنائية النهار والمساء في شعر إيليا أبو ماضي

قصيدة "المساء" بين تأمل الفناء ودعوة الأمل

The duality of day and evening in the poetry of Elia Abu Madi
The poem "Evening" is between contemplation of mortality and a call for hope
إعداد

أسماء عبدالله عطية الشريف

Mr. Asmaa Abdullah Attia Al-Sharif

محاضر مساعد بجامعة عمر المختار

Assistant lecturer at Omar Al-Mukhtar University

Bdallhasma652@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث قصيدة "المساء" للشاعر اللبناني المهجري إيليا أبو ماضي، بوصفها نصاً شعرياً يؤسس لثنائية كبرى بين النهار بوصفه رمزاً للحياة والفتوة، والمساء بوصفه رمزاً للغروب والكهولة والتأمل الوجودي. وتسعى الدراسة إلى تفكيك هذه الثنائية في مستوياتها المتعددة: الزمنية والطبيعية والنفسية والفلسفية. **الكلمات المفتاحية:** إيليا أبو ماضي - ثنائية النهار والمساء - قصيدة المساء.

Summary:

This research deals with the poem "Evening" by the Lebanese immigrant poet Elia Abu Madi, as a poetic text that establishes a major duality between the day as a symbol of life and youth, and the evening as a symbol of sunset, old age, and existential contemplation. The study seeks to dismantle this dualism at its multiple levels: temporal, natural, psychological, and philosophical.

Keywords: Ilya Abu Madi- the Day–Evening Duality- The Evening Poem (Al-Masaa).

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الظل والحرور، والليل والنهار، وجعل الليل سكناً والنهار نشوراً، والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين.

تظل العلاقة بين الإنسان والزمن واحدة من أكثر العلاقات إشكالية في تاريخ الفكر الإنساني، فالإنسان كائن مؤقت، وجوده معلق بين لحظتين: لحظة ميلاد لا يتذكرها، ولحظة موت لا يستطيع توقعها، وفي هذه الفجوة الزمنية الوجلة، يحاول الإنسان أن يخلق لنفسه معنى، وأن يرتب علاقته بالطبيعة التي تتحرك أمام عينيه في إيقاع أبدي: شروق وغروب، نهار وليل، صيف وشتاء، حياة وموت، وإذا كان الفيلسوف يفكر في هذه الإشكالات بمفاهيم مجردة، فإن الشاعر يعيشها ويعانيها ويحوّلها إلى صور ونغمات وحوارات خيالية.

والشاعر العربي المهجري إيليا أبو ماضي⁽¹⁾ يعد من أكثر شعراء العربية اهتماماً بهذه القضايا الوجودية، بل إنه حوّل شعره كله تقريباً إلى رحلة تأمل في معنى الحياة والموت والأمل واليأس، ممزوجة بنزعة متفائلة نادرة بين شعراء جيله الذين أنهكتهم الحروب والاغترابات. وما يهمنا في هذا البحث هو جانب واحد من جوانب شعر أبي ماضي، لكنه جانب مركزي ومتعاضد: وهو ثنائية النهار والمساء، أو بتعبير أوسع ثنائية الضوء والظلمة، واليقظة والحلم، والشباب والكهولة، والحياة والموت.

⁽¹⁾ وُلد إيليا أبو ماضي عام 1889 في قرية المحيثية بלבنا، ونشأ في أسرة مسيحية عربية، لكن الفقر أجبره على ترك الدراسة مبكراً والهجرة إلى الإسكندرية حيث عمل بائعاً، وقد تعرض لمضايقات في مصر فاضطر للهجرة إلى الولايات المتحدة عام 1912م، واستقر في نيويورك عام 1916م، وتزوج هناك وأنجب ثلاثة أولاد، كان عصامي الثقافة، تأثر بالقرآن والتراث العربي وبشعراء كبار كأبي العلاء المعري وأحمد شوقي، وأسس عام 1919م مجلة "السمير" التي ظل يصدرها حتى وفاته، وشارك في تأسيس "الرابطة القلمية" مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة عام 1936م، ويُلقب بـ"شاعر التفاضل والأمل" لما حملته قصائده من رؤية فلسفية متفائلة، ومن أبرز دواوينه: "تذكار الماضي" (1911)، و"إيليا أبو ماضي" (1916-1919)، و"الجدول" (1927)، و"الخمائل" (1930)، حيث تطور شعره من التقليد إلى التجديد والانفتاح على الإنسان والطبيعة، ثم عاد إلى لبنان عام 1948م، وكُرّم بوسام الأرز اللبناني ووسام الاستحقاق السوري، ثم عاد إلى نيويورك وتوفي هناك إثر مرض القلب ليلة 13 نوفمبر 1957م.

ينظر: جعفر الطيار الكتاني، الدراسات الأدبية (إيليا أبو ماضي) دراسة تحليلية، مكتبة الخانجي للنشر، مصرط، ص9

لقد عنون أبو ماضي إحدى قصائده الأكثر شهرة وعمقاً بـ "المساء"، وليس بـ "الليل" مثلاً، وهذا اختيار دقيق: فالمساء ليس ليلاً مكتملاً، بل هو لحظة التحول، ولحظة تخلي النهار عن عرشه السماوي، ولحظة تذبذب النفس بين البقاء والرحيل، وبين رؤية الأشياء بوضوح واختفاء في الضباب. إن "المساء" في هذه القصيدة ليس وقتاً من أوقات اليوم فحسب، بل هو حالة وجودية، فهو ساعة الصفاء الفلسفي، وهو كذلك لحظة الكآبة التي تأتي "كأنها لا تأتي".

لقد قرأ كثير من النقاد قصيدة "المساء" بصفتها أنموذجاً للفلسفة التفاضلية عند أبي ماضي، لكن القليل منهم من التفت إلى البنية الدرامية العميقة للقصيدة، وإلى الحوار الذي يقيمها الشاعر مع متخيلة أنثوية هي "سلمى"، والتي هي في واقع الأمر ليست فتاة بعينها، بل هي صورة من صور الذات الشاعرة نفسها، أو هي صورة لكل إنسان تقلبه الأقدار من مرحلة الطفولة المشرقة إلى مرحلة الكهولة القلقة، فالقصيدة تقدم لنا شخصيتين في شخص واحد: سلمى التي رأيناها في الضحى مرحلة عابثة، وسلمى التي نراها في المساء وازدانة رأسها في يديها، وهذا الانشطار الداخلي هو ما يجعل القصيدة حواراً مسرحياً صامتاً، بل هو ما يمثل الصراع الإنساني الأبدي بين الاندفاع الحيوي نحو الحياة والسكون التأملي نحو الموت، ولعل أعظم ما حققه أبو ماضي في هذه القصيدة هو أنه لم يكتف بتصوير هذه الحالة الانشطارية، بل تجاوزها إلى حل شعري رفيع، يتمثل في رفض الاستسلام لليأس، والتأكيد على أن الجمال مستمر، وأن الحياة تستحق أن تُعاش بكل تفاصيلها، حتى في أحلك الليالي.

ينبني هذا البحث على عدة أسئلة مركزية:

- كيف يبني إيليا أبو ماضي ثنائية النهار والمساء في قصيدته، وما الدلالات الرمزية التي يحملها كل قطب من قطبي هذه الثنائية؟
- ما طبيعة الحوار الشعري بين الأنا الشاعرة والمخاطبة الأنثوية "سلمى"، وكيف يعبر هذا الحوار عن صراع داخلي أعم؟
- هل تقدم القصيدة رؤية متشائمة أم متفائلة، وكيف تتعامل مع إشكالية الفناء والزوال؟
- ما الدور الذي تلعبه الصور الشعرية والإيقاع والموسيقى في بناء هذه الرؤية؟

ويقع هذا البحث في مبحثين رئيسيين:

يتناول المبحث الأول البناء الدرامي والثنائيات المهيمنة في القصيدة، مركزاً على الشخصية وزمن الحكاية والصراع بين الأمل والفناء.

ويتناول المبحث الثاني جماليات الصورة والإيقاع والحوار، مبيناً كيف تخدم العناصر الفنية الأطروحة الفلسفية للقصيدة.

ثم تنتهي الدراسة بخاتمة تجمع أبرز النتائج وتفتح آفاقاً لدراسات مستقبلية.

المبحث الأول

البناء الدرامي والثنائيات المهيمنة في قصيدة "المساء"

يتحدد الشكل في القصيدة الدرامية على هيئة خط عام أو سيناريو يشمل القصيدة كلها، وهذا لا يجعلنا نعتقد أن القصيدة الدرامية خالية من عناصر غنائية داخلها ⁽¹⁾ ، والدراما إذا كانت تعني الصراع، فإنها في ذات الوقت تعني الحركة من موقف لآخر ، ومن عاطفة لأخرى ، وهكذا يتطور الشعر من الغنائي إلى الغنائي الفكري، مما جعل أروع القصائد الحديثة العالمية ذات طابع درامي ⁽²⁾

ولا يختلف اثنان على أن إيليا أبو ماضي شاعر تأملي بامتياز، لكن تأمله ليس مجرد انسحاب إلى الذات وانقطاعاً عن العالم، بل هو تأمل يميل إلى الدراما، وإلى خلق حوار، وإلى استدعاء الآخر، وإلى إقامة صراع بين قوى متضادة داخل النفس وفي الكون. وهذا ما نجده بوضوح في قصيدة "المساء" ⁽³⁾ التي تقدم للقارئ مشهداً متكاملًا مرسومًا بدقة المسرحي المتمكن، ونعني بـ"الدراما" هنا ذلك التوتر الفني المنظم، الذي يتضمن: شخصيات متميزة (ولو افتراضية)، وزماناً ومكاناً محددين، وحدثاً تحوله الصراعات، ولحظة ذروة، وحلاً.

⁽¹⁾ المونولوج بين الدراما والشعر، أسامة فرحات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، دط ، 1997م ، ص19

⁽²⁾ الشعر العربي المعاصر (قضايا وظواهره الفنية والمعنوية) عز الدين إسماعيل ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، ط2 ، 1972 ، ص 279

⁽³⁾ إيليا أبو ماضي، الديوان ، دار العودة، بيروت، لبنان ، دط ، دت ، ص 765-766

وكل هذه العناصر تتوافر في هذه القصيدة، وإن كانت تحضر بكثافة شعرية لا تطابق بالضرورة قواعد المسرح التقليدي، لكنها تحقق تأثيراً درامياً خالصاً، يجعل القارئ يشعر بأنه أمام حكاية لا أمام مجرد تأمل.

فتبدأ القصيدة بلوحة كونية درامية، تتقدم فيها الطبيعة ككائن حي يعيش حالة من الرعب والانكماش:

السحب تَرْكُضُ في الفضاءِ الرَّحْبِ رَكُضَ الخائفينَ

والشمسُ تبدو خَلْفَهَا صفراءَ عاصِبَةً الجبينَ

والبحرُ ساجٍ صامتٌ فيه خشوعُ الزاهدينَ

فهذا المشهد ليس مجرد وصف لجو المساء، بل هو تمهيد درامي لحالة نفسية معينة، فهو إسقاط للخوف ليس على الإنسان وحده، بل على كل عناصر الكون. فالسحب تخاف من المساء نفسه، أي ذلك الزمن الذي يزحف ليختطف الألوان والأصوات والحياة، والأجمل من ذلك أن خشوع البحر شُبّه بخشوع "الزاهدين"، أي أن الحركة الطبيعية صارت عبادة، لكنها عبادة حزينة، خشوع استسلام لا خشوع طمأنينة، والشمس المصابة بالصفار والعصابة كأنها مريضة أو مصدعة بالرأس، فتعزز هذا الشعور بأن الظاهرة الكونية المألوفة (غروب الشمس) تتحول هنا إلى كارثة شخصية تعتصر القلوب.

هذا الافتتاح الطبيعي الدرامي يضعنا مباشرة في قلب إشكالية القصيدة: فالعالم يتغير، والضوء يتراجع، والألوان تموت، والأصوات تخفت، لكن السؤال: هل هذا التغير شر محض يستحق الرعب والانهيار، أم أنه جزء من نظام كوني أعمق، فيه للنهار حقه وللمساء حقه، بل ربما كان للمساء خير لا يراه الخائفون إلا بعد فوات الأوان؟ هذا السؤال هو جوهر البناء الدرامي للقصيدة، وهو ما ستحاول الأبيات التالية حله من خلال إدخال شخصية سلمى والمحاورة معها.

أولاً: شخصيات القصيدة: ذاتية المتكلم المعلن، والمخاطبة المستترة:

يمكن القول إن قصيدة "المساء" تؤسس لشخصيتين مركزيتين: شخصية أولى متكلمة رؤيتها واضحة وهي "أنا" الشاعر، الذي يصف ويسرد ويطرح الأسئلة ويوجه النصائح، وشخصية ثانية هي المخاطبة المسماة "سلمى" التي لا تتكلم فعلياً، بل نسمع عنها من خلال وصف الشاعر وسؤاله وتخميناته.

والمقاطع كلّها تشي بوجود ثنائية المخاطب والمخاطب، وهذا الأخير هو الذي يتّجه إليه الشاعر بالحديث وهو جوهر العلية التّواصلية لأنه المقصود بالخطاب، وهو كذلك «المتلقّظ المشارك دالّا على أنّ التلقّظ هو في الواقع تلقّظ مشترك وأنّ الطرفين يلعبان في صلبه دورا نشطا، فعندما يتحدث المتلقّظ فإنّ المتلقّظ المشارك يُبلّغ هو الآخر»⁽¹⁾

والذاتية في جوهرها هي الفضاء الذي تتشكل فيه العلاقة بين الشاعر وتجربته، وهي ليست انغلاقاً على الذات بقدر ما هي انفتاح على العالم من خلال ذات فريدة، فالشاعر الذاتي لا يكتب عن نفسه فقط بل يكتب عن العالم من خلال نفسه، وعن الآخر من خلال علاقته به، وهذا ما يجعل الذاتية في أرقى مستوياتها تتجاوز حدود الفردية الضيقة إلى آفاق كونية، فالذات التي تصل إلى عمق نفسها تكتشف أنها تحمل في داخلها كل البشر "وليست الذاتية فردية تهتم بالأديب وتجربته الشخصية بمعزل عن محيطه وبيئته، ولا هي متناهية في الموضوعية بحيث يفقد الأديب شخصيته وتعبيره عن ذاته، بل يكون المجتمع المحيط بالشاعر هو مصدر الهامه"⁽²⁾

فالأديب المؤثر هو من يصبغ أثره بروحه، لكن روحه ينبغي أن تكون وسيطا شفافا لا يحجب خيطا من خيوط الحياة الإنسانية.⁽³⁾

وليست الذاتية أن يعتمد الفنان على تجاربه الذاتية وحدها، وإنما تشمل كافة الموضوعات التي ينفعل بها وتؤثر فيه ليعبر عنها ، وإن لم تكن تجربة شخصية⁽⁴⁾ وليس ضروريا أن يكون الشاعر قد عانى التجربة بنفسه حتى يصفها، بل يكفي أن يكون قد لاحظها ، وعرف بفكره عناصرها ، وآمن بها.⁽⁵⁾

إن التواصل الذاتي للفنان يحدث بين المرء وذاته، وهو طريقة تفاعله مع الآخرين، وطريقة تعبيره عنهم، وعمّا يدور في ذهنه ونفسه تجاه الأحداث ومنه يمكن

(1) دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ترجمة : محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م ، ص 16

(2) محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 2009 ، ص 18

(3) شوقي ضيف ، في النقد الأدبي ، دار المعارف، القاهرة ، ط7، دت ، ص 185

(4) محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 2009 ، ص 32

(5) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، القاهرة ، 2004 ، ص 364

معرفة كيف يفكرُ ويشعر فتعتبر الأعمال الفنية نوعاً تعبيرياً لمدى التكيف والتواصل الاجتماعي بين الفنان وذاته ، وبينه وبين الآخرين .⁽¹⁾

فهذه التقنية الدرامية (أن يكون أحد طرفي الحوار صامتاً) ليست نقصاً في البناء، بل هي أسلوب مراوغ يسمح للشاعر بأن يُسقط تأملاته وأفكاره على الآخر، وفي الوقت نفسه أن يحول القصيدة إلى استجواب مفتوح لا جوابات محددة.

ولنبداً بشخصية "المتكلم" أو "الأنا الشاعرة"، فمن الواضح أن هذه الأنا ليست مطابقة تماماً لشخصية إيليا أبو ماضي التاريخية، لكنها قريبة جداً منها: شخص مفكر، رومانسي، حساس، يحب الطبيعة، يعاني من الحيرة الوجودية في لحظات الغروب، لكنه لا يرضى بالاستسلام للكآبة، بل يحاول أن ينتشل نفسه وينتشل الآخرين من فخ اليأس، وهذه الأنا تمتاز بالفضول الفلسفي: يسأل سلمى عن أفكارها وأحلامها، ويحاول أن يرى ما تراه هي، لكنه يعترف في النهاية بأنه لا يرى ما تراه تماماً:

أنا لا أرى ما تلمحين من المشاهد إنما

أظلالها في ناظريك

تنم، يا سلمى، عليك

هنا إقرار ضمني بالاختلاف بين الناس في الرؤية، لكنه إقرار لا يمنع من محاولة المشاركة الوجدانية.

وتتغير نبرة هذه الأنا عبر القصيدة، وهذا التغير هو أحد دلائل التطور الدرامي، ففي البداية تبدو الأنا حزينة متألّمة تصف الخوف والخشوع، لكن سرعان ما تتحول إلى باحث عن إجابات، وإلى محاور يستفهم:

سلمى بماذا تفكرين

ثم تتحول أكثر إلى ناصح وواعظ، بل إلى فيلسوف صغير يقدم لسلمى دروساً في كيف تنظر إلى الليل والوجود، وهذه التحولات تظهر أن القصيدة ليست ثابتة في

(1) غادة مصطفى أحمد ، لغة الفن بين الذاتية والموضوعية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 2008

مناخها العاطفي، بل هي رحلة من التشاؤم الأولي إلى التفاؤل النهائي، ومن الاستسلام لرعب المساء إلى اكتشاف جمالياته المخبوءة.

أما شخصية سلمى، فتبدو أكثر تعقيداً لأنها غير متكلمة، فنحن نعرفها من خلال وصف الشاعر فقط، لكن هذا الوصف يقدمها كإنسانة مركبة ومتناقضة، فهي في الماضي أو في وقت سابق من اليوم (الضحى) كانت فتاة مشرقة، وجهها يشبه الضحى نفسه، بشاشة وبهاء، ووجنتها تزدهران بالحياة، ولكن عند المساء تغير كل شيء:

لكن وجدتك في المساء وَضَعْتَ رَأْسَكَ فِي يَدَيْكَ

وجلست في عينيك أَلْغَا، وفي النفس اكتئاب

مثلُ اكتئاب العاشقين

هذا التحول المفاجئ هو مركز الصراع: لماذا انتقلت سلمى من الفرح إلى الحزن بمجرد أن جاء المساء؟ هل لأنها تخاف من الظلام؟ هل لأنها تتذكر شيئاً؟ هل لأن الكهولة بدأت تلوح في الأفق؟

يحاول الشاعر تخمين أفكارها في مشهد استفهامي طويل:

أَرَأَيْتِ أَحْلَامَ الطُفُولَةِ تَخْتْفِي خَلْفَ التُّخُومِ؟

أَمْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ أَشْبَاحَ الْكُهُولَةِ فِي الْغُيُومِ؟

أَمْ خَفْتَ أَنْ يَأْتِيَ الدُّجَى الْجَانِي وَلَا تَأْتِيَ النُّجُومُ؟

ثلاثة احتمالات يطرحها الشاعر، وكلها مرتبطة بالزمن والخسارة وهي: اختفاء الطفولة (الماضي الجميل)، وطلائع الكهولة (المستقبل المخيف)، وفقدان النجوم في ظلام دامس (غياب الأمل).

فسلمى إذن ليست شخصاً واقعياً، بل هي مرآة تعكس مخاوف الشاعر نفسه، وهي كذلك أنموذج لكل إنسان يمر بلحظة غروب يائسة، وبهذا المعنى، يصبح الحوار مع سلمى حواراً مع النفس، لا حواراً مع امرأة حقيقية، وهذا ما يفسر لماذا لا ترد سلمى صوتياً، لأنها في الحقيقة ليست سوى مرآة صامتة.

لكن السؤال الأعمق: لماذا اختار الشاعر اسماً أنثوياً بالذات (سلمى) لهذه الشخصية الصامتة؟ والإجابة قد تكون في التقاليد الشعرية الرومانسية التي جعلت المرأة رمزاً للغموض والأسرار،

فالمراة هنا ليست مجرد امرأة، بل هي الأنوثة الكونية، وهي الطبيعة الأم التي تحتضن كل التناقضات، وهي الحب الذي يعذب ويعطي الحياة في آن واحد.

وقد يكون في الاسم نفسه (سلمى) تلميح للسلم والسلام، لكن سلمى هذه ليست مسالمة تماماً؛ لأنها في حرب دائمة مع كآبتها، كما أن الاسم القصير العذب يسهل ترديده في النشيد الشعري، وقد تكرر عدة مرات:

"سلمى بماذا تفكرين / سلمى بماذا تحلمين / تتم يا سلمى عليك".

هذا التكرار يمنح القصيدة نغمة نداء حانية، لكنه نداء يحمل قلقاً، كأن الشاعر يحاول إيقاظ سلمى من غيبوبتها الوجودية.

ثانياً: ثنائية النهار والمساء: من مشهد الغروب إلى حوار التناقضات :

إذا كان أي نص أدبي يقوم على صراع بين قوتين أو قيمتين متضادتين، فإن قصيدة "المساء" تبني صراعها المحوري على التقابل بين النهار والمساء، لكن هذا التقابل لا يبقى في المستوى الزمني الطبيعي، بل يتسرب إلى مستويات أخرى متعددة مثل: الطبيعة، والنفس البشرية، والعلاقة بالأشياء، والموت والحياة، واليقين والغموض، والأمل والقنوط.

ولنبداً بالمشهد الطبيعي الذي تفتتح به القصيدة، فالنهار هنا ليس مذكوراً باسمه صراحة، لكن حضوره يتجلى من خلال غيابه، فالوصف كله وصف للمساء وما يفعله:

فالسحب تركض (فراراً مما؟ فراراً من النهار الذي هزم؟ أم فراراً من الظلمة المقبلة؟)، والشمس تبدو صفراء عاصبة الجبين (كأنها أم تبكي فراق ابنها النهار) والبحر ساجٍ صامت، فيه خشوع الزاهدين (كأنه تخلى عن أمواجه وضجيجها)، فهذا المشهد برمته مشهد رثاء للنهار، ومشهد جنازة للضوء والحياة، ولكن الغريب أن الشاعر لم يذكر كلمة "رثاء" أو "موت" بشكل مباشر، بل قدم كل شيء من خلال الاستعارات، وكأنه لا يريد أن يبوح بأسوأ مخاوفه.

ولكن المشهد يتغير عندما يتحول الانتباه من الكون إلى عيني سلمى وغموضهما:

وجلست في عينيك الغا، وفي النفس اكتئاب

مثل اكتئاب العاشقين ، سلمى بماذا تفكرين؟

هنا تنتقل القصيدة من مستوى الوصف الخارجي إلى مستوى التساؤل الداخلي، ومن لوحة كونية شاملة إلى حوار عاطفي خاص، يعني ذلك أن المساء ليس مجرد وقت من الأوقات، بل هو

أيضاً حالة نفسية في العيون أيضاً، ومن هذه اللحظة، يبدأ التناقض بين رؤيتين للعالم: رؤية الشاعر التي تتقبل المساء كواقع طبيعي بل كفرصة للاستمتاع بأشياء أخرى، ورؤية سلمى (التي لا نسمعها لكن نستشفها من انكماشها) التي تنتظر إلى المساء ككارثة ونهاية لكل شيء جميل.

ويتسع هذا التناقض في الأبيات التالية، حيث يضع الشاعر نفسه مكان الناقد لسلمى:

إني أراكِ كسائحٍ في القفرِ ضلَّ عن الطريقِ
 يرجو صديقاً في الفلاة، وأينَ في القفرِ الصديقُ
 يهوى البروقَ وضوءَها، ويخافُ تخدعُهُ البروقُ

فشبه الشاعر سلمى بالسائح التائه في الصحراء، الذي يتوق إلى ضوء البرق لكنه يخاف أن يخدعه فيذهب أدراج الرياح، وهذا التشبيه يكشف عن أزمة سلمى المعلقة بين الأمل في شيء (ضوء البرق) والخوف من خيبة أمله، وليس غريباً أن تكون الصحراء مكاناً للضياع في الخيال الشعري الرومانسي، فهي رمز للعزلة والجذب وغياب المعالم، ولكن السائح في القفر لا محالة سيموت لو لم يتحرك؛ فالمقام في مكان واحد دون طعام ولا ماء يعني الموت المحقق، وهكذا يحاول الشاعر أن ينبه سلمى إلى أن الوقوف مكتوفي الأيدي أمام المساء هو موت نفسي لا يقل فظاعة عن الموت الجسدي.

ثم يزيد التشبيه قسوة وواقعية:

بل أنتِ أعظمُ حيرةً من فارسٍ تحتَ القتامِ
 لا يستطيعُ الانتصارَ
 ولا يطيقُ الانكسارَ

فالفارس تحت القتام (الغبار الكثيف أو الظلام) صورة مأساوية نادرة في الشعر العربي، فهو فارس أعمى لا يرى عدوه، لكنه أيضاً لا يستطيع التراجع لأنه سيفقد كرامته، وهذا الفارس هو سلمى، وهو كذلك كل إنسان يعيش حالة تعليق بين فعلين أحلاهما مر، والمساء هنا لم يعد مجرد وقت، بل ملعب للصراعات النفسية، فأن تكون عاجزاً عن الفعل، وعاجزاً عن القبول بالهزيمة، فهذا هو العذاب الأكبر.

ثم يعود الشاعر إلى تذكر سلمى في النهار:

فلقد رأيتك في الضحى ورأيتُ في وجنتيكِ

لكن وجدتُك في المساء وصغتِ رأسك في يدكِ

هذا الاستنكار يُثبت الثنائية الدرامية بين مرح الضحى وكآبة المساء، لكنه يفتح الباب للتساؤل: أين ذهبت تلك الفتاة التي كانت تضحك في النهار؟ هل ماتت؟ أم اختفت تحت طبقات من الخوف والكآبة؟ إنها نفس الشخصية لكنها انقلبت إلى نقيضها، وهذا الانقلاب ليس بسبب تغير جوهر في الطبيعة بقدر ما هو بسبب تغير في النظر إلى الطبيعة، فسلمى كانت ترى النهار فرحاً، والآن ترى المساء مأساة، لكن هل المشكلة في المساء نفسه أم في عيون سلمى؟

ونصل إلى ذروة القصيدة في المقاطع التي يشرح فيها الشاعر فلسفته الخاصة تجاه

المساء، فيبدأ بسلسلة من الأسئلة لسلمى، متسائلاً عما تفكر فيه بالضبط، هل تفكر:

بالأرض كيف هَوَتْ عروشُ النورِ عن هضباتِها؟

أم بالمروجِ الخُضرِ سادَ الصمتُ في جنباتِها؟

أم بالعصافيرِ التي تعدو إلى وكناتِها؟

أم بالمسا؟ إنَّ المسا يخفي المدائنَ كالقري

والكوخُ كالقصرِ المكينِ

والشوكُ مثلُ الياسمينِ

هذه الأسئلة كلها تعبر عن إحساس بالفقد، ولكن الشاعر يرد عليها مباشرة بتصريح حاسم:

فالمساء يخفي كل شيء، لكنه يخفي بالتساوي، فلا فرق عنده بين النهر والمستنقع، بين القصر

والكوخ، بين الابتسامة والدمعة، بين الجمال والقبح.

لا فرقَ عندَ الليلِ بينَ النهرِ والمستنقعِ

يخفي ابتساماتِ الطروبِ كأدمعِ المتوجعِ

إنَّ الجمالَ يغيبُ مثلُ القبحِ تحتَ البرقِ

وهذه المساواة الظالمة هي التي تزعج سلمى: كيف يتساوى الضوء مع العتمة، والورد مع

الشوك؟ لكن الشاعر يقلب الآية: إخفاء المساء للأشياء ليس بالضرورة شراً، لأنه يمنح الإنسان

فرصة ألا يحكم على الأشياء بمظاهرها الخادعة، فالليل يخلق نوعاً من العدالة الجمالية: لا تميز، لا فضل لأحد على أحد، الجميع سواسية في الظلام.
وهنا تبدأ دعوة الشاعر للأمل:

لكن لماذا تجزعين على النهار وللدجى

أحلامه ورغائبه

وسماؤه وكواكبه؟

فالسؤال بلاغي بليغ: لماذا تبكين على النهار وكأن المساء ليس له ما يقدمه؟ إن المساء له نجومه، وله سماؤه، وله أحلامه الخاصة، بل ربما أحلامه أكثر عمقاً من أحلام النهار؛ لأن النهار صاخب مشغول، والليل هادئ يستوعب التأمل والحلم.
ثم يضرب أمثلة ملموسة:

ما زال في الورق الحفيف وفي الصبا أنفاسها

والعندليب صداحه

لا ظفرة وجناحه

أي: الموجودات لا تفقد قيمتها الجوهرية بمجرد حلول المساء، فالورق ما زال بحفيفه، والعندليب ما زال صوته شجياً، والنسيم ما زال يحمل عبق الزهور، فلماذا نركز على ما اختفى (ضوء الشمس) ونتجاهل ما بقي وحتى ما ازداد جمالاً في المساء؟

هنا تبلغ القصيدة ذروتها الفلسفية والدعوية: فالحياة ليست مضيئة كلها ولا مظلمة كلها، ولا ينبغي أن نعلق سعادتها على شرط وحيد وهو (وجود النهار)، فالنجوم لا تظهر إلا في الليل، والأزهار تتفتح في الليل أيضاً، والعندليب يسحرنا بعد المغيب، فالصحيح أن هناك نوعين من الجمال، جمال النهار الصاخب الواضح، وجمال الليل الخفي الهادئ، ومن حكمة الإنسان أن يتعلم كيف يرى النوعين، لا أن يظل حبيس النهار ويبكي على فراقه كطفل يبكي أمه.

ثالثاً: زمن الحكاية الداخلي: من الفرع إلى الأمل:

إن البنية الزمنية في قصيدة "المساء" لا تقل أهمية عن الشخصيات والثنائيات، فالزمن هنا ليس خلفية محايدة، بل هو فاعل درامي، ومصدر للصراع، ومادة للتأمل الفلسفي، ويمكننا تمييز

ثلاثة أزمنة متداخلة في القصيدة وهي: زمن الطبيعة (الانسيابي الدائري)، وزمن الإنسان (الخطي المنتهي)، وزمن الأمل (الأبدي المتجدد).

أولاً: زمن الطبيعة : ويظهر في مظاهر الغروب المتكررة اليومية، فالسحب تركض، والشمس تختفي، والبحر يسكن، والعصافير تعود إلى وكناتها، ثم تعود بعد ذلك شمس جديدة وطيور جديدة. إن هذا الزمن دوري، وليس له نهاية مأساوية ؛ لأن كل مساء يتبعه صباح، وكل شتاء يتبعه ربيع، ولكن الشاعر يتعامل مع هذا الزمن الدوري بدهشة وحيرة، وكأنه لا يستطيع أن يصدق أن الشمس ستشرق مجدداً بعد أن يغيب المساء، وهذه الدهشة هي ما يخلق الدراما الإنسانية، فالإنسان يعلم علم اليقين أن المساء مؤقت، لكنه في لحظة المساء يصاب بنوع من فقدان الذاكرة الكونية، ويصاب بالذعر وكأن الضوء لن يعود أبداً، " فالطبيعة كما يراها أبو ماضي مصدر إلهام ورمز للحياة والفكر والتأمل " (1)

ثانياً: زمن الإنسان مختلف تماماً، وهو ما ترمز إليه إشارات القصيدة إلى "الطفولة" و"الكهولة"، فحياة الإنسان تمضي من الطفولة إلى الشباب إلى الكهولة إلى الموت. وما تخافه سلمى ليس مجرد غروب شمس اليوم، بل غروب شمس حياتها:

أرأيت أحلامَ الطفولة تختفي خلفَ التُّخوم؟

أم أبصرت عيناكِ أشباحَ الكهولة في الغيوم؟

هذا الانتقال من مرحلة إلى أخرى هو زمن لا رجعة فيه، وهو مصدر القلق الأعظم للإنسان المفكر، فإذا كان المساء الطبيعي يزول حتماً بطلوع فجر جديد، فإن مساء العمر لا يزول، بل يتبعه ليل طويل، ليل القبر والعدم، وهذا الخوف من عدم الرجوع هو ما يجعل سلمى "أعظم حيرة من فارس تحت القتام".

ثالثاً: زمن الأمل الذي يطرحه الشاعر ليس زمناً طبيعياً ولا إنسانياً بالمعنى التقليدي، بل هو زمن متجاوز، زمن فني أو روحي، يمكن تسميته بـ"زمن الشعر" أو "زمن الجمال الخالد"، حين يقول الشاعر:

فاصغني إلى صوتِ الجداولِ جارياتٍ في السفوحِ

واستنشقي الأزهارَ في الجنّاتِ ما دامتْ نفوحُ

(1) محمد غنيمي هلال. ، النّقد الأدبي الحديث ، بيروت : دار العودة، دط ، 1973، ص415.

وتمنّعي بالشّهْبِ في الأفلاكِ ما دامت تلوحُ

من قَبْلُ أن يأتي زمانٌ كالضبابِ أو الدخانِ

لا تبصرين به الغديرَ

ولا يُلدُّ لك الخريزُ

فهو يتحدث عن استمرارية الجمال رغم تغير الزمن، إنه ينقل العمر من خانة النقص والفناء إلى خانة الديمومة من خلال التجربة الجمالية، وبمعنى آخر، قد يفقد الإنسان شبابه وجمال وجهه، لكنه لا يفقد قدرته على الاستمتاع بحفيف الورق وغناء العندليب، وهذا الاستمتاع نفسه هو ما يعطيه معنى يتجاوز مجرد البقاء الزمني.

ويبدو التنقل بين هذه الأزمنة الثلاثة بوضوح في البنية العامة للقصيدة: فتبدأ بزمن الطبيعة (غروب الشمس)، وتتسع إلى زمن الإنسان (طفولة/كهولة سلمى)، ثم تنتهي بإعلان زمن الأمل (الاستمتاع بالجدول والأزهار والشهب).

وهذا الانتقال ليس عشوائياً، بل هو مسار متدرج من التشاؤم إلى التفاؤل، ومن الاعتراف بالخسارة إلى اكتشاف العوض.

وفي خاتمة القصيدة، يعلن الشاعر حكمته الأهم:

ماتَ النهارُ ابنُ الصباحِ فلا تقولي كيفَ ماتَ

إنَّ التأملَ في الحياةِ يزيّدُ أوجاعَ الحياةِ

فدعي الكآبةَ والأسى واسترجعي مَرَحَ الفتاةِ

فهو يدعو إلى نسيان موت النهار (الزمن الطبيعي) واستعادة مرح الفتاة (زمن الجمال الداخلي)، وألا تحكم على المساء من خلال غياب النهار، بل من خلال ما يقدمه هو نفسه من كواكب وأزهار ونسائم.

وهذا كله يقودنا إلى القول: بأن قصيدة "المساء" لا تحتفي بالمساء كبديل سيئ عن النهار، بل هي تحتفي بقدرة الإنسان على التكيف الروحي، على أن ينظر إلى ما هو موجود لا إلى ما هو مفقود، فهي قصيدة تدعو إلى تصالح مع الزمن بكل وجهيه: وجهه المشرق ووجهه المعتم، وتعلن أن الجمال الحقيقي لا يموت بموت الضوء، وهذه الفلسفة المتفائلة، التي تبناها أبو ماضي في كثير من

قصائده، تجعله شاعراً فريداً بين شعراء جيله الذين عاشوا الحربين العالميتين وآلام المنفى، ومع ذلك تمسك بالأمل كخيار إنساني وليس كسذاجة أو تغافل.

المبحث الثاني

جماليات الصورة والإيقاع والحوار في خدمة الأطروحة الفلسفية

من أبرز ما يميز شعر إيليا أبو ماضي أنه لا يقع في فخ الوعظ المباشر، رغم أنه شاعر فلسفي يحمل همّاً إنسانياً ويريد تغيير سلوك قارئه، فلقد استطاع أن يقدم أطروحته الفلسفية من خلال صور شعرية آسرة، وإيقاعات موسيقية متقنة، وحوارات درامية موحية، فلم تكن قصائده أبداً خطباً متكلفة ولا مواضع جافة، بل كانت تجارب حية تتفاعل مع القارئ وتحفره على المشاركة الوجدانية، ثم بعد ذلك تخلص إلى نتيجتها الأخلاقية أو الفلسفية.

ففي قصيدة "المساء"، نلاحظ هذا البناء الذكي فالقصيدة تبدأ بمشهد طبيعي غارق في الحزن والرغبة، مما يستدعي تعاطف القارئ مع حالة الفقد والخوف، ثم يدخل الحوار مع (سلمى)، فيتساءل القارئ مع الشاعر: لماذا هي حزينة؟ ثم يأتي التشبيه بالسائح التائه والفرس المغلوب، فيتعمق الإحساس بالمأساة، وعندما تصل القصيدة إلى ذروة الحزن والضياع، تبدأ رحلة الخروج عندما يتبين أن المساء ليس شراً مطلقاً، بل له محاسن خفية، وأن الحياة ما زالت جميلة حتى في الظلام، وبهذه الطريقة لا يشعر القارئ بأن الشاعر يُملِي عليه رأياً، بل يشاركه رحلة اكتشاف يقوده فيها الشاعر بسلاسة من الظلمة إلى النور، ومن اليأس إلى الأمل، وسنرى في هذا المبحث كيف تخدم الصورة والإيقاع والحوار هذه الرحلة.

أولاً: الصورة الشعرية في القصيدة:

1. تشخيص عناصر الطبيعة:

لعل السمة الأولى التي تلفت الانتباه في قصيدة "المساء" هي أن الطبيعة ليست جامدة ولا صامتة، بل هي كائن حي يشعر ويخاف ويخشع ويهرب، فالشاعر ينسب إلى السحب صفة "الركض" وهو فعل لا تقوم به السحب حقيقة، لكنه يصورها وكأنها تهرب من شيء (ربما من حلول الظلام)، ونسبة "الخوف" إلى السحب تجعل القارئ يتصور أن السماء بأسرها تعيش حالة ذعر مشتركة مع الشاعر ومع سلمى، وكذلك الشمس تصبح "صفراء عاصبة الجبين"، أي تتألم ويتعب رأسها، وكأنها

عجوز محطة تنتظر نهايتها، والبحر يتحول من كيان هادر متحرك إلى "ساج صامت" فيه "خشوع الزاهدين"، وهذه كلها استعارات تشخص الطبيعة، وتجعلها تنطق بلغة الشاعر الإنسانية، وتجعل القارئ يشعر أن المأساة ليست مأساة فردية، بل مأساة كونية.

لكن ما الهدف من هذا التشخيص؟ الهدف - كما أرى - هو تضخيم الإحساس بالخسارة، فإذا كان البحر نفسه يخضع للمساء بخشوع، فأى أمل لإنسان ضعيف أن يقاوم هذا التيار؟ فهذه بداية القصيدة، وهي مصممة لكي تغرق القارئ في لجة من الحزن والانكسار، حتى يكون التحول بعد ذلك أكثر وقعاً، وأكثر إقناعاً، فلو بدأ الشاعر مباشرة بعبارات التفاؤل والنصائح، لكان كلامه بلا وزن، ولكنه أعد القارئ جيداً ليحسّر بعمق الأزمة، ثم قدم له الحلول التي تنبع من عمق الأزمة نفسها.

2. الترابط بين العوالم الكبرى والصغرى:

تقوم القصيدة على تقنية موازنة مثيرة بين ما يحدث في الأفق البعيد (السماء، البحر، السحب) وما يحدث في عيني سلمى وروحها، فالسحب تركض، وعينا سلمى "باهتتان"، والشمس مصفرة عاصبة الجبين، وسلوك سلمى فيه "عصاب" نفسي يظهر في وضع رأسها في يديها، والبحر ساج صامت، وسلوك سلمى صامت أيضاً، فهي لا تتكلم طوال القصيدة.

هذا الترابط لا يقتصر على بداية القصيدة، بل يستمر:

أَمْ أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ أَشْبَاحَ الْكُهُولَةِ فِي الْغُيُومِ؟

أي أن الغيوم تعكس مخاوف داخلية، والسماء أصبحت مرآة للنفس، وكذلك في الأبيات الأخيرة:

قَدْ كَانَ وَجْهُكَ فِي الضَّحَى مِثْلَ الضَّحَى مَتَهَلَّلًا

فِيهِ الْبَشَاشَةُ وَالْبَهَاءُ

وَلَيْكُنْ كَذَلِكَ فِي الْمَسَاءِ

فهو تماهٍ تام بين وجه سلمى ووجه النهار، وبين ضحكها وضوء الشمس. وهذا الترابط يُدْكَرنا بالتصور الرومانسي الراسخ: أن الطبيعة ليست خارجة عن الإنسان، بل هي امتداد له، وأن الحالة النفسية لا تنفصل عن حالة الجو والزمان والمكان.

3. الصور المضادة والمتقابلة:

إن أكثر ما يميز الصورة الشعرية في "المساء" هي كثرة الأضداد والمتقابلات التي تظهر مع بدء التحول الفلسفي، فنجد تقابلاً بين "النهر والمستقع"، و"القصر والكوخ"، و"الشوك والياسمين"، و"ابتسامات الطروب وأدمع المتوجع"، وأخيراً "الجمال والقبح"، وهذا التكاثر للأضداد في حيز قصير - بضعة أسطر - ليس عفوياً، بل هو وسيلة لخلق فكرة أساسية، فالمساء يعادل بين الأشياء، ويجعلها غير قابلة للتمييز، وهو بهذا يحقق نوعاً من العدالة الكونية، لكنه أيضاً يثير الرعب فيمن تعود على تمييز الأشياء، فإن سلمى تخاف من هذا التسوية، بينما الشاعر يحاول أن يقنعها بأن التسوية ظاهرية فقط، لأن الجوهر يبقى كما هو.

ولننظر إلى مستوى التقابل بين جملة أدوات الاستفهام في أول القصيدة

(سلمى بماذا تفكرين، بماذا تحلمين، أرايت ... أم أبصرت ...)

وبين جمل الأمر في آخر القصيدة

(فأصغي، واستنشقي، وتمتعي، وتكوني، وليكن).

فهذا التقابل بين التساؤل والتوجيه، وبين التردد والحسم، يعبر عن الحركة الدرامية من الضعف إلى القوة، ومن الشك إلى اليقين، وكذلك نلاحظ تقابل الزمن بين الضحى (الماضي السعيد) والمساء (الحاضر المأساوي)، ثم التقابل بين لفظ "الكآبة والأسى" ولفظ "مرح الفتاة"، فكل هذه التقابلات تخلق شداً وجذباً في النص، وتجعل المتلقي يشارك في عملية تأويل المعنى بدلاً من تلقيه سلبياً.

ثانياً: الإيقاع والموسيقى:

1. الوزن (البحر الكامل):

قصيدة "المساء" مكتوبة على البحر الكامل، وهو من البحور الصافية التي تعتمد على تكرار تفعيلية "متاعلن"، ولهذا البحر طبيعة موسيقية خاصة بإيقاعه سريع في الغالب - إذا قرئ بسرعة - أو متوسط، لكنه لا يصل إلى ثقل الطويل ولا إلى خفة المتقارب، وفي سياق قصيدتنا، فإن هذا الوزن يخدم الغرضين معاً، فهو يسمح بمرونة في نقل المشاعر المتقلبة (من الحزن إلى الفرح) دون أن يكون ثقيلاً في الحزن أو عجولاً في الفرح، فالتفاعيل المتكررة "متاعلن" تعطي إحساساً بالدوران، بالتكرار، وهو ما يتناسب مع الدورية الطبيعية بين النهار والمساء.

ولكن الأهم من الوزن العام هو ما يعرف بـ"الزحافات والعلل" التي قد تحدث في الشعر العمودي، لكن في هذه القصيدة الوزن يكاد يكون مستقيماً خالياً من الزحافات الكثيرة، مما يعطي النص وقعاً مستقيماً، ثابت الخطوات، وهذا الثبات قد يُفسر برغبة الشاعر في نقل رسالة واضحة ومباشرة بعد أن تجاوز مرحلة الحيرة والقلق.

2. التنغيم الداخلي (التصعيد والتصويت):

ومن الظواهر الصوتية التي تلفت الانتباه مسألة التنغيم التي تبرز كمعطى صوتي يعزز بناء النص ويحاول أن يعين المتلقي على فهمه وتأويله، والتنغيم في أبسط تعريفاته «من الظواهر التطريزية، أي الملامح الصوتية التي تصاحب الكلمات المتصلة أو الجمل، فتؤدي وظيفة دلالية⁽¹⁾ ورغم أن الشعر العربي العمودي لا يكتب بالنوتات الموسيقية، إلا أن التنغيم (أي ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء القراءة) يبقى عنصراً مقصوداً من الشاعر، من خلال اختيار بعض الصياغات والتراكيب التي تفرض طريقة معينة في الأداء. في بداية القصيدة، توجد جمل خبرية طويلة، تتصف بالهدوء والسكون:

السحب تركزُ في الفضاءِ الرَّحْبِ رَكُضَ الخائفينِ

والشمسُ تبدو خَلْفَهَا صفراءَ عاصِبَةً الجبينِ

والبحرُ ساجٍ صامتٌ فيه خشوعُ الزاهدينِ

لكنَّما عيناكِ باهتَتَانِ في الأفقِ البعيدِ

فهذه الجمل تُقرأ بنغمة هابطة قليلاً، تعكس الاستسلام للواقع الحزين. وعندما يأتي السؤال: "سلمى بماذا تفكرين" قد يرتفع الصوت قليلاً في "بماذا" ثم يعود للانخفاض، ثم تتوالى الأسئلة، وهي تفرض تنغيماً استفهامياً (ارتفاع في نهاية الجملة) ولكن ليس ارتفاعاً حاداً، بل ارتفاعاً متسائلاً حزيناً. أما التحول الكبير في التنغيم فيحدث عند بدء جمل الأمر والحث: "فأصغي، واستشقي، وتمتعي"، فهنا يُتوقع من القارئ أن يرفع صوته، وأن يملأ صوته بالحماس والثقة، وهذه هي الذروة التنغيمية للقصيدة، ثم تعود النغمة إلى الاعتدال في آخر بيت:

(1) كمال بشر، علم الأصوات، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2000، ص 531



قد كَانَ وجهُكَ في الضحى مثل الضحى متهللاً

فيه البشاشة والبهاء

وليكن كذلك في المساء

فهذا انخفاض طفيف في النهاية، لكنه ليس انخفاض هزيمة، بل انخفاض يقين وثبات،
كمن انتهى من إلقاء خطبته وأسند ظهره إلى اليقين.

3. التكرار كأداة بلاغية وتداولية:

التكرار في هذه القصيدة ليس حشواً، بل هو أداة استراتيجية لتعزيز المعنى وتثبيتته في ذهن
المتلقي، وأبرز مثال هو تكرار اسم "سلمى" ثلاث مرات بليغة، مرة في الاستفهام الأول، ومرة في
الثاني، ومرة في جملة "تم يا سلمى عليك"، فهذا التكرار يحول سلمى من مجرد شخص عابر إلى
حضور متسلط، وكأن الشاعر يناديها مراراً ليوقظها من غفلتها، أو ليؤكد لها أنها محور القصيدة
وهدفها.

وأيضاً نلاحظ تكرار أداة الاستفهام "أم" في سلسلة متتابعة:

"أرأيت أحلام الطفولة... / أم أبصرت عينك أشباح الكهولة... / أم خفت أن يأتي الدجى
الجاني...".

فهذا التكرار يخلق إيقاعاً تراكمياً يضغط على سلمى (وعلى القارئ) للإجابة، لكنه في نفس
الوقت يمد القصيدة بشحن انفعالي عال، وكأن الشاعر يحاصر نفسه بكل الاحتمالات المخيفة ثم
يبحث عن مخرج.

والتكرار الأكثر خفاء هو تكرار حرف العطف "والو" في الأبيات الأخيرة:

"فأصغي واستنشقي وتمتعي وتكون حياتك... ولتملأ الأحلام... وليكن بأمر الحب".

فهذا التكرار يعطي إحساساً بتراكم النصائح، وكأن الشاعر يعد قائمة مهام لسلمى لتعود إلى
الحياة، وهو في الوقت نفسه يخلق إيقاعاً موسيقياً شبيهاً بقرع الطبول، أو بسير الموكب الذي يتقدم
خطوة فخطوة نحو النور.

ثالثاً: الحوار الشعري: آلية التحول من السؤال إلى الجواب، ومن الحيرة إلى اليقين

لعل أبرز معالم قصيدة "المساء" هو بناؤها على نمط الحوار، وإن كان غير متكافئ الأطراف
(المتكلم يتكلم، والمخاطب صامتة)، وهذا الحوار يمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: استكناه الألم:

في هذه المرحلة، يبدو الشاعر غير متأكد من سبب حزن سلمى، فيطرح عليها ثلاثة أسئلة كبرى، لكن بطريقة غير ملزمة، بل ترجيحية:

"أرأيت أحلام الطفولة تختفي؟ أم أبصرت أشباح الكهولة؟ أم خفت أن يأتي الدجى ولا تأتي النجوم؟"

فكل سؤال من هذه الأسئلة يعرض احتمالاً نفسياً مختلفاً، وأي منها قد يكون السبب، لكن الملاحظ أن الشاعر لا ينتظر إجابة (فهو يعرف أنها لن تحيب)، بل هو يقدم هذه الأسئلة لكي يضع يده على نقطة الضعف وهي قلق الزمن والموت، فهو مثل الطبيب الذي يفحص المريض دون أن ينطق المريض، فيقرر من خلال الأعراض الظاهرة (وضع الرأس في اليدين، العيون الباهتة) أن الداء هو الخوف من الغروب،

المرحلة الثانية: إعادة تأطير المساء:

بعدما شخص الشاعر الداء، لم يبدأ بوصف الدواء مباشرة، بل انتقل إلى إعادة تعريف المساء ذاته: إنه ليس عدواً، بل هو كيان له قيمة ذاتية، فيذكر أن للمساء أحلامه ورغائبه وسماءه وكواكبه، وأن الورق ما زال بحفيفه، والنسيم ما زالت أنفاسه، والعندليب ما زال شذوه، وبهذه الطريقة يقلب الشاعر المعادلة، فبدلاً من أن ننظر إلى المساء على أنه ظلمة تفتقد الشمس، ننظر إليه على أنه عالم جديد مليء بمحتوياته الخاصة، وهذا النوع من "إعادة التأطير" هو الذي سيحرر سلمى من حزنها.

المرحلة الثالثة: الأمر والتنفيذ:

بعدما انتهى الحوار الفلسفي، حان وقت التطبيق، فظهرت صيغ الأمر: "فأصغي، واستنشقي، وتمتعي".

فها هنا يتحول الشاعر من فيلسوف متأمل إلى مرشد أو مدرب، فقد أقنع سلمى (نظرياً) بأن المساء ليس شراً، لكنه يحتاج أيضاً إلى أفعال ملموسة تعيد ترسيخ هذه القناعة في الوعي، فالإصغاء إلى صوت الجداول، واستنشاق الأزهار، والتمتع بالشهب، كلها أفعال حسية تُخرج سلمى من رأسها المزدهم بالأفكار المخيفة، وتعيدها إلى لحظة الحاضر، وإلى الجمال الحسي المباشر. وتستمر هذه المرحلة طويلاً، حتى أن القصيدة تنتهي على جملة أمر:

"ليكن كذلك في المساء".

وكأن الشاعر يريد أن يغرس هذه الفكرة في وجدان سلمى عبر التكرار والتوجيه المباشر. ويلاحظ في هذه البنية الحوارية شيء مذهل وهو أن سلمى الخرساء طوال القصيدة، قد تغيرت دون أن تنبس ببنت شفة، فكيف عرف الشاعر أنها تغيرت؟ وذلك لأنه لم يعد يصفها بـ "العينين الباهتتين" أو "الرأس الموضوع في اليدين"، فبدلاً من ذلك أصبح يخاطبها الآن مباشرة بأوامر إيجابية، ويتحدث عن مستقبلها كأنه حاضر: لتكن حياتك كلها أملاً جميلاً طيباً

ولتملأ الأحلام نفسك في الكهولة والصبي

مثل الكواكب في السماء وكالأزهار في الربى

ليكن بأمر الحب قلبك عالماً في ذاته

أزهاره لا تذبل

ونجومه لا تأفل

وكأن السكوت نفسه هو الذي كان يحتاج إلى تفسير وعلاج، فاختفى ذلك السكوت واستحال إلى طاقة محتملة للفعل والإصغاء.

وبهذا المعنى يمكن القول إن القصيدة نفسها هي فعل علاج نفسي، وإعادة تأهيل وجودي، والإيقاع الذي يبدأ حزناً ثم يتصاعد إلى الأمر والنهي، هو سلم التحول من حالة إلى أخرى، فهي ليست مجرد قصيدة في المساء، بل هي مرآة تعكس تجربة تعافي الإنسان من الرهاب الوجودي.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في قصيدة "المساء"، يمكننا الخروج بعدة نتائج جوهرية:

أولاً: تؤسس قصيدة "المساء" لثنائية إبداعية متقابلة بين النهار (رمزاً للحياة والشباب والوضوح) والمساء (رمزاً للكهولة والغموض والخطر)، لكنها تتجاوز هذا التقابل إلى مستوى أعمق، وهو دعوة إلى تصالح الإنسان مع الزمن بكل تعاقباته، فلا حياة بلا موت، ولا نهار بلا مساء، ولا شباب بلا كهولة، والمطلوب ليس القضاء على المساء، بل تغيير نظرتنا إليه.

ثانياً: اعتمدت القصيدة على بنية درامية متقنة تشمل شخصيات ذات أبعاد نفسية (المتكلم الحكيم، والمخاطبة الصامتة التي تعاني من أزمة وجودية)، وزماناً داخلياً ينتقل من الذعر إلى الطمأنينة، وصراعاً رئيسياً بين الخوف من الفناء والرغبة في الاستمتاع بالجمال الباقي، فهذا البناء الدرامي حوّل القصيدة من خطاب تأملي مباشر إلى تجربة حية يشارك فيها القارئ الذي لا يكتفي بتلقي النتائج.

ثالثاً: أسهمت الصورة الشعرية في نقل الأطروحة الفلسفية عبر تشخيص الطبيعة وربطها بالنفس البشرية، وتكثيف المتقابلات (النهر/المستنقع، القصر/الكوخ، الياسمين/الشوك) لتعبر عن فكرة التسوية الظاهرية التي يحدثها الظلام، وفي الوقت نفسه عن بقاء الجوهر على حاله رغم اختفاء المظاهر.

رابعاً: خدم الإيقاع والموسيقى انتقال الشاعر من جو من الحزن والاستسلام إلى جو من الحماس واليقين، فالوزن الواحد استطاع أن يستوعب نقيضين من المشاعر بفضل التغير في صياغة الجمل (من الخبر إلى الاستفهام إلى الأمر) وبفضل التنغيم الداخلي الذي يقرره القارئ الماهر.

خامساً: نجحت القصيدة في إقامة حوار فلسفي لا وعطي، إذ أن مشهد الغروب الحزين في البداية يضع القارئ في حالة وجدانية مناسبة لتقبل الحلول المطروحة في النهاية. وقد جاء التحول من السؤال إلى الأمر متدرجاً وطبيعياً، ليقنع القارئ بفكرة أن المساء ليس نهاية الحياة، بل هو بداية لجمال مختلف، جمال يتطلب من الإنسان أن يصغي إلى خريف الجداول وأن يستشوق الأزهار وأن يتمتع بالشهب في الأفق.

وفي النهاية، يمكن القول إن قصيدة "المساء" ليست مجرد قطعة غنائية عابرة، بل هي بيان فلسفي كامل، وأطروحة أخلاقية، وعلاج نفسي شعري، فالشاعر استطاع أن يجيب على سؤال قديم جديد: كيف نواجه الخوف من الزوال؟ وإجابته كانت: بالحياة والحب والجمال، لا بالانكفاء على



الأوجاع، ولأنه شاعر، فقد جعل إجابته هذه شعراً خالداً يتجدد مع كل مساء، ومع كل قارئ يبحث عن طوق نجاة من كآباته، ولعل ما يمنح هذه القصيدة سحرها الخاص أنها لا تعد بشيء فوق طاقة البشر، بل تدعوهم فقط إلى أن يفتحوا أعينهم على ما تبقى من جمال، وأن ذلك "الباقى" قد يكون أكثر عمقاً وروعة مما فقدوه، وهذا هو جوهر النزعة التفاؤلية عند إيليا أبو ماضي، فالأمل ليس وهماً، بل هو رؤية للحقيقة من زاوية أخرى، زاوية تتسع للظلال كما تتسع للأضواء.

قائمة المراجع :

- أسامة فرحات ، المونولوج بين الدراما والشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1997م .
- إيليا أبو ماضي، الديوان ،دار العودة ، د ط ، د ت، لبنان ، بيروت.
- جعفر الطيار الكتاني ، الدراسات الأدبية (إيليا أبو ماضي) دراسة تحليلية ، مكتبة الخانجي للنشر ، مصر، د ط .
- دومينيك مانغونو، ترجمة : محمد يحياتن ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م.
- شوقي ضيف ، في النقد الأدبي ، دار المعارف، القاهرة ، ط7، د ت .
- عزالدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر (قضايا وظواهر الفنية والمعنوية) ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، ط2 ، 1972 .
- غادة مصطفى أحمد ، لغة الفن بين الذاتية والموضوعية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 2008 .
- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 2000.
- محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 2009 .
- محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 2009 .
- محمد غنيمي هلال. ، النقد الأدبي الحديث ، بيروت : دار العودة، د ط ، 1973
- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، القاهرة ، 2004 .

بحث بعنوان :

النفوذ التقليدي للزعامات المحلية وموقفها من السياسة المركزية للحكام العثمانيين في ولاية طرابلس الغرب (1836- 1838م)

(دراسة وثائقية من خلال وثائق قنصلية نابولي بطرابلس)

The Traditional Authority of Local Leaders and Their Attitude toward the Centralization Policies of the Ottoman Administration in the Province of Tripoli (1836–1838)

(Documentary Evidence from the Archives of the Neapolitan Consulate in Tripoli)

إعداد :

د. علي عيسى علي الدعب

Dr. Ali Issa Ali Al-Daab

أستاذ مساعد بقسم التاريخ جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
Assistant Professor of History, Department of History, Sayed Mohammed Bin Ali Al-Senussi Islamic University
aliasse20007381@gmail.com

د. عبدالرحيم عبداللطيف مفتاح عبدالقادر

Dr. Abdulrahim Abdullatif Miftah Abdulkader
أستاذ مشارك بقسم التاريخ

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

Associate Professor, Department of History

Sayed Mohammed Bin Ali Al-Senussi
Islamic University

abdalrhymalhlaly@gmail.com

د. سعد إدريس سعيد آدم

Dr. Saad Idris Saeed Adam
أستاذ مساعد بقسم التاريخ

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

Assistant Professor of History, Department of History

Sayed Mohammed Bin Ali Al-Senussi
Islamic University

sdaldrsy969@gmail.com

المراجعة اللغوية: د. عبد الحميد محمد حمدان (كلية اللغة العربية الجامعة السنوسية)

الملخص:

يدور البحث حول موقف السكان في ولاية طرابلس الغرب من عودة الأتراك العثمانيين للسيطرة على طرابلس بعد سقوط الأسرة القرمانلية، نتيجة السياسات الاقتصادية السيئة التي جرت البلاد إلى ما آلت إليه من ضعف وتصارع على السلطة، وإن زعماء القبائل في تاجوراء، ومصراتة، وغريان، لم يرضخوا للسلطة الجديدة، التي استمرت طيلة السنوات الأولى في محاولات لإخضاعهم بالقوة، وكيف إن السلطة العثمانية جندت الكثير من القادة، واستبدلت الولاية في سبيل تحقيق استقرار مؤقت خلال سنوات 1836-1838م.

الكلمات المفتاحية: مصطفى نجيب باشا - عصمان الأدغم - مصراتة - غريان

Abstract:

The research revolves around the position of the population in the state of Tripoli al-Gharb regarding the return of the Ottoman Turks to control Tripoli after the fall of the Karamanli dynasty as a result of the bad economic policies that led the country to its current state of weakness and conflict over power, and that the tribal leaders in Tajoura, Misrata and Gharyan did not submit to the new authority, which continued throughout the first years of their arrival in attempts to subdue them by force, and how the Ottoman authority recruited many leaders, and replaced governors in order to achieve temporary stability, during the years 1836-1838 AD.

Keywords: Mustafa Najib Pasha - Osman Al-Adgham - Misrata – Gharyan.

المقدمة:

إن ما نتج عن مؤتمر فيينا الذي عقد سنة 1815م تلك البنود التي كان في أولها محاربة القرصنة التي تنتهجها ولاية طرابلس، وكذلك إيقاف تجارة العبيد، وهذان من أهم الموارد التي كانت تأتي بموارد طائفة على خزينة يوسف باشا القرمانلي، ونتيجة لتناقص موارده اتجه إلى الاستدانة من الرعايا الأوروبيين المقيمين في طرابلس، وفرض الضرائب الاستثنائية على السكان، مادفع إلى ثورات داخلية، حاصرت داخل أسوار المدينة، ونظرا لتفاقم هذه الأزمة اضطر إلى التنازل عن حكم البلاد لابنه على بك في صيف 1832م، حيث لم يتمكن هذا من تغيير واقع الأزمة التي استدعت تدخل الباب العالي، الذي نجح بالاستيلاء على السلطة، لكن زعماء القبائل كان لهم موقف رافض لمجيء العثمانيين، فكل المناطق خارج مدينة طرابلس كانت تعج بالثورة، التي فشل الأتراك في إنهاؤها، واضطروا إلى مواجهتها بصعوبة طيلة السنوات الأولى من حكم طرابلس.

تأتي أهمية الموضوع في تسليط الضوء على موقف زعماء القبائل الرافض لحكم الأتراك، ومقاومتهم بأقل الإمكانيات، لتلك الترسانة المتطورة، وإلى الدعم المتواصل الذي كان يأتي من إسطنبول من قادة وجنود وعتاد، وعن موقف الأهالي الصامد طيلة السنوات الأولى من السيطرة.

وتكمن إشكالية الموضوع في محاولة الإجابة عن عدة تساؤلات يأتي في أولها كيف كانت الأوضاع في طرابلس قبيل مجي العثمانيين؟ وما موقف الأهالي من الحكام الجدد؟ وكيف كانت المواجهات التي وقعت في مصراته، وغريان؟ وكيف انتهت تلك النزاعات سنة 1838م؟

وبهذا قسمت الورقة إلى ثلاثة مباحث للإجابة عن تلك التساؤلات، بشكل مفصل، وفي هذا السياق اتبع الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، واعتمدت الدراسة في مجملها على وثائق نابولي غير المنشورة بالمركز الوطني للمحفوظات، والدراسات التاريخية، هذا عن بعض المصادر مثل حسن الفقيه حسن، في كتابه اليوميات الليبية، ومحمد النائب الأنصاري، في كتابه المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب.

المبحث الأول

الأوضاع العامة في طرابلس قبيل مجيء العثمانيين 1835م.

إن البنود المعلنة في مؤتمر فيينا سنة 1815م، أفضت إلى منع تجارة العبيد، وإلى منع القرصنة التي تمارسها طرابلس،⁽¹⁾ وقد بدأ المؤتمر بأولى خطواتها بإرسال الأسطول الإنجليزي الذي وصل إلى طرابلس بقيادة اللورد اكسموت (Lord Exmoutt) في 27 إبريل 1816م مهددا الاستمرار في ممارسة عمليات القرصنة، وقد تكرر مجيء مثل هذه الأساطيل لتهديد طرابلس أكثر من مرة.⁽²⁾ كما أن منع تجارة العبيد الذي كان يمثل لطرابلس أهمية كبيرة بعد القرصنة، حيث إن هذه السلعة كانت تأتي في المرتبة الأولى، إذ تساوي 80% من جملة تلك السلع التي تجلبها القوافل من السودان.⁽³⁾ ونتيجة لهذا التوقف تراجعت إرادات الباشا، وأصبح يتعرض إلى حالات إفلاس متكررة طيلة السنوات اللاحقة، حتى اضطر نهاية العشرينات إلى الاستدانة من التجار الأجانب، حيث استدانة من التجار الفرنسيين 400 ألف فرنك، بفائدة بلغت 100% متعهدا على تسديد الديون في آجال محددة، لكنه عجز عن تسديد هذه الديون في موعدها.⁽⁴⁾ ونتيجة لطلب حكومات الرعايا الأجانب المتكرر، اضطره إلى فرض ضرائب متكررة على السكان.⁽⁵⁾

(1) ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ترجمة عماد حاتم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1991م، ص 216.

(2) الفونصو روسو، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1992م، ص ص 320، 321.

(3) رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م، ص 255. كولا فوليان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرماني، ترجمة عبد القادر مصطفى الحبشي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م، ص 117. محمد مصطفى الشركسي، الغدامسيون هم فنيقو الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، السنة السابعة عشر، العدد الأول، يناير 1995، ص 64.

(4) حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، تحقيق محمد الأسطى، وعمار جحيدر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 2001م، ص 598. عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال أفريقيا، ترجمة عبدالسلام أدهم، منشورات دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 1969م، ص ص 177، 180. أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تعريب خليفة محمد التليسي، منشورات دار الثقافة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 341.

(5) جون فرانسيس ليون، من طرابلس إلى فزان 1818، ترجمة مصطفى جودة، منشورات الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1976م، ص 239.

وضرائب أخرى طالت زوجاته،⁽⁶⁾ وفي 20 يوليو 1832م فرض على سكان المنشية، والساحل، المعفيين أصلاً من الضرائب، مقابل تجنيدهم في الحملات العسكرية.⁽⁷⁾ لم يتقبل الأهالي قراره، وامتنعوا عن دخول المدينة، وكذلك الذهاب إلى سوق الثلاثاء، كإشارة عن نيتهم عن إعلان الثورة ضده.⁽⁸⁾ وأصبح من الصعب بعد هذا التصعيد أن يتراجع عن الضرائب التي فرضت على المنشية والساحل، لإيقاف الفوضى، ولهذا فإن هذا التعنت زاد من استمرار الثورة، واتسعت حين أنظم إليها حفيده محمد بك،⁽⁹⁾ وكذلك انضمام القنصل الانجليزي وارنجتون (Warrington) الذي استقر في منزله في الريف وسط الثوار، متخذاً هذا القرار بعد مجيء الأسطول الانجليزي في شهر يوليو 1832م بقيادة دنداس (Dundas)، الذي كان يطالب هو الآخر بالديون الإنجليزية، التي تجاوزت 180 ألف قطعة ذهبية.⁽¹⁰⁾

إن هذه الأوضاع اسهمت في تخلي الكثير من مؤيدي الباشا، ولهذا أشار عليه الوزير إبراهيم بومويس استدعاء وزيره محمد بيت المال المقيم في بنغازي لما له من تأثير مادي، وقبلي، وبإمكانه أن يعيد الهدوء، والنظام،⁽¹¹⁾ لكنه وفيما يبدو لم يكن متحمساً لفكرته، عندها واجهوه بمسؤولية مآلة إليه الولاية، ولهذا أشاروا عليه بأن يتنازل عن الحكم لابنه علي بك، آملينا في هذه الخطوة ستنهي

(6) رسالة من قنصل نابولي سافير يو دي مارتينو إلى صاحب السعادة أميركا سارو الوزير وسكرتير الدولة للشؤون الخارجية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1832م، بتاريخ 28 يوليو 1832م، وثيقة رقم 71. حسن الفقيه حسن، المصدر السابق، ص 597.

(7) شارل فيرو، الحوليات الليبية، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، الطبعة الثالثة، 1994م، ص 423.

(8) إسماعيل كمالي، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي، تعريب محمد مصطفى بازاما، منشورات دار لبنان للطباعة، 1965م، ص 83.

(9) كوستا نزيو برنبا، طرابلس من 1510 إلى 1850، تعريب خليفة محمد التليسي، منشورات الفرغاني، طرابلس ليبيا، 1969م، ص 336. عزيز سامح، المرجع السابق، ص 183.

(10) رسالة من قنصل نابولي سافير يو دي مارتينو إلى صاحب السعادة أميركا سارو الوزير وسكرتير الدولة للشؤون الخارجية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1832م، وثيقة رقم 67. الأرشيف البريطاني، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف عبدالكريم بوشويرب، وثيقة رقم 22.

(11) رودلفو ميكايي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، تعريب طه فوزي، مراجعة حسن محمود، كمال الدين عبد العزيز الخربوطي، إشراف محمد شفيق غربال، 1961م، ص 238.

الفوضى، خصوصا وإنه على قناعة بفشله في مواجهة هذه الأحداث المتسارعة،⁽¹²⁾ فقام باستدعاء قناصل الدول الأوروبية ومشاورتهم في فكرة تنازله، لكنهم واجهوه بحقيقة إن هذا الإجراء جاء متأخرا، وأنهم لا يملكون حق الاعتراف بالحاكم الجديد، دون العودة إلى حكوماتهم.⁽¹³⁾

وعلى هذا قرر يوسف باشا التنازل عن الحكم لابنه علي بك، في 12 أغسطس 1832م، في اجتماع ضم رجال الدولة، والأعيان، والوجهاء وأعلننا أمامهم أنه لم يعد في إمكانه قيادة البلاد، بسبب ما هو فيه من التعب الشديد، وأن حالته لم تعد تسمح بمواصلة قيادة البلاد، وعلى هذا قام الحضور بمباركة خطوة الباشا مبايعين علي بك، وأقسموا اليمين بالولاء التام، وأطلقت مدفعية المدينة عدة إطلاقا فرحا، بإعلان تولية الحاكم الجديد، لم يكن الثوار المحيطين بأسوار المدينة راضون عن تلك الخطوة، وظل عددهم يتزايد حتى وصل إلى 12000 مسلح، هذا عن المساعدات التي قدمها زعماء القبائل كعصمان الادغم زعيم مصراته.⁽¹⁴⁾

مع بداية فترة الحاكم الجديد الذي تميز في السابق بمقدرته على استتباب الأمن، وقيادة الجيش الذي قابل عبدالجليل في معركة الحطابة سنة 1831م، إلا أن قسوته على جنوده تركت سخطا شديدا على معاملته لهم، ولم يلاحظ عليهم فرحهم بتولي الحكم، أما السلطان العثماني محمود الثاني 1785-1839م فقد أرسل من طرفه في سنة 1833م فرمانا بتعيينه، في حين لم يكن هذه الإجراءات ليوقف الثوار، بل اصرروا على الاستمرار في قصف المدينة على الدوام.⁽¹⁵⁾

وبالنظر إلى موقف القناصل الأوروبيين فإنهم ظلوا بانتظار تعليمات حكوماتهم، وعلى هذا بقوا على الحياد، بخلاف القنصل الإنجليزي وارجنتون، وكما ذكرنا سابقا انتقل للإقامة بمنزله في الريف، حيث سهل عمليات جلب الذخائر، والأسلحة، من الإسكندرية، ومالطا، لصالح الثوار،⁽¹⁶⁾ وبالمثل

(12) محمد علي عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2000م، ص 232.

(13) رودلفو ميكاي، المرجع السابق، ص ص 238، 239.

(14) رحلة المبشر ايفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835، منشورات بيت الحكمة قرطاج، ترجمة منير الفندري، تونس، 1991م، ص 101. عمر علي بن إسماعيل، عمر علي بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795 - 1832، منشورات مكتبة الفرجاني، ليبيا، 1966م، ص 266. رودلفو ميكاي، المرجع السابق، ص ص 239-241.

(15) أحمد الطاهر الزاوي، ولاية طرابلس من الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، منشورات دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1970م، ص 234. شارل فيرو، المرجع السابق، ص 433. رودلفو ميكاي، ص ص 239، 240.

(16) شارل فيرو، المصدر السابق، ص 434. عزيز سامح، المرجع السابق، ص 185.

كان القنصل الأمريكي السيد ماكولاي (Macaulay) الذي كان يثير المشاكل، ويبحث عن مبررات لإنزال علم بلاده للالتحاق بصديقه وارنجتون في الريف، أما القنصل الفرنسي شوبيل (Shopil) فقد اعترف بشرعية علي باشا، وظل على موقفه طيلة فترة حكمه.⁽¹⁷⁾

ونتيجة لعدم انتهاء النزاع القائم فإن الأستانة أرسلت من طرفها ممثلا عن السلطان العثماني وصل طرابلس في فبراير 1834م، يحمل فرمانا آخر يؤكد شرعية علي باشا حاكما للبلاد،⁽¹⁸⁾ ولأن هذا أيضا لم يمهله النزاع القائم فإن الأستانة أرسلت في 26 مايو 1835م أسطولاً يتألف من 22 سفينة تحمل على متنها ما يقرب من 6000 جندياً،⁽¹⁹⁾ بقيادة مصطفى نجيب باشا، يتقدمها طراد يحمل شاكر أفندي كان مكلفاً بإبلاغ الباشا عن قرب وصول الأسطول العثماني.⁽²⁰⁾ كانت هذه الحملة التي كان ظاهرها مؤيدة، وداعماً لعللي باشا، لكنها كانت في الحقيقة مكلفة بمهمة إعادة طرابلس الغرب إلى الحكم المباشر للأستانة.⁽²¹⁾

وبمجرد أن رسي الأسطول في ميناء طرابلس حتى بادر علي باشا بالصعود إلى السفينة التي استقبل فيها من طرف نجيب باشا من دون أن يشك بنية مجاء من أجله، حيث استقبل بمراسم الأجلال الذي يليق بمكانته، حتى اطمأنت نفسه، وتأكد من أن هذا الأسطول جاء فعلاً لدعمه، وتثبيتته على كرسي الحكم، وعلى انفراد دار بينهم حديثاً مطولاً، كان في مجمله حول الأحداث التي عصفت بطرابلس، وفي نهاية اللقاء كان علي القرمانلي قد وافق على انزال الجنود، الذين وزعوا على مراكز مهمة في القلعة، وما إن تمكن هؤلاء من إحكام قبضتهم على المدينة،⁽²²⁾ حتى صدرت تعليمات إلى الحرس المدني، والأهالي، بتسليم أسلحتهم، والانسحاب إلى منازلهم، وفي اليوم التالي الخميس 28 مايو دُعي علي باشا لصعود السفينة مرة أخرى، وهناك أبلغه مصطفى نجيب باشا بفرمان عزله، وترحيله مع أسرته إلى الأستانة، في حين ترك يوسف باشا لتقدمه في السن، وأيضاً

⁽¹⁷⁾ شارل فيرو، المصدر السابق، ص 427. رودلفو ميكايي، المرجع السابق، ص ص 238، 243.

⁽¹⁸⁾ شارل فيرو، المرجع السابق، ص 432.

⁽¹⁹⁾ كوستا نزيو برنيا، المرجع السابق، ص 287.

⁽²⁰⁾ Anthony j Cachia , **Under The Second Ottoman Occvpation (1835 – 1911)**, Daral farjani, Tripoli, Libya, Second Edition 1975, p, 29.

⁽²¹⁾ أحمد الطاهر الزاوي، المرجع السابق، ص 234.

⁽²²⁾ محمد الهادي ابوعجيلة، النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية 1711 – 1835، منشورات جامعة قارونس، بنغازي، 1997م، ص 365. أحمد الطاهر الزاوي، المرجع السابق، ص 235.

ترك أولاده من زوجاته الزنجيات، كان هذا القرار قد دفع عثمان بن يوسف باشا القرماني إلى الهروب نحو مالطا؛ لأن أمه لم تكن زنجية.⁽²³⁾ ومن ثم خرج مصطفى نجيب باشا للقلعة، وقرأ على عامة الناس فرمان تعيينه حاكماً على طرابلس، وجاءت الأوامر بفتح أبواب المدينة، ونتيجة لدهشة ماحدث من أحداث متسارعة تفكك حشد الثوار، وهرب زعيمهم محمد بك حفيد الباشا إلى مصراته بعد أن تخلى عنه الجميع، حيث قتل فيها، وعادت الحياة في طرابلس إلى طبيعتها.⁽²⁴⁾

المبحث الثاني

موقف أهالي تاجوراء، ومصراته من الحكومة العثمانية الجديدة.

أولاً: حملة محمد رائف باشا على تاجوراء 31-يناير 1836م.

كانت هذه السيطرة فقط على طرابلس، ومحيطها من المنشية والساحل، ولكن المناطق البعيدة عنها ظل زعمائها رافضين للحكم الجديد، حيث كان عصمان الأدغم حاكم مصراته، وأحمد المريض حاكم ترهونة، وغومة المحمودي في جبل نفوسة، في موقف معارض محاطين بمؤيدين من مناطقهم، إلا أن الحكومة التركية نجحت باستدراج غومة المحمودي بالخديعة، وأودعته السجن في يوليو 1835م.⁽²⁵⁾

في هذا الوقت قامت أسطنبول بعزل مصطفى نجيب باشا، وكلفت الوالي محمد رائف الذي تولى البلاد في سبتمبر 1835م، وقد جاء بتعليمات تنص على إعادة الهدوء إلى البلاد، ورفع الظلم الذي عان منه السكان أيام القرمانيين، مع تعهدها في الوقت نفسه بتقديم المساعدات العسكرية، لإعادة الاستقرار، والأمن للبلاد، وقد كانت أولى خطواته إطلاق سراح غومة المحمودي من سجنه، إلا أن هذا لم يكن كافياً لإرضاء القبائل الثائرة،⁽²⁶⁾ فمثلاً الأهالي في المنشية لم يكونوا في حقيقتهم راغبين في التعاون مع السلطات العثمانية، إذ إن موقفهم لم يكن واضحاً، وهذا لوحظ في امتناعهم عن التردد

(23) انتوني جوزيف كاكيا، ليبيا في العهد العثماني الثاني، ترجمة يوسف حسن العسلي، منشورات دار إحياء الكتب العربية، ليبيا، 1946م، ص 38.

(24) شارل فيرو، المصدر السابق، ص 440، 441. رودلفو ميكاكي، المرجع السابق، ص 248. أحمد الطاهر الزاوي، المرجع السابق، ص 235. محمد الهادي بوعجيلة، المرجع السابق، ص 467.

(25) كوستا نزيو برنبا، المرجع السابق، ص 291. ن. أ. بروشين، المرجع السابق، ص 266. برنبا ص 291. انتوني جوزيف كاكيا، المرجع السابق، ص 38.

(26) ن. أ. بروشين، المرجع السابق، ص 266-267، 268. انتوني جوزيف كاكيا، المرجع السابق، ص 39.

على أسواق طرابلس،⁽²⁷⁾ واتجهوا بمحاصيلهم لأسواق تاجوراء، الذي أصبح مركزها التجاري يتصاعد، وحرمت الأتراك من الاستفادة من مواردها، وهو مذهب بالوالي إلى إلزامهم بضريبة قدرت بـ 5000 كولونات، لكنهم رفضوا الالتزام بها، كما أن هناك عاملاً آخر كان محركاً لتمرّد الأهالي في تاجوراء، وهو وجود والدته، وشقيقة محمد القرماني الذي سبق وإن تم استدعاؤهن إلى طرابلس من طرف الحكومة، ولكنهما التجأ إلى أهالي تاجوراء الذين تعهدوا على حمايتهن، ولهذا رأى محمد رائف الأسباب مواتية في مهاجمة تاجوراء، التي خرج إليها في 31 يناير 1836م، وقد دارت معارك ضارية قتل فيها ما يقرب من 500 شخص، والاستيلاء على أملاك التجار ومتاجرهم، وإعدام سبعة من زعمائها، والقبض على الكثير من التجار كأسرى حرب.⁽²⁸⁾ كان هذا الانتصار دافعا لأن يقوم محمد رائف بإرسال جيشه إلى جنزور التي حقق فيها انتصارات أعادت الأمن فيها، ومن ثم توجه إلى الزاوية التي نجح في إخضاعه، وإجبارهم على دفع الضرائب.⁽²⁹⁾ وفيما يبدو أن السلطات العثمانية كانت على علم بما أحاط تلك الانتصارات من مجازر عنيفة، سيعقبها انتقام من الأهالي، ولهذا سارعت إلى عزل محمد رائف في يونيو 1836م، وتكليف طاهر باشا.⁽³⁰⁾

ثانيا: حملة طاهر باشا على مصراته 10-يوليو 1836م.

وبالمثل كانت مصراته بقيادة زعيمها عصمان باشا الأدغم تكن الكراهية للحكام الجدد، ولا زالت لا تعبأ بمخاطبات الصلح التي تصلهم من طرابلس، فالطريقة التي استميل بها غومة، وسجنه ليست ببعيدة لأن يثق هؤلاء بالحكومة، بل إن تحالفات جديدة رسمت بعد خروج غومة من سجنه بينه وبين الشيخ أحمد لمريض زعيم ترهونة، والأدغم، وعبد الجليل سيف النصر المستقل بسرت، وهكذا ظلت مصراته خارجة عن الطاعة حتى عام 1836م.⁽³¹⁾ في هذا الوقت كانت الأستانة على علم بما يحاك، ولهذا أسرعت إلى إرسال تعزيزات عسكرية، استقبلها والي طرابلس في 22 يونيو 1836م،

(27) كوستا نزيو برنيا، المرجع السابق، ص 292.

(28) أحمد نائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، ليبيا، بدون تاريخ، ص 341. شارل فيرو، المصدر السابق، ص 452. ن. أ. بروشين، المرجع السابق، ص 267، 268. انتوني جوزيف كاكيا، المرجع السابق، ص 39.

(29) ن. أ. بروشين، المرجع السابق، ص 268.

(30) شارل فيرو، المصدر السابق، ص 452. انتوني جوزيف كاكيا، المرجع السابق، ص 39.

(31) شارل فيرو، المصدر السابق، ص 452، 453. ن. أ. بروشين، المرجع السابق، ص 268. انتوني جوزيف كاكيا،

المرجع السابق، ص 39.

كانت هذه القوة ضخمة إذ كانت تتألف من ثلاث بوارج، وسفينتين كبيرتين، إلى جانب تنتينو، وبريق، ونقرتين، هذا عن عشرة سفن تحمل على متنها 4000 عسكريا، وبطارتين من المدفعية، وكميات كبيرة من الأمتعة، واللباس العسكري، والمأكولات، بقيادة أحد كبار الاميرالية العثمانية طاهر باشا،⁽³²⁾ صاحب الخبرة والشهرة العسكرية الواسعة، إذ سبق له، وأن شارك كقائد للأسطول البحري العثماني في معركة نافارين (Navarino) سنة 1827م، أثناء المواجهات التي دارت في اليونان ضد السلطان العثماني سنة 1821-1832م.⁽³³⁾

كان يرافق هذه الحملة أيضا القائد العسكري منير باشا، وبالنظر إلى الفرمان الذي جاء بتكليف هذا الأخير، وطاهر باشا من السلطان العثماني فإنه ينص على " إن إرادتي اقتضيت تعيينك لتلك الجهات ممنوحا الاستقلال الكامل في العمل، ولك أن تستخدم العساكر النظامية الذين زود بهم فريق البحر منير باشا من الأسطول وسفني الملكية بسبب الحاجة للسوق، والإنزال برا وبحرا، ومكافأة المطيعين للسلطنة والتكليف بالمخالفين وأن تسعى لتحسين حالة الايالة ".⁽³⁴⁾

ويمكننا أن نقول إن هذه القوات هي تكملة لعدد الجنود الذين جاءوا رفقة الحملة التي قادها مصطفى نجيب باشا، وبهذا أصبحت القوات العثمانية تفوق 10000 جندي، لكننا نرى أن الباب العالي، وحسب مانص عليه الفرمان، فإنه راغب في القضاء على تلك الزعمات، وأنه أصبح يدرك جيدا فعالية هؤلاء المعارضين من استخدام الخيول في المعارك أكثر من اعتمادهم على جنود المشاة، ولهذا وصلت حملة أخرى تحمل مايقرب من 8000 فارس، برئاسة حسن باشا، في حين أوعزت إلى طاهر باشا بضرورة شراء 400 حصان أخرى من بنغازي، وصفاقس.⁽³⁵⁾

وعلى العموم فإن كل القوة التي وصلت اتخذت معسكرا خارج أسوار المدينة، تحت إشراف منير باشا، ومع مطلع صباح اليوم التالي نزل طاهر باشا من على ظهر سفينة القيادة رفقة حرسه الخاص،

⁽³²⁾ رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غرالييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 12. رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غرالييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 9.

⁽³³⁾ عمر عبدالعزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516 - 1922، منشورات دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص 314.

⁽³⁴⁾ عزيز سامح، المرجع السابق ص 162.

⁽³⁵⁾ رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غرالييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 9.

وبصحبته كبار موظفي الدولة، حيث كان الأهالي مصطفىين لتحييتهم، وقد نصبت خيمة لعقد اجتماع موسع مع مشايخ المنشية، وأعيان المدينة، كانت فحواه ثني القبائل الثائرة عن موقفها، ومحاولة إيجاد السبيل إلى رجوعها للانطواء تحت سلطة الدولة، ويبدو أنه تم الاتفاق على إعطاء تلك القبائل فرصة أخرى يمكن معها تجنب الحرب، وهذا ما تبين حين أرسل البريد مقابل العفو النهائي، والكامل عن مواقفهم السابقة، لكن الباشا انتظر لأسبوعين ولم تأتیه ردود على رسائله.⁽³⁶⁾ حينها قرر التحرك ليلا يوم 8 يوليو 1836م نحو مصراته، ويبدو أنه اتخذ هذا التوقيت حتى يباغت الأهالي بعيدا عن عيون المخبرين، حيث كانت الأوامر للجند بترك خيامهم، والتوجه إلى السفن، وقد حملت جميع المعدات الحربية من مدافع ميدان بأحجامها الكبير، والصغير إلى جانب الذخائر بكميات كبيرة، وحين بزغ فجر اليوم 9 يوليو تحركت السفن لكنها اتجهت باتجاه الغرب، وعند المساء رجعت لتكمل طريقها نحو الشرق باتجاه مصراته، ولأن المسافة كانت تقدر بثمانية ساعات فإن الأسطول وصلها صباح اليوم التالي.⁽³⁷⁾

نجح طاهر باشا من إنزال جيشه في ميناء سيدي أبي شعيقة، من دون أن يشكل إنزاله عائق إلا من مقاومة محدودة، وحين أنزل كامل الجيش أدرك طاهر باشا الخطر الذي وقع فيه، إذ تعرض إلى إطلاق نار مكثف يصعب معه تحديد مصادر النيران، بسبب تلك التحصينات المنيعة، والمتباعدة التي اتخذها الثوار، وممايز أيضا هذه النقاط، المدد الذي كان يصلها من المناطق المجاورة، وهذا أوقف طاهر باشا مايقرب من 28 يوما دون تحقيق نصر، حيث أوجعت تلك الضربات جيشه، ولم تتوقف كذلك غارتهم المتكررة، ما دفعه إلى الاحتماء خلف أشجار النخيل التي قام بقطعها لتكون حصنا آمنا له ولجنوده.⁽³⁸⁾ وفي هذا الصدد يؤكد شارل فيرو أن طاهر باشا يفقد للحنكة العسكرية،

⁽³⁶⁾ رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 12.

⁽³⁷⁾ رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 14.

⁽³⁸⁾ رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 18.

إذ تمكنت المقاومة التي لم يكن يبالي بها، من منعه من مغادرة معسكره، وظل لفترة طويلة تحت حصار مطبق.⁽³⁹⁾

نتج عن هذا قلق، وخوف انتاب القوات العثمانية المنتشرة في المكان، حيث كانت تتوقع أن يقوم الثوار بهجوم مفاجئ مع أي لحظة، وهذا تحقق حين اقترب الثوار من إحدى النقاط، ووقعت فيها اشتباكات، انتهت بمقتل ما يقرب من 200 جنديا تركيا، وبهذه الحصيلة ارتفع عدد من قتلوا في صفوف الجند إلى 600 جندي، في الوقت نفسه كانت الخسائر بين الثوار هي الأخرى في ازدياد، ومن جهة أخرى فإن الإمدادات التي كانت تجلب من طرابلس لصالح طاهر باشا من الذخائر، والمواد الغذائية كانت تسهم في تقدم تدريجي في ساحة المعركة.⁽⁴⁰⁾

أيضا ساهمت الرقابة العثمانية التي كانت تجوب ساحل مصراته عن نجاحها في القبض على شحنة من الذخائر، والأسلحة، تحملها سفينة إنجليزية كانت في طريقها لمصراته لدعم الثوار.⁽⁴¹⁾ وهذا ما يفسر موقف القنصل الانجليزي الداعم للثوار، كما كان يقوم في السابق بنفس الدعم لثوار المنشية والساحل، وقد دفع هذا إلى أن يقوم طاهر باشا بفرض حصار بحري على السواحل الممتدة من مصراته، وحتى طرابلس.⁽⁴²⁾

كان طاهر باشا مدركا للخطر الذي سيواجهه من عواصف شهر سبتمبر، والتي ستمنعه من رسو سفنه في ميناء مصراته، ولهذا كانت للبasha فرصة محدودة في أن ينجح في القضاء على الثوار قبل نهاية شهر أغسطس، وإلا سيبقى في موقف حرج.⁽⁴³⁾ كان من ضمن الحلول التي لجأ إليها طاهر باشا هو محاولة استمالة الثائرين، وقد نجح في استمالة الكثيرين منهم، وقد شعر الأدغم بأن نصف

⁽³⁹⁾ شارل فيرو، المصدر السابق، ص 453 .

⁽⁴⁰⁾ رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 18.

⁽⁴¹⁾ رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 18.

⁽⁴²⁾ رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 19 .

⁽⁴³⁾ رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 18.

مقاتليه لايمانعون في خيانتة.⁽⁴³⁾ ومع ذلك تمكن بحنكته تثبيت جيشه، وبث روح التفاؤل بتحقيق النصر، لاسيما بعد أن تمكن أحد المواقع من إصابة معسكر الباشا بستة مدافع محققة إصابات مباشرة، نتجت عن مقتل الكثير منهم، في حين بادر الباشا على عجل بتكليف مجموعة من العساكر تسانده قوة أخرى من الفرسان، بالالتفاف خلف خطوط الثوار، فتمكن من مفاجئتهم، وتسببت في حالة من الهلع، والهروب تاركين مدافعهم الستة، ومعداتهم التي وقعت بأيدي الاتراك، وهذا مكن الجيش من التقدم، وتقهقر جيش الأدغم تاركين مواقعهم المحصنة التي أصبحت تنهار، وتقع بأيدي الاتراك، ومن هول المشهد تفككت صفوف المقاتلين، حتى أيقنوا أنها الهزيمة ما دعا بالأدغم أن لا محالة من الصمود، وأنه مضطر للهروب، وقد خرج من مصراته متجها إلى ترهونة صحبة 60 شخصا من أفراد أسرته، ورجاله المخلصين، هذا عن أمواله التي نقلها على 30 جملا.⁽⁴⁴⁾

وهكذا استولى طاهر باشا على مصراته بعد مايقرب من 28 يوم من الحرب، بعد أن تركت ساحة المعركة بكثير من جثث القتلى من كلا الطرفين، ومن ثم قام بتعيين حاكما جديدا، وترك جزء من الجيش لحماية المدينة، وأعلن في الناس عن مكافأة قدرها 1200 ريال دورو، لمن يتمكن من القاء القبض على عصمان الأدغم.⁽⁴⁵⁾

غادر جيش الباشا مصراته متوجها إلى طرابلس بعد 20 يوما من هزيمة الأدغم، وفي طريق عودته أخضع المناطق التي على طريقه، مثل: زليتن، والخمس، وكذلك المناطق الصغيرة الأخرى، وما وصل إلى طرابلس حتى كانت كل مناطق الساحل الممتدة من هذه الأخيرة، وحتى مصراته في قبضة الدولة العثمانية.⁽⁴⁶⁾ كان طاهر باشا يفكر في تجهيز حملة أخرى إلى ترهونة التي لجأ إليها عصمان الأدغم فجهز حملة كان على رأسها درسون باشا، وحسين باشا المصري، وعثمان باشا، وحين وصلها وجد أن معظم الأهالي راغبون في الدخول تحت طاعة الباشا،⁽⁴⁷⁾ أما نصفها الآخر

(43) كوستا نزيو برنيا ، المرجع السابق ، ص 341 .

(44) رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836 ، وثيقة رقم 20 .

(45) رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836 ، وثيقة رقم 20 .

(46) عزيز سامح، المرجع السابق ، ص 193 .

(47) أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص 342.

فكان قد انظم إلى زعماء المعارضة الذي يقودها أحمد المريض والأدغم، وعلى هذا الموقف وقعت معركة استمرت ليوم واحد انسحب فيها الأدغم، والمريض إلى غريان، لكن الباشا تمكن من استمالة الادغم وابنه مع ثلاثة من المشايخ، وأودعهم السجن في طرابلس، ثم قام بإرسالهم إلى أسطنبول.⁽⁴⁸⁾

المبحث الثالث: موقف أهالي غريان من الحكام الجدد لطرابلس 1837

مع هذه الانتصارات وجه طاهر باشا أنظاره إلى غريان، لكنه أراد أن يتصالح مع غومة حتى لا يكون عقبة في مخططه، ولهذا بادر بمراسلته في مقر إقامته بجبل نفوسة مع مطلع سنة 1837م، لكنه تجاهل رسائله.⁽⁴⁹⁾ وهذا يفسر أنه لم يعد راغبا في الاتصال بحكام طرابلس، وهذا الموقف تبين منذ إطلاق سراحه، إلا أن هناك من يقول إنه لا زال على تواصل مع والي طرابلس.⁽⁵⁰⁾ والحقيقة هو أن الباشا مصممٌ على إنهاء الفوضى، ولهذا فإن غومة كان يعد العدة للمواجه، وعلى استعداد تحسبا لمخططات الباشا المعلنة، فالجيش العثماني قد حقق في شهري أكتوبر، ونوفمبر عام 1836م انتصارات على الشيخ (علي المحمودي) وهو ابن شقيق الشيخ غومة، اسفرت عن مقتل مايقرب من 300 شخص تابعين لقبيلة المحاميد، وحصول الأتراك على الإبل، والمواشي بأعداد كبيرة.⁽⁵¹⁾

إن موقف الشيخ غومة الرفض، والقبائل التي تدعمه، سمح لطاهر باشا أن يحرك جيشه إلى غريان في 9 فبراير 1837م، وقد قدر هذا الجيش بحوالي 5700 جنديا، حيث خرجت الحملة من طرابلس، وسلكت الطريق الذي يمر بوادي المجنيين، حيث تزودت بالماء للجنود والحيوانات، وعندما اقتربت من مشارف غريان كان الأهالي على أتم الاستعداد للمواجه، خاصة وأن غريان تمتاز بتحصينات منيعة، هذا عن موقعها في أعلى قمة الجبل.⁽⁵²⁾

⁽⁴⁸⁾ عزيز سامح، المرجع السابق، ص 193 .

⁽⁴⁹⁾ رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غرايتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836 ، وثيقة رقم 12.

⁽⁵⁰⁾ رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غرايتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 9. أحمد النائب الأنصاري ، المصدر السابق، ص 341.

⁽⁵¹⁾ إسماعيل محمد الطوير ، مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني في أيلة طرابلس 1835 - 1836، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م، ص 88.

⁽⁵²⁾ أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص 343. عزيز سامح، المرجع السابق، ص 194. محمود أحمد الديك، ملامح الحياة الصحية في ليبيا خلال العهد العثماني، مجلة البحوث التاريخية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، السنة الثالثة والعشرون، العدد الثاني، طرابلس، يوليو 2001م، ص 81.

لكن طاهر باشا تمكن رغم كل ذلك من تحقيق انتصارات مؤقتة، وفي هذه الأثناء تدخل الشيخ غومة الذي وصل إلى غريان بنجدة من الإمدادات، أوقفت نجاح الباشا في تحقيق نصر حاسم، بل إن المعارك التي استمرت بعد ذلك لم تسفر عن نتائج خاطفة مثلما تحققت في ترهونة، ومصراته، إذ انضمت قبائل من أماكن متفرقة، وبأعداد غفيرة لنصرة الأهالي، مامكن في النهاية من انتصار الشيخ غومة، واستيلائه على غنائم كبيرة من الأسلحة، والذخائر إلى جانب مدفع ميدان.⁽⁵³⁾

وبالاطلاع على رواية حسن الفقيه حسن بهذا الخصوص، وهو معاصر ومؤرخ هذه الأحداث فيقول إن طاهر باشا كان قد حقق انتصارات حاسمة في غريان، وهذا مادفع بالقائد منير باشا من أن يسمح للمدفعية أن تحي طاهر باشا بعدة طلقات أثناء عودته إلى طرابلس في 12 مارس 1837م.⁽⁵⁴⁾

وعلى العموم حتى، وإن أخذنا برواية حسن الفقيه فإن هذه الانتصارات تبقى محدودة، وليست بالأهمية، مقارنة بالمعارك التي فعلا حققها الشيخ غومة، فرواية الفقيه تبقى محل شك في صحتها، لعلاقته اللصيقة برجال الحكومة، إذ يعتبر نفسه ضمن رجال القصر الذي شهد فترة القرمانيين، والعصر العثماني، فمن البديهي أن يتجنب في أحيان كثيرة تدوين الخسائر التي لحقت بالجيش التركي، ولهذا يضطر إلى تدوين الهزائم التي لحقت بالثوار، وهذا يمكن أن يكون راجعا إلى خوفه من تتبع الرقابة العثمانية المتفطنة لكل مايكتبه، أو ما يقال في المجالس العامة، كما أنه كان يحظى بمكانة اجتماعية مكنه في زمن القرمانيين أن يكون عضوا بارزا في مجلس الديوان، وأن يكون أيضا مع مجيء العثمانيين في مقدمة الوفود التي رحبت بالحاكم الجدد، وكان على رأس الوفود التي كانت تقوم بتهنئة الباشا في كل الانتصارات التي كان يحققها ضد الثائرين.⁽⁵⁴⁾

أما وإذ نظرنا إلى شهادة لوتسانو دي صوما قنصل نابولي معاصر تلك الأحداث فإنه يؤكد أن مدفعية الحصون، والسفن الراسية، كانت بالفعل قد قامت بتحية الباشا نتيجة غيابه لأشهر في غريان، وليس لتحقيقه نصر حاسم كما زعم حسن الفقيه، بل إن المعارك التي خاضها هناك كانت مخزية

(53) أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص 342. عزيز سامح، المرجع السابق، ص 194.

(54) حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، إيالة طرابلس الغرب في أوائل العهد العثماني الثاني 1835-1861م، الجزء

الثالث، تحقيق عمار محمد جحيدر، منشورات دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2023م، ص 129.

(54) رسالة من يوسف باشا إلى حسن الفقيه حسن تبين طلب يوسف باشا مبلغ من المال من حسن الفقيه حسن، المركز

الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، مجلد الفقيه حسن 24، وثيقة رقم 12.

للجيش العثماني.⁽⁵⁵⁾ ويقول مفصلاً لتلك الأحداث إن "عرب جبل غريان قد هاجموه خمسة مرات متعددة، وأجبروه على أن يترك المواقع التي كان قد انتزعها منهم شبراً بشبر، وخلافاً لما كان يبدي" ويقول أيضاً أن طاهر باشا كان قد اقتنع بـ "فقدان كل أمل وأن يتراجع بعد أن خسر 600 تقريباً من رجاله، وقطع من المدفعية، وكان الكثير منهم قد مات أيضاً بوباء الطاعون، والأكد أن قواته قد ضاع نصفها، فالمسيرات الطويلة في الرمال والنقصان في الماء، والمؤن، والمشاق، كل ذلك اسهم في حالة من الاستياء في جيش طاهر باشا".⁽⁵⁶⁾

وما يؤكد رواية لوتسانو دي صوما أن الباشا أجبر على عقد الصلح مع الأهالي في مقابل أن يعترف بتعيين حسن أغا، الذي اختير بموافقة الثوار مديراً على غريان، على أن يعيد الشيخ غومة الذخائر، والأسلحة التي غنمها، وتجدر إشارة أخرى لما تعرض له الباشا من خسائر لحقت بالخيول التي كانت المعول الكبير في هذه الحملة، إذ كانت تجر المدافع، وتحمل المؤن، ويمتطيها الجنود، مادفعه إلى الاستنجاد بحاكم تونس لمساعدته في توفير أعداد كبيرة منها، والتي عجز عن توفيرها حالياً في الولاية.⁽⁵⁷⁾

في مستهل هذه الأحداث كانت الأستانة التي تراقب ما يجري مستاء من فشل طاهر باشا في تحقيق نتائج مرضية، رغم كل تلك الإمكانيات، هذا عن أن علاقاته كانت سيئة مع جميع القناصل، وخصوصاً قنصلي إنجلترا، وفرنسا، إذ تكررت شكواهم لدى الباب العالي، مما أجبر أسطنبول إلى اتخاذ موقف حازم بإنهاء مهامه في طرابلس، وتعيين حسن الجشملي باشا الذي وصل إلى طرابلس في 29 مايو 1837م كحاكم جديد للولاية.⁽⁵⁸⁾ وكان برفقته عصمان الأدغم زعيم مصراته على نفس السفينة، والذي سبق، وأن تم القبض عليه في ترهونة السنة الماضية، وإرساله إلى أسطنبول، وفيما يبدو أنه عاد متعهداً بطاعته للحكومة العثمانية، حيث جاء محملاً بالهدايا النفيسة، بقصد كسب

⁽⁵⁵⁾ رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1837 ، وثيقة رقم 23.

⁽⁵⁶⁾ المصدر نفسه.

⁽⁵⁷⁾ رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء أميركا سارو ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836 ، وثيقة رقم 18 . محمد أحمد الطوير ، المرجع السابق، ص 93.

⁽⁵⁸⁾ رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء أميركا سارو، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1837 ، وثيقة 420 . عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص 195.

شعبيته بين الأهالي، ولتخفيف بعض من الانطباعات المتعلقة بالعمليات الحربية الدامية التي خلفها طاهر باشا.⁽⁵⁹⁾ وفي الوقت نفسه نبهت أسطنبول على الحاكم الجديد اتباع سياسة التهدئة، والاعتدال، ولهذا أعتقد أنه سوف سيكتفي بتسيير الولاية من مكتبه بالقلعة، غير مدرك لعواقب مايقوم به، فزعماء القبائل تكمن فرصتهم في العودة إلى إعلان الثورة حين تشعر بمجيء حاكم ضعيف، وماهي إلا أيام حتى خرج الأهالي عن طاعة الوالي في ترهونة، وغريان، وجنزور، وزاوية.⁽⁶⁰⁾

كان موقف الشيخ غومة مغائرا، إذ إنه كان لايمانع من الانضمام، والتصالح مع الباشا، بشرط مشاركته، وعدم تهميشه، على أن يكون زعيما معترفا به على الجهات التي يسيطر عليها في جبل نفوسة، وهذا أيضا ماتؤكدده الرسالة التي استقبلها القنصل الإنجليزي وارانجتون من عبدالجليل سيف النصر، حيث أشارت بكل وضوح في رغبة الشيخ غومة بمصالحة الباشا، والدخول في طاعته.⁽⁶¹⁾ وبما أن المنطقة كانت قد خرجت عن طاعة حسن الجشمهالي، فإن هذا الأخير لم يجد ودأ من مخاطبة الشيخ غومة، والسماح له بزعامة مناطقه، ولكن بشرط أن يتعهد له بدفع مبلغ 8000 قرشا، كل عام، إلا أن هذه المحادثات فشلت بسبب طلب الباشا تسديد هذا المبلغ بتاريخ رجعي.⁽⁶²⁾

وقد تسبب هذا الفشل في خروج غريان عن سيطرة الباشا، وامتنعت عن تسديد الضرائب التي سبق، وأن تم الالتزام بها في اتفاقيات سابقة، فهذه الأحداث لم تكن تصب في صالح الباشا الذي كان يعاني من تأخر وصول رواتب الجند منذ مايقرب من عشرة أشهر، وعجزه عن محاولة دفعها من الإيرادات الداخلية، مما أثار استياء واسعاً في صفوف الجيش، الذي لم يكن جاهزا للدخول في

⁽⁵⁹⁾ رسالة من قنصل نابولي بطرابلس لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء أميركا سارو، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1837. الوثيقة رقم 28. ن. أ. بروشين، المرجع السابق، ص 273.

⁽⁶⁰⁾ رسالة من الشيخ عبد الجليل سيف النصر إلى القنصل الإنجليزي وارانجتون، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، الأرشيف البريطاني، ملف عبدالكريم بوشويرب، وثيقة رقم 85.

⁽⁶¹⁾ رسالة من الشيخ عبد الجليل سيف النصر إلى القنصل الإنجليزي وارانجتون، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، الأرشيف البريطاني، ملف عبدالكريم بوشويرب، وثيقة رقم 85.

⁽⁶²⁾ علي مصطفى المصراطي، غومة فارس الصحراء، منشورات مكتبة الفكر، 1960م، ص 98. ن، أ، بروشين، المرجع السابق، ص 274.

حرب ضد الثائرين، لكن الباشا تعمد تجهيز جيشه، وهو في هذه الحالة حيث أرسل 2700 جندي نحو غريان، وقد تمركزت هذه القوة في السهول المقابلة لغريان دون أن تدخل في معركة حقيقية.⁽⁶³⁾ وهذا ما يؤكد أن الباشا لا يملك القدرة في القضاء على الثائرين، بل أن هذه المغامرة أكدت للشيخ غومة مدى ضعف الباشا، ماسمح له أن يخرج بجيشه الذي قدر بـ (1000) مسلح باتجاه الزاوية، وجنزور، وأن يقوم بقطع الطرق التي يمر منها بريد الباشا، هذا عن تحريضه للأهالي، وحثهم على الانضمام إلى جيشه، وبرجوعه صوب غريان تمكن من القبض على جند الحامية، فوقع في الأسر ما يقرب من 150 جندياً.⁽⁶⁴⁾

اضطرت الأستانة أمام هذه الاضطرابات إلى إرسال علي عشقر باشا الذي وصل لطرابلس في 30 أغسطس 1838م، وبرفقته حليم باشا قائد الفرسان، ودورسون أمير اللواء، وكغيره اتبع الوالي الجديد الوسائل الودية مع الأهالي، والثائرين، وكان يعلم بما يدور في الولاية من سيطرة غومة المحمودي وتمكنه خلال الفترة القليلة الماضية من استرداد الأسلحة التي سلمها في السابق لحسن الجشميلي⁽⁶⁵⁾، لكنه تغاضى عن كل ذلك، واتجه إلى فض كل النزاعات بين القبائل بشكل ودي، حيث تدخل في النزاع القائم بين أهالي ورشفانة من جهة، وبين الشيخ غومة المحمودي من جهة أخرى، بسبب ما قامت به مجموعة من أهالي ورشفانة بالاستيلاء على 325 ناقة مع مواشي أخرى، أخذت من رعاتها، تخص الشيخ غومة، حيث نجد إن علي عشقر باشا يقوم بتكليف وفد من أبرز الأعيان الموالين، ويثق كثيراً فيهم مثل: علي زيدان، ومحمد بيت المال، ومحمد التركي، ومحمد الطنجي، وأربعة من مشايخ المنشية، وأربعة من مشايخ الساحل، بلقاء أهالي ورشفانة، لتفاوض على إعادة الإبل إلى مالكيها.⁽⁶⁶⁾

بهذه البادرة الطيبة التي قدمها الباشا الجديد، بإعادة الإبل لصاحبها فإن هذه الحادثة كانت فرصة لعرض الصلح على الشيخ غومة، وكانت هذه فرصة استغلها هذا الأخير أيضاً فبادر

⁽⁶³⁾ رسالة من قنصل نابولي بطرابلس لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء أميركا سارو، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1838. الوثيقة رقم 5.

⁽⁶⁴⁾ المصدر نفسه.

⁽⁶⁵⁾ أتوري روسي، المرجع السابق، ص 362.

⁽⁶⁶⁾ رسالة من علي عشقر باشا إلى محمد بيت المال، مجلد الفقيه حسن 24، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف محمد بيت المال، وثيقة رقم 77.

بالترحيب بها،⁽⁶⁷⁾ وعندها قام الباشا بإرسال لجنة تكونت من مصطفى قرجي رئيس الميناء، والقائد محمد التركي، وطوسم باشا، ورققة بعض الأعيان في 19 أكتوبر 1838م، لمقابلة الشيخ غومة تم فيها الاتفاق بينهم بأن تكون مناطق جبل نفوسة، والزاوية، وغريان، تحت زعامة هذا الأخير، مقابل أن يدفع للباشا 3000 ريال دورو سنويا، وأن يتعهد بالتوقف عن كل مظاهر التسلح.⁽⁶⁸⁾

وهكذا تمكن العثمانيون من إعادة ليبيا تحت حكم السلطة المركزية في طرابلس، بعد صراع دام عامين وخمسة أشهر، ولكن هذه الحلول المؤقتة انهارت في إبريل 1839م، وبدأت مرحلة أخرى شهدت فيها الولاية حروبا مسلحة في الجبل، وسرت، وفزان، انتهت بإخضاع الزعمات القبلية على كامل الولاية سنة 1858م.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج وهي:

- 1- كان الصراع الأسري على السلطة سببا في إعادة طرابلس إلى حاضنة الدولة العثمانية. وهذا مامكن من توسع نفوذ الزعمات القبلية التي دعمت اطراف الصراع طيلة هذه الفترة.
- 3- تبين أن انهيار الأسرة القرمانلية المفاجئ، وسع فجوة الثقة بين تلك الزعمات، والحكام الجدد. هذا عن عدم تفهم المجتمع القبلي لمفهوم الدولة.
- 5- اتضح أن الأستانة كانت رغبة في إنهاء الصراع بالقوة العسكرية من دون مشاركة زعماء القبائل، وهذا مادفعها إلى تعزيز الدعم العسكري المتواصل من قادة، وجنود، وذخائر، وأسلحة.
- 6- أن كل الانتصارات التي حققها الجيش العثماني لم تكن حاسمة، إذ سرعان ماكانت مناطق الثورة، تعود إلى ماكانت عليه. وهذا اعتراف بحقيقة عجز الحكام العثمانيين رغم ماكان يصلهم من إمكانيات ضخمة.
- 8- الوصول إلى تفاهات مقابل جزية سنوية، كانت أفضل الحلول التي أنصاع إليها الأتراك.

⁽⁶⁷⁾ رسالة من عبدالجليل سيف النصر إلى محمد بيت المال ، مجلد الفقيه حسن 24 ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف محمد بيت المال ، وثيقة 76 . رسالة من علي عشقر باشا إلى محمد بيت المال ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، مجلد الفقيه حسن 24، ملف محمد بيت المال، وثيقة رقم 77.

⁽⁶⁸⁾ رسالة من الشيخ عبدالجليل سيف النصر إلى القنصل الانجليزي وارنجتون، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، الأرشيف البريطاني، ملف عبدالكريم بوشويرب، وثيقة رقم 82. شارل فيرو ، المصدر السابق ، ص 457.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة.

- 1- رسالة من قنصل نابولي سافير يو دي مارتينو إلى صاحب السعادة أميركا سارو الوزير وسكرتير الدولة للشؤون الخارجية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1832، بتاريخ 28 يوليو 1832م، وثيقة رقم 71.
- 2- رسالة من قنصل نابولي سافير يو دي مارتينو إلى صاحب السعادة أميركا سارو الوزير وسكرتير الدولة للشؤون الخارجية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1832م، وثيقة رقم 67.
- 3 - رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 12.
- 4- رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 14.
- 5- رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 19.
- 6- رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 18.
- 7- رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 20.
- 8- رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1836، وثيقة رقم 9.
- 9- رسالة من يوسف باشا إلى حسن الفقيه حسن تبين طلب يوسف باشا مبلغ من المال من حسن الفقيه حسن، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، مجلد الفقيه حسن 24، وثيقة رقم 12.
- 10- رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء دوق غراييتزي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1837، وثيقة رقم 23.
- 11- رسالة من قنصل نابولي لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء أميركا سارو، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1837، وثيقة 420.

- 12- رسالة من قنصل نابولي بطرابلس لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء أميركا سارو، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1837. الوثيقة رقم 28.
- 13- رسالة من الشيخ عبد الجليل سيف النصر إلى القنصل الإنجليزي وارانجتون ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، الأرشيف البريطاني، ملف عبدالكريم بوشويرب، وثيقة رقم 85.
- 14- رسالة من قنصل نابولي بطرابلس لوتسانو دي صوما إلى رئيس الوزراء أميركا سارو، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف نابولي 1838. الوثيقة رقم 5.
- 15- رسالة من علي عشقر باشا إلى محمد بيت المال، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، مجلد الفقيه حسن 24، ملف محمد بيت المال، وثيقة رقم 77.
- 16- رسالة من عبدالجليل سيف النصر إلى محمد بيت المال ، مجلد الفقيه حسن 24، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف محمد بيت المال، وثيقة رقم 76.
- 17- رسالة من علي عشقر باشا إلى محمد بيت المال، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، مجلد الفقيه حسن 24، ملف محمد بيت المال، وثيقة رقم 77.
- 18- رسالة من الشيخ عبدالجليل سيف النصر إلى القنصل الإنجليزي وارانجتون، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، الأرشيف البريطاني، ملف عبدالكريم بوشويرب، وثيقة رقم 82.
- 19- الأرشيف البريطاني، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ملف عبدالكريم بوشويرب، وثيقة رقم 22.
- ثانيا: المصادر المنشورة.
- 1- أحمد نائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، منشورات مكتبة الفرجاني، ليبيا، بدون تاريخ.
- 2- إسماعيل كمال، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي، تعريب محمد مصطفى بازاما، دار لبنان للطباعة، 1965م.
- 3- جون فرانسيس ليون، من طرابلس إلى فزان 1818، ترجمة مصطفى جودة ، منشورات الدار العربية للكتاب، ليبيا -تونس، 1976م.
- 4- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية ، تحقيق محمد الأسطى، وعمار جحيدر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 2001م.

- 5- -----، اليوميات الليبية، أيلة طرابلس الغرب في أوائل العهد العثماني الثاني 1835-
1861م، الجزء الثالث، تحقيق عمار محمد جحيدر، منشورات دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2023م.
 - 6- رحلة المبشر ايفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835، منشورات بيت الحكمة قرطاج، ترجمة
منير الفندري، تونس، 1991م،
 - 7- شارل فيرو، الحوليات الليبية، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي،
الطبعة الثالثة، 1994م.
 - 8- الفونصور روسو، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة محمد
عبدالكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1992م.
- ثالثا: المراجع.
- 1- أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تعريب خليفة محمد التليسي، منشورات دار
الثقافة، بيروت، لبنان. بدون تاريخ.
 - 2- أحمد الطاهر الزاوي، ولاية طرابلس من الفتح العربي الى نهاية العهد التركي، منشورات دار الفتح
للطباعة والنشر، بيروت، 1970م.
 - 3- إمام محمد الطوير، مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني في ايلة طرابلس 1835 -
1836، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م.
 - 4- انتوني جوزيف كاكيا، ليبيا في العهد العثماني الثاني، ترجمة يوسف حسن العسلي، منشورات دار
احياء الكتب العربية، ليبيا، 1946م.
 - 5- رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، منشورات
مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م.
 - 6- رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمالي، تعريب طه فوزي، مراجعة حسن محمود،
كمال الدين عبد العزيز الخربوطي، إشراف محمد شفيق غربال، 1961م.
 - 7- عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال أفريقيا، ترجمة عبدالسلام ادهم، منشورات دار لبنان
للطباعة والنشر، 1969م.
 - 8- علي مصطفى المصراتي، غومة فارس الصحراء، منشورات مكتبة الفكر، 1960م.
 - 9- عمر عبدالعزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516 - 1922، منشورات دار النهضة العربية،
بيروت، 1984م.

- 10- عمر علي إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795 - 1832، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1966م.
- 11- كوستا نزيو برنيا، طرابلس من 1510 إلى 1850، تعريب خليفة محمد التليسي، منشورات الفرجاني، طرابلس ليبيا، 1969م.
- 12- كولا فوليان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، ترجمة عبد القادر مصطفى الحبشي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م.
- 13- محمد الهادي ابو عجيبة، النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية 1711 - 1835، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1997م.
- 14- محمد علي عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2000م.
- رابعاً: المراجع الأجنبية.

- Anthony j Cachia , **Under The Second Ottoman Occvpaton 1835** -

1911, Daral farjani, Tripoli, Libya, Second Edition 1975, p, 29.

خامساً: المجلات.

- 1- محمود أحمد الديك، ملامح الحياة الصحية في ليبيا خلال العهد العثماني، مجلة البحوث التاريخية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، السنة الثالثة والعشرون، العدد الثاني، يوليو 2001م.
- 2- محمد مصطفى الشركسي، الغدامسيون هم فنيقو الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، السنة السابعة عشر، العدد الأول، يناير 1995م.

بحث بعنوان :

ثورة بابك الخرمي

(201-222هـ / 816-836م)

Babak Khorramdin's Revolution
(201–222 AH / 816–836 CE)

إعداد:

د. أحمد علي صالح الحسنوني

Dr. Ahmed Ali Saleh Al-Hassouni

أستاذ مشارك بكلية التاريخ والحضارة جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

Associate Professor at the Faculty of History and Civilization, Sayed Muhammad bin Ali Al-Senussi Islamic University

ahmed.saad@ius.edu.ly

د. وليد موسى إبراهيم

Dr. Walid Moussa Ibrahim

أستاذ مشارك بقسم التاريخ الإسلامي

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

Associate Professor at the Faculty of History and

Civilization, Sayed Muhammad bin Ali Al-

Senussi Islamic University

waled.mohamed@ius.edu.ly

د. عبد السلام سالم سعيد

Dr. Abdul Salam Salem Saeed

أستاذ مشارك بكلية التاريخ والحضارة

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

Associate Professor at the Faculty of History and Civilization, Sayed Muhammad bin Ali

Al-Senussi Islamic University

abdulsalam.a.mohammed@ius.edu.ly

المراجعة اللغوية: د. عوض عقيلة عوض (كلية اللغة العربية الجامعة السنوسية)



ملخص البحث

هذا البحث بعنوان: ثورة بابك الخرمي (201-22هـ/816-836م)، تلك الثورة التي كادت أن تطيح بالخلافة العباسية، وذلك لأنها تمكنت من قطع الصلة السياسية بين بعض المدن التي تتبع الخلافة العباسية، وعاصمتها بغداد، ولم تتمكن الخلافة من القضاء عليها إلا بعد عشرين سنة، في خلافة المعتصم بالله، الذي سخر كل الإمكانيات البشرية، والمادية للقضاء عليها.

الكلمات المفتاحية: بابك، البذ، الأفشين، الخرمية.

Research Summary:

This research is titled: The Babak Khurrami Revolt (201-22 AH/816-836 CE), a revolt that nearly toppled the Abbasid Caliphate. This revolt succeeded in severing the political ties between some cities under Abbasid rule and its capital, Baghdad. The Caliphate was only able to suppress it after twenty years, during the reign of al-Mu'tasim Billah, who mobilized all available human and material resources to quell it.

Keywords: Babak, al-Badh, al-Afshin, Khurramiyya.

المقدمة

واجهت الدولة العباسية منذ قيامها (132هـ/749م)، عدة مشاكل سياسية، تمثلت في العديد من الثورات التي هددت وجودها، وذلك لأن بعض هذه الثورات قد نجحت في قطع الصلة السياسية بين بعض المدن الإسلامية التي تتبع الخلافة العباسية، وعاصمة الخلافة، ولعل من أبرز تلك الثورات ثورة بابك الخرمي (201-222هـ/816-836م)، وهي الثورة التي تطلب الأمر عشرين سنة للقضاء عليها، فقد شملت أغلب مدة خلافة المأمون (198-218هـ/813-833م)، وجزء من خلافة المعتصم (218-227هـ/833-842م).

وقد جاء اختيار هذا الموضوع (ثورة بابك الخرمي) للوقوف على الإمكانات التي كان يمتلكها بابك؛ حتى استمرت ثورته قرابة عشرين سنة، وكادت أن تطيح بالخلافة العباسية. ولعل أهمية هذا الموضوع تكمن في الطرق، والوسائل التي استخدمها الخلفاء العباسيون، وقادتهم للقضاء على هذه الثورة، على الرغم من الأوضاع السياسية التي تمر بها الخلافة العباسية في تلك الفترة.

ويعتمد البحث في هذا الموضوع على المنهج التاريخي السردى، الذي يعتمد على سرد المعلومة بشكل مختصر، والمنهج المقارن أيضا للمقارنة بين النصوص وتحليلها، بالاعتماد على المصادر والمراجع الأكثر دقة وموضوعية.

وبناءً على ما تقدم تم تقسيم الموضوع إلى العناوين الآتية:

أولاً: التعريف بشخصية بابك الخرمي.

ثانياً: انطلاق الثورة في عهد الخليفة المأمون (201هـ/816م).

ثالثاً: الإطاحة بالثورة في عهد الخليفة المعتصم بالله (218هـ/833م).



أولاً: التعريف بشخصية بابك الخرمي:

تختلف المصادر في ضبط اسم بابك، ونسبه، ففي حين يذكر ابن الجوزي بأن بابك هو ابن أحد الصعاليك، يدعى مطران⁽¹⁾، يذهب ابن نديم إلى أن بابك ابن رجل من المدائن⁽²⁾ في العراق، يعمل دهانا، وذهب إلى أذربيجان⁽³⁾ مسكن قرية جلاذ أباذ من رستاق فيمد⁽⁴⁾.

أما أبو حنيفة الدينوري، فكان أكثر وضوحاً عند حديثه عن بابك، حيث قال: "... وقد اختلف الناس في نسبه، ومذهبه، والذي صح عندنا وثبت أنه كان من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم، هذه التي ينتسب إليها الفاطمية من الخرمية⁽⁵⁾"، ويزعم المسعودي: "... أن اسم بابك الحسن، واسم أخيه عبد الله⁽⁶⁾".

ويبدو مما سبق أن بابك مجهول الأب، وأن الخرمية هم من حاولوا إرجاع نسبه إلى أبي مسلم الخراساني⁽⁷⁾ لإضفاء نوع من القدسية على شخصية بابك الخرمي، لما يكنه الفرس من حب وتقدير لشخص أبي مسلم الخراساني.

(1) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج11، ص51.

(2) المدائن مدينة صغيرة أرزية كسروية آثارها عظيمة ومعالمها قائمة، وقد نقلت عامة ابنينها إلى بغداد، وهي من مدن بغداد على مرحلة، وكانت مسكن الأكاسرة، وبها إيوان كسرة المشهور، للمزيد ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص219.

(3) أذربيجان: تقع أذربيجان جنوبي جبال القوقاز على ساحل بحر قزوين الغربي، وتكون حدودها الأصلية نهر صامور في الشمال، وجبال بهرة في الجنوب، وبحر قزوين في الشرق، وبحيرة أرمية في الغرب، وتقدر مساحتها بحوالي (200000 كم)، وهي بلاد عامرة ذات نعم وفيرة، ومياه جارية يجتمع فيها التجار والغرباء أكثر من أي مكان، وأشهر مدنها أربيل، ومراغة، وتبريز، وقد فتحت أذربيجان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، للمزيد ينظر: مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999م، ص119؛ محمد ناصر العبودي، جمهورية أذربيجان، مطابع الفرزدق، د.م، 1413هـ، ص134؛ صالح محمود محمد، جغرافية الدول الإسلامية، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 1998م، ص215.

(4) ابن النديم، الفهرست، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، (د.ت)، ص420.

(5) الدينوري، الأخبار الطوال، مطبعة السعادة، مصر، 1330هـ، ص379.

(6) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج3، ص339.

(7) أبو مسلم الخراساني: عبد الرحمن بن مسلم، صاحب دولة بني العباس، ويدعى بأمر أهل البيت، نشأ بالكوفة عند عيسى بن موسى السراج، بعث به إبراهيم بن محمد الإمام إلى خراسان أثناء الدعوة العباسية، قتله أبو جعفر المنصور بالمدائن، للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة التراث، بيروت، 1993م، ج10، ص72-79.



ويمكن القول أيضا بأن بابك من عامة الناس، عاش حياة بائسة، وربما كان يحمل معتقدات ذات صلة بأبي مسلم الخرساني، وعندما سنحت له الفرصة أراد الانتقام له.

ولعل ما يدعم هذا الرأي ما ذكره أحد الباحثين من أن بابك الخرمي ثار في وجه العباسيين؛ لينتقم لأبي مسلم، وأن حركته كانت استمرارا لحركة المقنع الخرساني، والرواندية⁽¹⁾، وغيرها من الحركات التي قامت عقب مقتل أبي مسلم الخرساني.

ويضيف ابن النديم أن أم بابك كانت ترتبط بعلاقة غير شرعية مع رجل يعمل دهان، فلما كشف أمرها اضطر الدهان إلى الزواج منها، ونتج عن هذا الزواج وليد سمي بابك، وبعد مدة من ذلك قتل الدهان، فأصبحت أم بابك تعمل مرضة مقابل أجرة⁽²⁾.

أما عن بابك فعندما أصبح عمره عشر سنوات، أصبح يرعى البقر، وعندما بلغ عمره الثامنة عشر رجع إلى أمه، وفي تلك الأثناء وفد عليهم رجل يدعى (جاويدان بن سهرق)، فأعجب هذا الأخير بشخصية بابك وشهامته، على الرغم من رداءة حالته، فقال جاويدان لأم بابك، أنا رجل من البر، وأحتاج إلى ابنك هذا لأؤكله على أملاكي، وأموالي، وسأبعث لك بأجرة في كل شهر قدرها خمسون درهما، فوافقت أم بابك على هذا العرض⁽³⁾.

وبعد أن تسلم بابك عمله مع جاويدان تمكن على ما يبدو من إقامة علاقة مع زوجته، ولما مات جاويدان عملت زوجته على أن يكون بابك مكانه في زعامة الخرمية، وطلبت من بابك أن يتهيا لذلك، وجمعت أتباع زوجها وأصحابه، وقالت لهم: "قال لي جاويدان: "إني أموت في ليلتي هذه! وإن روحي تخرج من جسدي، وتدخل بدن هذا الغلام خادمي! وقد رأيت أن أملكه على أصحابي، فإذا مت فأعلميهم بذلك، وأنه لا دين لمن خالفني فيه، واختار لنفسه خلاف اختياري!"... قالو: قد قبلنا عهده إليك في هذا الغلام"⁽⁴⁾، ثم تزوجت من بابك.

(1) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجبل، بيروت، 2001م، ج2، ص91.

(2) ابن النديم، المصدر السابق، ص481.

(3) ابن النديم، المصدر السابق، ص481-482.

(4) المصدر نفسه، ص481-482.



وبهذا انتقلت إلى بابك زعامة الخرمية، وعرفوا أنصاره بالبابكية، كما عرفوا بالمحمرة؛ لأنهم صبغوا ثيابهم باللون الأحمر كشعار لهم⁽¹⁾.

ويقول البغدادي إن الخرمية صنفان: الصنف الأول كانوا قبل دولة الإسلام، كالمزدكية الذين استباحوا المحرمات، وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء، ودامت فتنة هؤلاء إلى أن قتلهم أنو شروان في زمانه.

والصنف الثاني: الخرمدينية، ظهوروا في دولة الإسلام، وهم فريقان، بابكية، ومازيارية، وكلتاهما معروفة بالمحمرة، فالبابكية هم: أتباع بابك الخرمي الذي ظهر في جبل البذ بناصية أذربيجان، وكثر أتباعه، واستباحوا المحرمات، وقتلوا الكثير من المسلمين، أما المازيارية فهم أتباع مزيار، الذي أظهر دين الهجرة بجرجان⁽²⁾⁽³⁾.

وكان البابكية يهدفون سياسياً إلى القضاء على سلطان العرب السياسي، والإسلام، كما وضع في وصية جايودان لإعادة المزوكية، ونصرة العجمية، وكان البابكية يذهبون إلى القول بالجهاد ضد من يصفونهم بالجابرة المتسلطين من العرب، والذين يسمونهم باليهود⁽⁴⁾.
بمعنى أن الحركة البابكية حركة مضادة للعرب، والمسلمين، وللدین الإسلامي، وكان هدفها هو الانفصال عن الحكم العربي الإسلامي⁽⁵⁾.

(1) السيد عبد العزيز سالم، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، (د.ت)، ص 158.

(2) جرجان: جرجان وأعمالها وجبالها مطابقة لطريستان، وحومتها كبيرة، وبنائها من طين، وأهل جرجان أحسن وقارا، وأكثر مروءة ويسارا، وجرجان جانبان بينهما نهر يجري كثير الماء، للمزيد ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 324.
(3) البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 266-268.

(4) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 158.

(5) خالد عزام، العصر العباسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2003م، ص 141.



ثانيا: انطلاق الثورة في عهد الخليفة المأمون (201هـ/816م):

بدأت ثورة بابك سنة (201هـ/816م) حيث بدأ بابك ومن معه في العبث والفساد وقطع الطرق، وبقتل من حوله بمدينة البذ⁽¹⁾، وتخريب الأمصار، والقرى التي بجوارها⁽²⁾. ويبدو أن بابك استغل الأوضاع الداخلية المتردية في الدولة العباسية، حيث بدأ حركته في أعقاب الصراع الذي كان قائما بين الأخوين الأمين والمأمون، وما ترتب عليه من استنزاف أموال الدولة، وإرهاق ميزانيتها، فضلا عن الضرر العام الذي لحق بالعاصمة بغداد وأهلها في تجارتهم، ومرافقهم، وبيوتهم، وأحى بذلك الخلاف الفتنة من جديد بين الفرس والعرب.

هذا بالإضافة إلى أن الأوضاع في أذربيجان وأرمينية⁽³⁾ كانت غير مستقرة أيضا؛ بسبب إعلان واليها حاتم بن هرثمة العصيان بعد مقتل والده هرثمة بن أعين⁽⁴⁾، إضافة إلى ذلك وجود الخليفة المأمون خارج العاصمة بغداد، وعندما عاد المأمون أرسل القائد يحيى بن معاذ؛ لمحاربة بابك سنة (204هـ)، فكانت بينهما معركة لم ينصر فيها أحدهما على الآخر⁽⁵⁾.

وبالنظر إلى تاريخ هذه الحملة التي أرسلها الخليفة المأمون، بقيادة يحيى بن معاوية، سنة (204هـ)، وتاريخ بداية ثورة بابك سنة (201هـ)، يتبين أن الخليفة قد تأخر في اتخاذ قرار مواجهة هذه الثورة، الأمر الذي قوى شوكة بابك، واستفحل خطره، وسيطر على بعض المناطق.

بعد ذلك اختار المأمون قائدا آخر لمواجهة بابك، وهو القائد عيسى بن محمد بن أبي خالد، وولاه على أرمينية، غير أنه هو الآخر لم ينجح في القضاء على هذه الحركة⁽⁶⁾.

(1) البذ: بلاد بابك، وهي من مدن أذربيجان غربي نهر الرس، للمزيد ينظر: الأحمدي، كتاب البلدان، تحقيق يوسف الوادي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996م، ص121، المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص29.

(2) الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، د.ت، ج8، ص556؛ الدينوري، المصدر السابق، ص379.

(3) أرمينية: تقع أرمينية في جنوب القوقاز، في الشمال الشرقي من هضبة الأناضول، وهي إقليم جبلي، تمتد من مدينة برذغة إلى باب الأبواب شرقا، ويحدها جبل القفقاس من جهة الشمال، وبلاد الروم غربا، وبلاد العراق، وبعض حدود الجزيرة جنوبا، للمزيد ينظر: محمود شيت خطاب، قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، دار ابن الحزم، بيروت، 1998م، ص21.

(4) خالد عزام، المرجع السابق، ص142.

(5) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص576.

(6) الطبري، المصدر السابق، ج8، ص580.



ثم ولى المأمون صدقة بن علي المعروف بزريق أرمينية، وأذربيجان، ومحاربة بابك، وندب للقيام بأمره أحمد بن الجنيدي بن فرزندى الإسكافي، فأسره بابك سنة (214هـ)، وفض عسكره، وقتل عددا كثيرا من جنوده⁽¹⁾.

وهكذا كلما وجه المأمون جيشا لحرب بابك والقضاء على ثورته، لم يتمكن من ذلك، ولعل السبب في ذلك هو أن بابك بدأ حركته من مدينة البذ، وهي من المناطق الجبلية المعروفة له، فكان يحاصر جيوش العباسيين في المضائق، فيتعذر عليهم القبض عليه.

ويبدو أيضا أن تأخر الدولة العباسية في مواجهة هذه الحركة؛ نتيجة لانشغالها بمشاكلها الداخلية، هو الذي قوى شوكة بابك، واستفحل خطره، واتسعت رقعة المساحة التي شملتها ثورته، وانضمام أعداد كبيرة له.

حيث شملت ثورته أقاليم عديدة منها: أذربيجان، وشرق أرمينية، وطبرستان⁽²⁾، والديلم⁽³⁾، وجرجان، وهمدان، وأصفهان⁽⁴⁾.

ويقول البلخي: "وانضوى إليه أي إلى بابك - القطاع والحراب والذعار وأصحاب الفتن وأرباب النحل الزائفة، وتكاثفت جموعه حتى بلغ فرسان رجاله عشرين ألف فارس سوى الرجالة، واحتوى مدن وقرى، وأخذ بالتمثيل بالناس والتحريق بالنار، والانهماك في الفساد، وقلة الرحمة، والمبالاة..."⁽⁵⁾.

(1) المصدر نفسه، ج8، ص601.

(2) طبرستان: أكبر مدنها أمل وهي مستقر ولاتها، وطبرستان كثيرة الماء، والأشجار، والثمار، والغالب عليها الغياض، وكثرة الأشجار، وأكثر أبنيتها الخشب والقصب، وهو إقليم كثير الأمطار، للمزيد ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص323.

(3) الديلم: سهل، وجبل، والسهل للجبل، وهي جبال منيعة، والمكان الذي كان به الملك يسمى الطرم، ورياسة الديلم فيهم، ولسانهم منفرد عن الفارسية، والرائية، والأرمينية، وفي بعض الجبل فئة وطائفة تخالف لسان الجبل والديلم، للمزيد ينظر: العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج3، ص178م، ابن حوقل، المصدر السابق، ص320.

(4) أصفهان: مدينة عظيمة من أعلى المدن ومشاهيرها، جامعة الأشبات، والأوصاف الحميدة من طيب التربة، وغذوبة الماء، وصفاء الجو، وحسن صور أهلها، وحذقهم في العلوم والصناعة، للمزيد ينظر: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1984، ج1، ص118، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص43.

(5) البلخي، البدء والتاريخ، باريس، 1907م، ج6، ص115.



ومن العوامل المهمة التي ساعدت بابك الخرمي على الصمود في وجه الدولة العباسية، محاولة الإمبراطورية البيزنطية دعم صاحب الثورة، وذلك لأن الإمبراطورية البيزنطية كانت تسعى إلى تدمير وإضعاف الخلافة العباسية⁽¹⁾.

ولعل ما يؤكد اشتداد خطر هذه الثورة، واستفحال خطرهما على الدولة العباسية، أن الخليفة المأمون لم ينس وهو على فراش الموت، وشعوره بدنو أجله أن يوصي أخاه الذي سيخلفه في الحكم أن لا يتهاون في القضاء على ثورة بابك مهما كلفه الأمر⁽²⁾.

ثالثاً: الإطاحة بالثورة في عهد الخليفة المعتصم بالله:

عندما تولى المعتصم بالله الخلافة (218-227هـ/833-842م) وجه كل جهوده للقضاء على حركة بابك الخرمي، والتي أصبح القضاء عليها أمراً مستحيلاً، فوجه المعتصم قائده هاشم بن باتيجور لمحاربة بابك، فاشتبك معه وهزمه، ثم أرسل المعتصم إليه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب في جيش كبير، وذلك سنة (218هـ/833م)، فانتصر إسحاق على الخرمية، وقتل منهم عدداً كبيراً، وفر بعضهم إلى بلاد الروم، فكان هذا أول انتصار للدولة العباسية على الخرمية، ووجه أبو سعيد الأسري إلى المعتصم بالله⁽³⁾.

وفي سنة (220هـ)، عقد المعتصم لقائده الأفشين⁽⁴⁾ حيدر بن كأوس على الجبال، ووجه لحرب بابك، وأمدّه بالأموال والرجال، وفي الوقت نفسه وجه الخليفة أحد رجاله ويدعى أبا سعيد بن

(1) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص161.

(2) محمد الخضري، الدولة العباسية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص183.

(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي، بيروت، ج2، ص431، الطبري، المصدر السابق، ص.

(4) الأفشين: حيدر بن كأوس، قائد تركيا من بلاد أشروسة ببلاد ما وراء النهر الواقعة بين أقاليم فرغانة شرقاً، وسمرقند غرباً، والشاش شمالاً، وكان هو وأبوه في خدمة الخليفة المعتصم، اشتهر الأفشين في حروبه حتى وثق به المعتصم، وقربه إليه، وولاه حرب بابك الخرمي، للمزيد ينظر: حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص94، محمد الحضري، المرجع السابق، ص183.



محمد بن يوسف إلى أردبيل⁽¹⁾، وأمره أن ينبي الحصون التي خربها بابك، ويشحنها بالرجال لتأمين الطرق لمن يحمل المؤن والعتاد إلى أردبيل، فتوجه أبو سعيد إلى هناك، وفعل ما أمر به⁽²⁾. وفي هذه الأثناء، وجه بابك سرية بقيادة شخص يدعى معاوية، فأغارت على بعض النواحي ورجعت، فعندما علم أبو سعيد بذلك جمع الناس، وخرج في طلب السرية، حيث اعترضها في الطريق، فاقتتلوا قاتلا شديدا، وانتهت المعركة بقتل عدد من جماعة بابك، وأسر عدد آخر، بالإضافة إلى استرجاع ما كانوا قد أخذوه، وتم إرسال الأسرى إلى المعتصم⁽³⁾. وتمكن أحد الأمراء المسلمين، ويدعى محمد بن البعيث من قتل أحد قادة بابك، وقتل عدد من رجاله، فقد كان ابن البعيث مصالحا لبابك، وكانت سرايا بابك تنزل عنده، ثم أن بابك وجه أحد سراياه بقيادة شخص يدعى (عصمة)، فنزل كالعادة عند ابن البعيث الذي قام بضيافته، ثم استدعاه ابن البعيث بعض خواصه، وسقاهم الخمر حتى سكروا، ثم وثب على عصمة، وقام بتقييده وقتل من كان معه، ثم أمره أن يدعو رجاله رجلا رجلا من أصحابه، فكان يدعو الرجل باسمه فيصعد فيضرب عنقه ثم هرب البقية، وأرسل عصمة إلى المعتصم، الذي تحصل منه على معلومات مهمة تتعلق بالطرق التي يسلكها بابك، وطريقة قتاله وغيرها من المعلومات التي تفيد جيوش المعتصم في التعامل مع بابك، ثم وضع عصمة في الحبس فقص فيه إلى عهد الخليفة الواثق (227-232هـ/842-847م)⁽⁴⁾.

(1) أردبيل، بالفتح ثم السكون، وفتح الدال، وكسر الباء، وياء ساكنة، ولام، من أشهر أذربيجان، وكانت قبل الإسلام قسبة الناحية، وهي في الإقليم الرابع، وهي مدينة كبيرة جدا بها العديد من الأنهار، للمزيد ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص174.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج6، ص18، اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص434.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص19؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج1، ص53.

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص19؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص433؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص53.



وكان رجال الأفشين إذا قبضوا على أحد من جواسيس بابك حملوه إلى الأفشين، فكان يحسن معاملتهم، ويسألهم عن الذي يعطيه لهم بابك فيضاعفه لهم، ويقول لهم: كونوا جواسيس لنا، فكان يستفيد منهم كثيرا⁽¹⁾.

ففي أحد الجولات مثلا أرسل المعتصم قائده بغا الكبير إلى الأفشين، ومعه أموال للجند، وبعض النفقات الأخرى، فعلم بابك بالأمر فتهياً هو وأصحابه ليقطعوا عليه الطريق قبل وصوله، فجاء جاسوس إلى الأفشين وأخبره بذلك، فأعد الأفشين خطة لملاقاة بابك ورجاله، فلم يعلم بابك حتى تفاجأ بجيش الأفشين، ودارت بينهما الحرب فلم يفلت من أصحاب بابك أحد، وأفلت هو في عدد قليل من رجاله، ودخل موقان، ورجع الأفشين إلى برزند⁽²⁾.

وفي سنة (221هـ) حدثت معركة بين أحد قادة المعتصم، وهو بغا الكبير وبين بابك الخرمي، فهزم فيها بغا وتفرق جيشه، فتوجه إليه الأفشين على رأس جيش كبير، فهزم بابك، وفي هذه السنة أيضاً قتل أحد قادة بابك، ويدعى طرخان⁽³⁾.

وأيضاً مرت قافلة محملة بالمؤن إلى معسكر الأفشين، فخرج عليها رجال بابك فأخذوها وقتلوا مرافقيها، فتأثر جيش الأفشين بهذه الحادثة، لعدم وصول القافلة إليهم، مما جعل الأفشين يكتب إلى صاحب مراغة⁽⁴⁾ ليعث إليه الميرة والمؤن على وجه السرعة، ففعل صاحب مراغة، وأرسل قافلة كبيرة لمعسكر الأفشين، غير أن سرية تابعة لبابك اعترضت هذه القافلة أيضاً، فأصاب جند الأفشين ضيق شديد، فكتب الأفشين إلى صاحب شيروان بأمره أن يرسل إليه المؤن، فأرسل إليه كل ما يحتاجه معسكره، وارتاح الجند⁽⁵⁾.

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص19

(2) ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص20، ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص54، الطبري، المصدر السابق، ج9، ص28.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص27، ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص65.

(4) مراغة: بالفتح والغين المعجمة، بلدة مشهورة من بلاد أذربيجان، كانت قصبته، وبها آثار ومدارس، وكانت تدعى أفاهروز، فعسكر بها مروان بن مروان بن الحكم، وهو والي أرمينية، وأذربيجان، وكانت دوابه ودواب أصحابه تمرغ فيها، فجعلوا يقولون ابنوا قرية المراغة، وهذه القرية المراغة فابتناها مروان، وتآلف الناس بها فكثروا، للمزيد ينظر: البغدادي، ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجبل، بيروت، 1992م، ج3، ص1250.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص21.



وحرصا من الخليفة المعتصم على عدم تهاون قواته، وقادته في التصدي لحركة بابك قرر أن يدعمهم ماديا، للتغلب على مشكلة المؤن، يقول الطبري: "وكان يجزي -أي المعتصم- الأفشين في مقامه بإزاء بابك سوى الأرزاق، والإنزال، والمعاون في كل يوم يركب فيه عشرة الآلاف درهم"، وفي كل يوم لا يركب فيه خمسة الآلاف درهم⁽¹⁾، وكان المعتصم يوجه كل يوم إلى الأفشين فرسا وخلعة⁽²⁾.

وفي سنة (222هـ) أرسل المعتصم إلى الأفشين جعفرا الخياط مددا له، ووجه إليه أيضا إيتاخ، ومعه ثلاثون ألف درهم للجند وللنفقات، وفي هذه السنة أيضا حدثت معركة بين أصحاب الأفشين وقائد لبابك اسمه أدين⁽³⁾.

وكررت حروب الأفشين، واتصلت مع بابك الخرمي، وكانوا لا يتحاربون إلا إذا انصرم الشتاء؛ لأن الثلوج كانت تغطي الجبال، فتعيق المشاة من التقدم، إلى أن انقضى شتاء سنة (221هـ)، وجاء ربيع سنة (222هـ)، قرر الأفشين اقتحام البذ مدينة بابك، وأعد لذلك خطة محكمة بالتشاور والتنسيق مع الخليفة المعتصم، ثم انطلق الأفشين بقواته حتى أشرف على مدينة البذ، فحاصرها وحفر الخنادق، وسد جميع طرق الجبال التي تؤدي إلى المدينة، ولم يترك إلا مسلكا واحدا، وطلب الأفشين من (الكوهبانية) -وهم أصحاب الأخبار- أن يراقبوا الجبال التي تحيط بالمدينة مراقبة جيدة⁽⁴⁾.

وبعد أيام من الحصار أرسل بابك رجلا يقال له (موسى الأقطع) إلى الأفشين يسأله أن يخرج إليه ليتحدث إليه بما في نفسه، فأجابه الأفشين إلى ذلك، فخرج بابك حتى صار بالقرب من الأفشين في موضع بينهما واد، ولا تذكر المصادر الحديث الذي جرى بينهما سوى أن الأفشين أعلمه ما في الطاعة من السلامة في الدنيا، والآخرة، فلم يقبل بابك ذلك، ورجع إلى موضعه، وأمر أصحابه بالحرب، عند ذلك أمر الأفشين جميع قواده بالهجوم عليهم من جميع النواحي، فانهزم أصحاب بابك حتى دخلوا مدينة البذ، فلاحقتهم القوات العباسية، وصارت الحرب في ميدان وسط المدينة، وقامت

(1) الطبري، المصدر السابق، ج9، ص54.

(2) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص76، ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص38.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص28، ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص73، الطبري، المصدر السابق،

ج9، ص29.

(4) الدينوري، المصدر السابق، ص380، ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص، الطبري، المصدر السابق، ج9، ص31.



قوات الأفشين بتدمير معسكرات الخرمية، وقصور بابك، وعندما شعر بابك بالهزيمة وأن رجاله قتل منهم عدد كبير، وأن بقية رجاله انفضوا عنه، هرب وولده وأهله ومن تبعه إلى أرمينية، وسار حتى عبر نهر الرس متوجها إلى الروم⁽¹⁾.

وتخوف الأفشين عندما هرب بابك أن يتحصن ببعض الجبال المنيعه، ويعيد ترتيب صفوفه، ويصعب القبض عليه، فكتب الأفشين إلى أصحاب تلك النواحي، وإلى الأكراد بأرمينية، وبطارقة الروم يعلمهم بهروب بابك، ويطلب منهم سد الطرق عليه، وأن لا يمر بتلك الطر أحد إلا أخذه حتى يعرفوه⁽²⁾.

ويذكر ابن الجوزي أن الخليفة المعتصم قد خصص لمن يأتي ببابك حيا مبلغا وقدره ألفي ألف، ولمن جاء برأسه ألف ألف⁽³⁾.

وسار بابك في جبال أرمينية متخفيا، ويبدو أنه ضاق به الحال، واحتاج إلى الماء، والطعام، فقصد إلى أحد رعاة الغنم في تلك الوديان، فعلم صاحب تلك الناحية، وهو سهل بن سنباط النصراني، فقبض عليه وقيده، وأرسل إلى الأفشين يخبره بالأمر، فأرسل الأفشين إلى من أتوا ببابك، وأخيه ومن معهم، وكافأ الأفشين سهل بن سنباط بأن أعطاه ألف درهم، ومنطقة مغرقة بالجواهر، وتاج البطرقة⁽⁴⁾. وكتب الأفشين إلى الخليفة المعتصم يعلمه بالأمر، فأمره بالقدوم عليه، فقدم الأفشين ومعه بابك، وأخيه عبد الله إلى سامراء، فاستقبله الخليفة المعتصم، وأهل بيته، وأمر المعتصم أن يركب بابك على الفيل ليراه الناس، ثم أمر الخليفة بقطع يديه ورجليه فقطعت، فسقط فأمر بذبحه وشق بطنه، وأنفذ رأسه إلى خراسان، وصلب بدنه بسامراء، وأمر أيضا أن يرسل أخيه عبد الله إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداد، وأمره أن يفعل به ما فعل بأخيه بابك، فعمل به ذلك، حيث ضرب عنقه وصلب في الجانب الشرقي بين الجسرين ببغداد⁽⁵⁾.

(1) الدينوري، المصدر السابق، ص404.

(2) المصدر نفسه، ص380.

(3) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص74.

(4) الطبري، المصدر السابق، ج9، ص48.

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص38، الطبري، المصدر السابق، ج9، ص51.



وبهذا قضت الدولة العباسية على ثورة بابك الخرمي، بعد عشرين عاما من انطلاقها، وقيل أن ضحايا هذه الحرب وصل إلى 255,500 شخص، وأسراها من المسلمين 3309 شخصا من الرجال، وعدد 7600 من النساء والصبيان⁽¹⁾، وقد كافأ الخليفة المعتصم قائده الأفشين على جهوده في القضاء على هذه الثورة بأن ألبسه وشاحين من الجواهر، وأعطاه عشرين ألف درهم، وعقد له على بلاد السند، وسمح للشعراء بمدحه⁽²⁾.

الخاتمة:

يتبين من خلال البحث أن بابك الخرمي مجهول الأب، ويبدو أن الخرمية حاولوا إرجاع نسبه إلى أبو مسلم الخراساني لإضفاء نوع من القدسية على شخصية بابك لما يكنه الفرس من حب وتقدير لشخص أبو مسلم الخراساني، ويمكن أيضا أن يكون بابك الخرمي من عامة الناس، عاش حياة بائسة، وربما كان يحمل معتقدات ذات صلة بأبي مسلم، وعندما ساحت له الفرصة أراد الانتقام لمقتله.

استغل بابك الأوضاع المتردية في الدولة العباسية، فبدأ حركته في أعقاب الصراع بين الأخوين الأمين والمأمون، وما ترتب على ذلك من استنزاف أموال الدولة، وإرهاق ميزانيتها، فضلا عن الضرر العام الذي لحق بالعاصمة بغداد، وسكانها، وهو الأمر الذي جعل الخليفة المأمون يتأخر في مواجهة هذه الثورة، الأمر الذي أتاح لبابك تحقيق بعض النجاحات في السنوات الأولى عقب انطلاق ثورته، كانت ثورة بابك الخرمي تهدف سياسيا إلى القضاء على سلطان العرب السياسي، والإسلام، والعودة إلى المزدكية، والانفصال عن الحكم العربي الإسلامي، عندما تولى المعتصم بالله الخلافة قرر القضاء على ثورة بابك الخرمي، فاعتمد على قادة مشهود لهم بالخبرة، والكفاءة في الحروب، ونظم البريد بينه وبينهم، وسخر الإمكانات البشرية والمادية في الدولة العباسية للقضاء على هذه الثورة، وكان يشرف بنفسه على سير العمليات العسكرية، ولم يبخل الخليفة على قواده ومن معهم، حيث كان يدعمهم باستمرار بالمؤمن والأموال، حتى تمكن في النهاية قائد الأفشين من القضاء على الخرمية، والقبض على زعيمهم بابك الخرمي، وتسليمه للخليفة المعتصم بالله عام (222هـ/836م).

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص39.

(2) المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص310، الطبري، المصدر السابق، ج9، ص55.



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

1. ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
2. ابن الجوزي، أبي الفتح عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
3. ابن النديم، الفهرست، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، بدون تاريخ.
4. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.
5. ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة التراث، بيروت، 1993م.
6. الأحمدي، كتاب البلدان، تحقيق يوسف الوادي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996م.
7. البغدادي، ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجبل، بيروت، 1992م.
8. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.
9. البلخي، البدء والتاريخ، باريس، 1907م.
10. الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
11. الطبري، أبي جعفر بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، د.ت.
12. العمري: ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
13. القزويني: زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1984.



14. الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال، مطبعة السعادة، مصر، 1330هـ.
15. مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999م.
16. المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
17. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي، بيروت، بدون تاريخ.

ثانيا: المراجع:

1. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجبل، بيروت، 2001م.
2. خالد عزام، العصر العباسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2003م.
3. السيد عبد العزيز سالم، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، بدون تاريخ.
4. صالح محمود محمد، جغرافية الدول الإسلامية، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 1998م.
5. محمد الحضري، الدولة العباسية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
6. محمود شيت خطاب، قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، دار ابن الحزم، بيروت، 1998م.
7. محمد ناصر العبودي، جمهورية أذربيجان، مطابع الفرزدق، د.م، 1413هـ.

بحث بعنوان :

**الصراع السنوسي البريطاني في مصر وأثره على حركة الجهاد في ليبيا
(1914-1918م)**

The Senussi-British Conflict in Egypt and Its Impact on the Jihad Movement in
Libya(1914-1918) .

إعداد:

أ. خالد فضل الله سليمان

Mr. Khalid Fad Allah Suleiman
محاضر مساعد بكلية التاريخ والحضارة جامعة
السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية-البيضاء

Assistant Lecturer, Faculty of History and
Civilization, Sayed Muhammad bin Ali Al-
Senussi Islamic University – Al Bayda

FadlallaKaled807@gaamail.com

أ. مصطفى مفتاح عبدالرازق

Mr.Mustafa Miftah Abdurazzaq
محاضر مساعد بكلية التاريخ والحضارة جامعة السيد
محمد بن علي السنوسي الإسلامية-البيضاء

Assistant Lecturer, Faculty of History and
Civilization, Sayed Muhammad bin Ali Al-
Senussi Islamic University – Al Bayda

M0stafam0fath@gmail.com

المراجعة اللغوية:أ- جبريل السنوسي السوسي(طالب الدراسات العليا بكلية اللغة العربية الجامعة السنوسية)

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث الصراع السنوسي - البريطاني في مصر (1914-1918م)، وأثره في مسار حركة الجهاد في ليبيا، من خلال تحليل الخلفيات السياسية والعسكرية التي أحاطت بذلك الصراع، وبيان انعكاساته على بنية الحركة السنوسية وخياراتها الاستراتيجية. ويركز هذا البحث على مرحلة العلاقة السلمية بين الطرفين، وما لبثت أن تحولت إلى مواجهة عسكرية تمثلت في الهجوم على القوات البريطانية في مصر، لتسفر عن تداعيات سياسية وعسكرية، كشفت اختلال موازين القوى، وأسهمت تلك التطورات، عن إيقاف حركة الجهاد في البلاد، وتغيير في قيادة الحركة السنوسية، المتمثلة في شخص السيد أحمد الشريف وإبعاده عن المشهد، ثم خروجه من البلاد، في مقابل صعود إدريس السنوسي وتولية زمام القيادة حيث تبنى نهجاً قائماً على التفاوض بدلاً من المواجهة العسكرية . ويخلص البحث إلى أن التحول في القيادة لم يكن مجرد تغيير شكلي، بل مثل إعادة توجيه استراتيجية فرضتها ظروف الحركة السنوسية من منطلق الجهاد العسكري المفتوح، إلى مقارنة أكثر واقعية في إدارة الصراع .

الكلمات المفتاحية : الحركة السنوسية، القوات البريطانية، العثمانيين، المفاوضات.

ABSTRACT:

This Study Examines the Senussi-British Conflict Egypt(1914-1918) and its impact on trajectory of the trajectory of the jihad movement in Libya, through an analysis of the political and military contexts that surrounded this conflict, as well as an exploration of the Senussi movement and its strategic choices. The study focuses on the phase of the attack on British forces in Egypt and the subsequent consequences. Which exposed an imbalance in the balance of power and contributed to the removal of Sayyid Ahmad al-Sharif al- Senussi from the leadership of the movement, alongside the rise of Idris al-Senussi, who adopted an approach grounded in negotiation rather than military confrontation

The study further highlights the continued role of Ahmad al-Sharif in overseeing internal affairs despite his departure from Libya . Through the correspondence and directives, reflecting his enduring moral influence in guiding the movement. It concludes that shift it Leadership was not merely a formal change, but rather represented a strategic reorientation imposed by the circumstances of the period and the regional and international pressures it entailed . this transformation contributed to the transition of the Senussi movement form the logic of open military jihad to a more pragmatic approach to conflict management

Keywords: Senussi Movement, British Forces, Ottomans, Negotiations .

المقدمة :

شهدت منطقة شمال إفريقيا في مطلع القرن العشرين تحولات سياسية، وعسكرية عميقة، ارتبطت بتزايد التنافس الاستعماري، وتداخل المصالح الدولية في المنطقة. وفي هذا السياق برزت الحركة السنوسية بوصفها إحدى القوى الدينية والسياسية المؤثرة في المجتمع الليبي، إذ لم يقتصر دورها على النشاط الديني والإصلاحي، بل امتد ليشمل تنظيم المجتمع وقيادة حركة الجهاد ضد الاستعمار الإيطالي منذ العام 1911م. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1918م) دخلت المنطقة مرحلة جديدة من التفاعلات السياسية والعسكرية، حيث سعت القوى المتحاربة إلى توظيف صراعها الدولي، وقد انعكست هذه التطورات على طبيعة العلاقة بين الحركة السنوسية والسلطات البريطانية في مصر، التي اتسمت قبل الحرب بقدر من الحذر وتجنب المواجهة المباشرة، غير أن تطورات الحرب وتدخل الدولة العثمانية وألمانيا أدت إلى تغيير تلك العلاقة وتحولها إلى مواجهة مباشرة. وقد تمثلت هذه المواجهة في الحملة السنوسية على القوات البريطانية في مصر، التي شهدت عدة مراحل عسكرية داخل الحدود المصرية، وكان لها أثر ملحوظ في مجريات الأحداث بالمنطقة، كما انعكست نتائجها على الحركة السنوسية من حيث القيادة السياسية والعسكرية ومسار حركة الجهاد.

وتتجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول مرحلة مفصلية من تاريخ الحركة السنوسية والجهاد الليبي، إذ يسلط الضوء على طبيعة العلاقة بين الحركة السنوسية والقوى الدولية خلال الحرب العالمية الأولى كما يكشف عن العوامل التي أسهمت في انتقال تلك العلاقة من حالة التفاهم والحذر إلى الصدام العسكري إضافة إلى بيان أثر الحملة السنوسية على القوات البريطانية في مصر. ويهدف هذا البحث إلى دراسة الصراع السنوسي - البريطاني في مصر وتحليل أبعاده السياسية والعسكرية، وبيان انعكاساته على حركة الجهاد في ليبيا، وذلك من خلال ثلاث محاور رئيسية تتمثل في: طبيعة العلاقات بين الحركة السنوسية والبريطانيين قبل اندلاع الصراع، ومراحل الحملة السنوسية على القوات البريطانية في مصر، وأثر تلك الحملة على القيادة السياسية والعسكرية للحركة. ويعتمد البحث في معالجته لهذا الموضوع على المنهج التاريخي التحليلي، بالاستناد إلى المصادر التاريخية والوثائق



والدراسات المتخصصة، سعياً إلى تقديم قراءة علمية تسهم في فهم جانب مهم من تاريخ ليبيا الحديث. وتأتي إشكالية البحث في أنه يرتبط بالصراع بين الحركة السنوسية والقوات البريطانية في مصر بتطورات الحرب العالمية الأولى وما نتج عنها من تداخل العوامل الدولية والإقليمية في المنطقة. وقد أدى ذلك إلى تحول العلاقة بين الطرفين من الحذر والتوازن إلى المواجهة العسكرية، ومن هنا يسعى هذا البحث إلى تحليل طبيعة هذا الصراع والعوامل التي أسهمت في نشأته وبيان انعكاساته على حركة الجهاد في ليبيا.

أولاً: طبيعة العلاقات السنوسية، البريطانية في مصر، ومحاولات توجيهها من قبل العثمانيين والألمان

كانت العلاقة بين بريطانيا والحركة السنوسية قائمة على أساس علاقة الجوار والحذر المتبادل، إذ لم يحدث احتكاك مباشر بين قوات الطرفين خلال تلك المرحلة. وفي هذا السياق كتب اللورد كتشنر، المعتمد السياسي للملك جورج الخامس في القطر المصري عام 1914م، رسالة إلى زعيم الحركة السنوسية السيد أحمد الشريف السنوسي، خاطبه فيها بصيغة تليق بالملوك، في دلالة على المكانة التي يتمتع بها لدى البريطانيين، ولقبه بسلالة النبي (ص)، بعد أن أثنى عليه بأسمى عبارات التقدير، وأشاد كذلك بأسلافه السابقين، وطلب منه التدخل لمعالجة حادثة وقعت في مديرية دنقلا بالسودان؛ إذ قامت مجموعة من أهل فزان بقيادة شخص يدعى محمد دوشي الفزاني بالاعتداء، بعد أن حرص بعض قبائل الزغاوة والبيديات السودانية على مهاجمة عرب الكبابيش التابعين لحكومة السودان، وقد بلغ عدد المعتدين عليهم تسعة وعشرون رجلاً، كانوا متواجدين عند بئر النطرون، حين باغتهم جمع كبير من المهاجمين قدر عددهم بنحو مائتين وسبعة وأربعين رجلاً، كان بينهم قرابة مائه من أهل فزان المنتمين إلى الطريقة السنوسية، بينما كان الباقون من قبيلتي الزغاوة والبيديات، وقد باغت المهاجمون أولئك القوم على جين غرة وهم آمنون، فأطلقوا عليهم نيران بنادقهم، ثم حملوا عليهم بالسيوف والرماح فأسفر ذلك عن مقتل ثمانية رجال وجرح ثلاثة آخرين وأسر رجلين من عرب الكبابيش. كما سلبوا ما كان بحوزتهم من سلاح ومتاع، واستاقوا جمالهم التي بلغ عددها مائه وواحداً وأربعين جملًا بما كانت تحمله من أحمال. وقد استشهد اللورد كتشنر، في رسالته إلى زعيم الحركة السنوسية السيد أحمد الشريف السنوسي، ببعض الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تحرم الاعتداء على الأمنين، طالباً منه استناداً إلى ما اشتهر عنه من عدلٍ معروف، وشدة على أهل البغي



والعدوان، وما يتحلى به من خصال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن يتخذ ما يلزم من إجراءات لمعاقبة الجناة وتعويض المتضررين، وفقاً لإحكام الشريعة الإسلامية⁽¹⁾. ويرى الباحث أن هذه المراسلة تعكس طبيعة العلاقة بين الطرفين في تلك المرحلة، إذ كانت أقرب إلى علاقة سلام وتفاهم، حيث لم يقدم أي من الجانبين على التعرض المباشر للآخر .

تعزز موقف قوات الحركة السنوسية بقيادة السيد أحمد الشريف مع اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914م، إذ سارعت القوى المتحاربة إلى كسب وده واستمالة موقفه. فقد دخلت إيطاليا الحرب إلى جانب الحلفاء، في حين كانت الدولة العثمانية حليفاً لكل من ألمانيا والنمسا والمجر، وخصماً لإيطاليا وفي هذا السياق أعلنت الدولة العثمانية تأييدها الصريح للمقاومة السنوسية، متمثلة في زعيمها السيد أحمد الشريف، وسعت إلى توثيق التعاون معه. وفي سبيل ذلك أوفد أنور بك شقيقه نوري باشا إلى السيد أحمد الشريف بهدف تنسيق العمليات العسكرية مع الحركة السنوسية، غير أن الموقف لم يكن على درجة واحدة من الوضوح؛ فمع وجود عدو مشترك للطرفين يتمثل في إيطاليا لم يكن الأمر كذلك بالنسبة لبريطانيا التي كانت حليفاً لإيطاليا في الحرب، ومن ثم سعت الدولة العثمانية وألمانيا إلى توجيه نشاط الحركة السنوسية بما يخدم إستراتيجيتهما العسكرية إذ رغبتا في أن يعمل السيد أحمد الشريف على تخفيف الضغط عن إيطاليا عبر مهادنتها مؤقتاً، مع توجيه العمليات العسكرية ضد البريطانيين، ومحاولة الوصول إلى قناة السويس بالتزامن مع الهجوم الذي كان يعد له عبر بلاد الشام ضمن ما عرف بحملة جمال باشا على قناة السويس، وكان الهدف من ذلك إثارة الاضطرابات على الحدود الغربية لمصر، بما يؤدي إلى إشغال جزء من القوات البريطانية لمواجهة هذا التهديد، وبالتالي تخفيف الضغط على الجبهة الشرقية⁽²⁾. ويمكن القول أن التحركات العثمانية والألمانية هي جزءاً من إستراتيجية عسكرية أوسع فرضتها ظروف الحرب العالمية الأولى، فقد سعت

⁽¹⁾ - رسالة من اللورد كيتشنر المعتمد السياسي البريطاني في مصر إلى أحمد الشريف السنوسي، عام 1914م، سالم الكبتي: أحمد الشريف السنوسي مختارات من وثائق جهاده العسكري ودوره الفكري، الجزء الأول، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 2016، ص 103 - 105.

⁽²⁾ - محمد فؤاد شكري : السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م، ص 116 .



لتوظيف الحركة السنوسية لموقعها الجغرافي ونفوذها في الصحراء لإرباك القوات التابعة لبريطانيا وتشيتت جهودها العسكرية .

سعت ألمانيا من خلال تحالفها مع الدولة العثمانية، إلى استثمار المكانة الدينية والسياسية التي كانت تتمتع بها في العالم الإسلامي، وتوظيفها لخدمة أهدافها في إطار الصراع آنذاك. وفي المقابل كانت الدولة العثمانية تطمح إلى استعادة نفوذها في الولايات التي فقدتها سابقاً وإحياء مكانتها التي تراجعت تحت التوسع الاستعماري الأوروبي، وفي سبيل أنجاح مشروعها عملت على توثيق علاقاتها بعدد من الشخصيات الإسلامية المؤثرة في مجتمعاتها بالوطن العرض وبعض الأقاليم الإسلامية الأخرى، ومن بينهم السيد أحمد الشريف السنوسي، حيث سعت إلى دعمهم وحثهم على تعبئة شعوبهم والعمل على تحرير بلدانهم من الوجود الاستعماري الأوروبي⁽¹⁾.

عمل السيد أحمد الشريف على نقل قواته من الجبل الأخضر إلى منطقة أمساعد الواقعة بالقرب من الحدود المصرية الغربية، حيث وصل إليها في أواخر سنة 1914م. وقد تزامن وصوله مع قدوم الضابط الألماني مانسمان الذي حمل معه رسالة من الإمبراطور الألماني (فيلهلم الثاني 1888-1918م) إلى السيد أحمد الشريف، مرفقة بنيشان رفيع منحه له إمبراطور تقديراً لمكانته. كما وصل في الفترة نفسها الضابط العثماني جعفر العسكري^{(2)(*)}. يتضح من ذلك أن انتقال القوات السنوسية إلى الحدود المصرية جاء في سياق تنسيق الجهود لفتح جبهة ضد النفوذ البريطاني في مصر، عقد الاجتماع الأول بين السيد أحمد الشريف ومستشاريه وعدد من مشايخ الزوايا السنوسية من جهة، وبعض الضباط العثمانيين والألمان من جهة أخرى، ومن بينهم نوري باشا، وجعفر العسكري، والألماني مانسمان، وذلك في منطقة أمساعد بنهاية العام 1914م، وقد تركزت المناقشات خلال هذا الاجتماع حول فكرة إنشاء دولة إسلامية في شمال إفريقيا تكون تحت قيادة زعيم الحركة السنوسية السيد أحمد الشريف، غير أن هؤلاء الضباط أبدوا استياءً واضحاً من طبيعة العلاقة السلمية القائمة

(1) - خالد حمود السعدون: الجهاد خلال الحرب العالمية الأولى، مركز الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999، ص15

(*) - جعفر العسكري ، ضابط بالجيش العثماني من أصل عراقي اشترك في الحملة السنوسية على القوات البريطانية، وكان أحد قادتها وقد أسر في فبراير 1916م ، للمزيد راجع / محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ، ص 246 .

(2) - عبدالمالك بن عبدالقادر بن علي : الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، الجزء الثاني، مطبعة دار الجزائر العربية،

دمشق، 1966م، ص 37 .



آنذاك بين بريطانيا والحركة السنوسية، إذ رأوا فيها ما يتعارض مع أهدافهم الإستراتيجية، ومن ثم أخذوا يعملون بصورة سرية على إفساد تلك العلاقة، سعياً إلى تحقيق غاياتهم المتمثلة في إدخال الحركة السنوسية في الصراع الدائر ضد البريطانيين⁽¹⁾. يرى الباحث أن هذه اللقاءات مثلت بداية إقحام الحركة السنوسية في مواجهة بريطانيا.

قاوم السيد أحمد الشريف المخطط العثماني الذي كان يسعى على دفعه للدخول في مواجهة مبكرة مع البريطانيين، إدراكاً منه لتعقد الموقف السياسي والعسكري في تلك المرحلة، فلم يكن يرغب في الدخول في صدام مباشر مع البريطانيين لعلهم بأن الحدود الغربية لمصر تمثل المنفذ الذي تصل عبره الإمدادات من أرزاق ومعونات، ويتضح هذا الموقف من خلال قوله لمحمد صالح حرب : "إن العثمانيين يريدون أن يورطوني في حرب مع بريطانيا قبل أن استعد لها الاستعداد الكافي، وأنني لا أُمالي البريطانيين محبة فيهم أو تقريباً منهم، غير أن مصر هي الباب الوحيد المفتوح الذي تصلني منه الأرزاق والأقوات التي تمكنني من مواصلة القتال ضد الطليان، فإذا أعلق هذا الباب أزداد موقعي حرجاً"⁽²⁾. ويرى الباحث أن موقف زعيم الحركة السنوسية عكس قدراً من الوعي السياسي بظروف المرحلة، إذ سعى إلى تجنب الصدام مع البريطانيين حفاظاً على منفذ الإمدادات، لضمان استمرار حركة الجهاد في ليبيا. تعقدت العلاقات بين السيد أحمد الشريف وبعض الضباط العثمانيين، الذين أسهموا في تأجيج الخلاف بينه وبين بريطانيا، كما عملوا على إضعاف موقفه عبر حملة تشهير اتهمته بأنه يُمالي البريطانيين⁽³⁾.

ويشير الأمير شكيب أرسلان إلى هذه المسألة بقوله: " عندما أتاحت لي الظروف اللقاء بالسيد أحمد الشريف حدثني شخصياً عن أمور كثيرة وحوادث جرت معه؛ فإذا أحسن التأريخ ما أخذه الإنسان من فم صاحبه، وأوثق الروايات ما استقاه المؤرخ من رأس نبعه" حيث أنه حدثه بأن أنور بك بعد أن أوفد أخاه نوري باشا، وعززه بعدد من الضباط وبالأسلحة والنقود كلفه بمحاولة إقناعي بمهادنة

⁽¹⁾ - مصطفى على هويدي : الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، مراجعة صلاح الدين حسن السوري، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، الجماهيرية 1980، ص 51 .

⁽²⁾ - محمد صالح حرب : ذكريات اللواء محمد صالح حرب، تحقيق احمد الكتابي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2009، ص 76 .

⁽³⁾ - إسماعيل أحمد ياغي : تاريخ العالم العربي ، مكتبة العبيكان ، القاهرة ، 2000 ، ص 318 .



الإيطاليين والتوجه لمهاجمة القوات البريطانية في مصر، انطلاقاً من رؤية سياسية رأت أن مقتضيات المرحلة تفرض محاربة البريطانيين ومحاصرة قواتهم هناك. غير أن وجهة نظر زعيم الحركة السنوسية كانت مغايرة تماماً؛ إذ رأى أن المصلحة تستوجب مهادنة البريطانيين في تلك المرحلة، والتركيز على مواصلة قتال الإيطاليين في ليبيا⁽¹⁾. يرى الباحث أن الخلاف بين السيد أحمد الشريف والضباط العثمانيين لم يكن مجرد خلاف شخصي، بل انعكاساً لتباين الرؤى السياسية والعسكرية بين الطرفين حول أولويات المواجهة.

من هذا المنطلق شرع نوري باشا في السعي إلى دفع السيد أحمد الشريف نحو الزحف باتجاه مصر، تنفيذاً للتوجهات العثمانية الرامية إلى فتح جبهة جديدة ضد بريطانيا، غير أن تمسك بموقفه الرافض لتنفيذ أوامر الضباط العثمانيين المتعلقة بإصدار أمر الهجوم على القوات البريطانية، مما أدى إلى تصاعد الخلاف بين الطرفين، وفي هذا السياق كانت السياسة الألمانية تسعى إلى استثمار التحالف مع الدولة العثمانية بهدف تشتيت القوات البريطانية، واستدراجها إلى جبهة قناة السويس، التي تمثل شرياناً حيوياً لبريطانيا، لغرض تخفيف الضغط على قواتها في ميادين القتال الأخرى خلال الحرب العالمية الأولى، ومع ذلك فقد حالت جملة من الاعتبارات السياسية والعسكرية دون استجابة زعيم الحركة السنوسية لهذه التوجهات، وهو ما يفسر موقفه الرافض لشن الهجوم على قوات بريطانيا في مصر، ومن أبرز هذه الأسباب ما يأتي⁽²⁾.

- 1 - كان السيد أحمد الشريف يحرص على حصر جهود المجاهدين في الهجوم على القوات الإيطالية وعدم إشغالهم في جبهات أخرى قد تضعف قدرتهم على مواصلة الجهاد.
- 2 - إدراكه بأن القوة العسكرية المتاحة لديه لا تمكنه من هزيمة القوات البريطانية في مصر، وهو ما جعله يتعامل مع الأمر بقدر من الواقعية السياسية والعسكرية.

⁽¹⁾ - لوثرروب ستوراد : حاضرم العالم الإسلامي، الجزء الأول، ترجمة عجاج نويهض، تعليق الأمير شكيب أرسلان، الطبعة الرابعة، دار الفكر بيروت، 1974، ص146.

⁽²⁾ - صلاح الدين أبوسيف سلطان: (أحمد الشريف ودوره في حركة المقاومة الوطنية 1902-1933م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بنغازي، 2019، ص80.



3- يخشى إذا وقع الفشل المحتمل في حالة الإقدام على مهاجمة البريطانيين إلى فتور عزائم المجاهدين وإضعاف معنوياتهم .

4 - حرصه على بقاء الطريق مفتوحاً مع مصر خشية تعرض السكان لنقص الغذاء فضلاً عن اعتمادهم على الإمدادات التي تصل من هناك، إذ أن مهاجمة البريطانيين تدفعهم بإغلاق حدودهم مع الغربية الأمر الذي قد يوقع السكان في ضائقة معيشية شديدة . تكشف هذه الاعتبارات مجتمعة عن تقدير واقعي للظروف العسكرية والسياسية من قبل الحركة السنوسية نحو أولوياتها دون الانجرار على صراع قد يعرضها لمخاطر اكبر .

شهدت العلاقة بين زعيم الحركة السنوسية والجنرال البريطاني ماكسويل نوعاً من التواصل الحذر إذ تبادل الطرفان المراسلات، وكان الجنرال يبعث إليه أحياناً ببعض الكتب في إطار محاولة استمالاته، وفي المقابل حرص السيد أحمد الشريف على طمأننته من جهة السنوسية، كما كانت ملابس الجيش السنوسي وبعض لوازمه تصنع في مصر دون أن تُبدي بريطانيا اعتراضاً، وهم ما يعكس حالة الحذر المتبادل بين الطرفين. وفي إحدى الوقائع وقع في يد السنوسية عدد من البحارة البريطانيين الذين نجوا من تحطم بارجة بالقرب من مالطا ووصلوا على سواحل طرابلس، فأرسلوا على السلووم، غير أن السيد أحمد الشريف أحسن معاملتهم وأكرمهم، ثم أعادهم إلى الجنرال ماكسويل، الذي كان يوفد ببعض الضباط ممن لديهم خبرة بسياسة العرب لغرض فكرة التحالف مع السنوسية، مقابل وعود تمثلت في الاعتراف بالطريقة السنوسية والتنازل عن بعض الواحات المصرية في الصحراء الغربية، إلا أن السيد أحمد الشريف لم يُبدِ اهتماماً بهذه العروض، مكتفياً بالمحافظة على حالة المسالمة، مدفوعاً بانتمائه للعالم الإسلامي وولائه لخليفة المسلمين في الأستانة، وفي المقابل كان أنور بك يحث أخاه نوري باشا على التحرش بالبريطانيين وإشعال الحرب بينهم وبين السنوسية، كما كان يضغط على السيد أحمد الشريف الذي يرفض فكرة غزو مصر بمساندته، مما أدى إلى خلاف بينه وبين نوري باشا الذي بادر على مهاجمة السفن التجارية البريطانية المتجهة على ميناء السلووم، وقد أثار ذلك التصرف غضب السيد أحمد الشريف، مبين له عواقبه الوخيمة، غير أن نوري باشا لم يأبه بذلك واستمر في نهجه، بل كتب إلى أخيه أنور بك في الأستانة مدعياً أن السيد أحمد الشريف لا يرغب



في معادة بريطانيا، بل يميل إليها سراً إلى جانب ترويجه جملة من الاتهامات والأقويل الأخرى⁽¹⁾. ويبين هذا الموقف حرص زعيم الحركة السنوسية على تجنب الانخراط المباشر في الصراع البريطاني، ومحاولة الموازنة بين الاعتبارات السياسية في المنطقة وارتباطه الديني والسياسي بالدولة العثمانية الأمر الذي أسهم في تعقيد علاقته ببعض القادة العثمانيين.

لم تكف التشكيلات المخصصة المنظمة السرية العسكرية المكلفة بحماية الأمن الخارجي للإمبراطورية العثمانية عن محاولاتها دفع السيد أحمد الشريف على التعجيل بمهاجمة القوات البريطانية خدمة لمصالح الدولة العثمانية، غير أنه يُدّ استعداداً للانخراط في هذه السياسة، الأمر الذي دفعها إلى تدبير مؤامرة للتخلص منه عبر تفجير الخيمة التي يقيم فيها وتتصيب بديل من العائلة السنوسية أكثر انسجاماً مع توجهاتها، إلا أن المؤامرة كُشفت قبل تنفيذها، فألقي القبض على سليمان الباروني وهلال الشريف وعدد من الضباط في فبراير 1915م، وأودعوا سجن الجغبوب، ثم أطلق سراحهم لاحقاً بعد اندلاع الحرب⁽²⁾. تشير هذه الحادثة إلى حجم التباين بين رؤية القيادة السنوسية من جهة، والتوجهات العثمانية الساعية إلى توظيفها في سياق صراعها مع بريطانيا من جهة أخرى.

عندما أخفق الضباط العثمانيون بقيادة نوري باشا وجعفر العسكري وبمشاركة بعض الضباط الألمان، في دفع زعيم الحركة السنوسية إلى التعجيل بمهاجمة القوات البريطانية، عمدوا إلى وضعه أمام الأمر واقع، فكلف جعفر العسكري بعض أتباع الحركة السنوسية، وهم أحمد المختار والرقيق المنفي وبالقاسم العيساوي، بشن هجوم على ميناء بقبق شرق سيدي براني في مصر. وقد أثار هذا التصرف غضب السيد أحمد الشريف، فأمر بإعدام أحمد المختار والرقيق المنفي لمخالفتهم الأوامر، بينما تمكن بالقاسم العيساوي من الفرار⁽³⁾. يكشف هذا الموقف عن حرص زعيم الحركة السنوسية على ضبط القرار العسكري وعدم السماح بتجاوزه من قبل الضباط العثمانيين. وعلى الرغم من المكائد التي حيكت ضده، استمرت الحوادث على الحدود في التصاعد، ولم يتمكن السيد أحمد

(1) - مذكرات أنور باشا : في طرابلس الغرب، ترجمة عبدالمولى الحرير، مراجعة حبيب وداعة الحساوي، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي-الجهادية، 1979، ص 33.

(2) - مذكرات أنور باشا : المرجع السابق، ص 34.

(3) - محمد عبدالهادي مفتاح :رواية شفوية، أجراها محمد عبدالقوي الشلوي، بمدينة البيضاء، تاريخ اللقاء 10-12-1979م، قسم الرواية الشفهية، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، قرص مضغوط، CD، 14/ 71.



الشريف من كبح تيار التصعيد؛ إذ بادر أنصار خيار الهجوم إلى إطلاق النار على القوافل التجارية المتجهة إلى السلوم والمحملة بالمواد الصناعية والغذائية⁽¹⁾. يبدو أن نوري باشا قد تمكن من استمالة بعض قادة وجنود الحركة السنوسية لصالح تحقيق مآربه وتنفيذ أوامره، بدون الرجوع للسيد أحمد الشريف، وذلك لوضعه تحت الأمر الواقع .

دخلت القوات الألمانية على خط الصراع، إذ وصلت غواصتان ألمانيتان محملتان بالجنود والأسلحة إلى ميناء البردي، وتمكنت إحداها من إغراق باخرتين بريطانيتين قرب السلوم، وأسر بحارتهما، ثم نُقل الأسرى غالى الخطوط الخلفية في منطقة أ مساعد بوصفهم أسرى حرب⁽²⁾. يرى الباحث أن التدخل الألماني في هذا الصراع مثل بعداً دولياً للحرب، وأسهم في تعزيز القدرات العسكرية للطرف المناهض لبريطانيا .

عقب هذه الحوادث سارعت القيادة البريطانية إلى اتخاذ إجراءات احترازية، فحذرت نوري باشا من عواقب تجاوز القوات السنوسية منطقة سيدي براني قرب الحدود المصرية، وفي محاولة لتفادي التصعيد، أوفد السيد أحمد الشريف الضابط العثماني جعفر العسكري إلى الخطوط الأمامية لتهدئة الأوضاع، وتقادي المواجهة. غير أنه خالف هذه التوجيهات، فكتف هجماته على القوات البريطانية، مما جعل المواجهة أمراً لا رجعة فيه، وإزاء ذلك أعلن السيد أحمد الشريف استعداداه للمشاركة مع نوري باشا، مؤكداً أن مسؤولية فشل الحملة - إن وقع - لا تقع عليه⁽³⁾. يفهم من هذه الوقائع أن زعيم الحركة السنوسية كان يميل غالى تجنب التصعيد العسكري مع بريطانيا في مصر، إلا أن تصرفات بعض الضباط العثمانيين وفي مقدمتهم جعفر العسكري، أسهمت في دفع الأحداث نحو المواجهة المباشرة، الأمر الذي جدّ من قدرة القيادة السنوسية على ضبط مسار الصراع .

ثانياً : الحملة السنوسية على القوات البريطانية في مصر .

⁽¹⁾ - يوسف سالم البرغثي : موسوعة روايات الجهاد (22، ج1)، مقابلة مع المجاهد محمد عيسى، أجراها يوسف سالم البرغثي، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، طرابلس، 1990، ص 106 .

⁽²⁾ - صلاح الدين أبوسيف سلطان: مرجع سابق ، ص 81 .

⁽³⁾ - لوثرروب ستوراد : مرجع سابق ، ص 148 .



بعد موافقة السيد أحمد الشريف على خوض الحرب ضد القوات البريطانية، بدأت قواته في التقدم نحو الأراضي المصرية في نوفمبر سنة 1915م، وقد دعا القبائل المصرية المقيمة على الحدود الغربية إلى المشاركة في قتال القوات البريطانية والوقوف إلى جانب الخلافة الإسلامية، فانضم الضابط المصري محمد صالح حرب حاكم مرسى مطروح إلى الحملة مع عدد من جنوده وضباطه، كما أسهم في تحريض بعض القبائل الحدودية على مقاومة القوات البريطانية⁽¹⁾. وفي منتصف نوفمبر 1915م بدأت قوات السنوسية هجومها على المواقع البريطانية، وتمكنت من احتلال واحة سيوه، في حين هاجمت الطرادات البحرية الألمانية السفن البريطانية القريبة من الحدود وأغرقت عدداً منها، كما تقدمت القوات السنوسية من السلوم نحو سيدي البراني التي سقطت بأيديهم في أواخر الشهر نفسه، أمام هذا الهجوم انسحبت القوات البريطانية إلى الجنوب الغربي من مرسى مطروح، حيث أقام السنوسية معسكرهم على بعد مسافة نحو عشرة كيلو متر منها، لتدور بعدها أولى المعارك الكبرى بين الطرفين، والتي اظهر فيها تفوق السنوسية على القوات البريطانية بقيادة الضابط سيل سنو، الذي فشل في تحقيق الانتصار أثناء هذه المعركة⁽²⁾. وقد أعقب ذلك وقوع معركة أم الرخم غرب مرسى مطروح في ديسمبر 1915م، والتي اشترك فيها بعض قبائل أولاد علي مع السنوسية، وانتهت بانسحاب القوات البريطانية عند المساء بعد أن تكبدت خسائر فادحة من القتلى والجرحى التي تركتهم خلفها⁽³⁾. بعد ذلك انتقلت القوات السنوسية إلى وادي ماجد في أواخر ديسمبر سنة 1915م، حيث أعادت تنظيم صفوفها وأقامت هناك نحو أسبوع خلال ذلك حاولت القوات البريطانية محاصرتهم، إذ تقدمت العربات المصفحة من جهة الساحل، بينما تحركت قوات الفرسان من الجنوب، وتقدمت المشاة بين القوتين بقصد تطويقهم، غير أنهم تصدوا لهذا التحرك، واستمرت المواجهات بين الطرفين منذ الصباح حتى المساء، قبل أن تنسحب القوات

⁽¹⁾ - نيقولا زيادة : محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال، المطبعة الكمالية، القاهرة، 1958، ص 86 .

⁽²⁾ - نيكولاي إيليتش بروشين : تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969، ترجمة عماد حاتم، الطبعة الثانية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 1999، ص 151 .

⁽³⁾ - عبدالمالك بن عبدالقادر بن علي : مرجع سابق، ص 43 .



البريطانية من ميدان القتال إلى مواقعها السابقة، بعد أن تكبد الطرفان خسائر كبيرة⁽¹⁾؛ ومع تطور العمليات العسكرية في البداية لصالح القوات السنوسية وحلفائها، سعت بريطانيا إلى إنهاء القتال على الحدود المصرية، فبادر قائد القوات البريطانية في مصر الجنرال السير جون ماكسويل إلى مراسلة السيد أحمد الشريف في 3 يناير 1916م؛ مقترحاً عقد صلح بين الطرفين، على أن يتضمن إبعاد الضباط العثمانيين والألمان، وانسحاب القوات السنوسية خارج الحدود المصرية، وإخلاء منطقتي السجوم وسيوه، والإقامة في منطقة الجغبوب، إضافة إلى إطلاق الأسرى، فإذا نفذت هذه المطالب فإنه مستعد للتساهل معكم أكثر مما يأملون، غير أن هذه الشروط لم تحظ بقبوله⁽²⁾. ويشير ذلك إلى أن النجاحات السنوسية دفعت بريطانيا إلى تفضيل الحلول السياسية لاحتواء الصراع على الحدود المصرية في محاولة لتجنب اتساع نطاق المواجهة.

بعد رفض السنوسية للمطالب البريطانية، تمركزت قواتهم قرب بئر بوتونس للتزود بالمياه عقب معركة وادي ماجد، وقد أسهمت الأمطار الغزيرة في إعاقة تقدم القوات البريطانية حتى 23 يناير 1916م، وقد شارك زعيم الحركة السنوسية السيد أحمد الشريف في هذه المعركة بنفسه رغم إصرار قواته على إبعاده خشية أسره أو مقتله⁽³⁾، وتمكنت القوات السنوسية من صد الهجوم وفق خطة نوري باشا، غير أن نقص الذخيرة والإمدادات اضطرهم إلى الانسحاب نحو الحدود المصرية، في حين تراجعت القوات البريطانية إلى قاعدتها بمرسى مطروح، بعد أن تكبد الطرفان خسائر فادحة⁽⁴⁾، وأفضت هذه التطورات إلى بروز الخلاف بين السيد أحمد الشريف ونوري باشا، تجلى في اجتماع عُقد أواخر يناير 1916م، بحضور جعفر العسكري وعدد من الضباط العثمانيين، حيث وجّه السيد أحمد الشريف انتقادات لضعف الاستعداد ونقص الإمدادات⁽⁵⁾، وقد ختم حديثه مخاطباً نوري باشا،

⁽¹⁾ - الطاهر أحمد الزاوي : جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، الطبعة الثانية، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1962، ص 265 .

⁽²⁾ - رسالة من الجنرال السير جون ماكسويل إلى السيد أحمد الشريف بتاريخ 8 مارس 1916م، حول الحرب الدائرة بينهم، وبعض شروط التفاوض لإيقاف الحرب، للمزيد راجع/ سالم الكتبي : مرجع سابق، ص 147-148.

⁽³⁾ - عبدالرحمن عزام : كفاح الشعب الليبي في سبيل الحرية، ترجمة عماد الدين غانم، مجلة الوثائق والمخطوطات، (ع2، ص2)، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1987م، ص 493 .

⁽⁴⁾ - مصطفى على هويدي : مرجع سابق، ص 78 .

⁽⁵⁾ - نيكولاي إيليتش بروشين : مرجع سابق، ص 151 .



وجعفر العسكري بقوله : " ما رابكم، قد أوصلتمونا إلى هذا الحال، وظهر لي أنني كنت على هدى، وكنتم على ضلال"⁽¹⁾ وبهذه العبارة نجد أن زعيم الحركة السنوسية تحسر لدخوله في الحرب ضد بريطانيا، وأنه لآم كلاً من نوري باشا، وجعفر العسكري اللذان دفعاه للحرب، رغم قناعته منذ البداية بأن لا يدخلها، منذ البداية وبدعم جدوى الهجوم على القوات البريطانية، وإنما ورطَ فيها، وهو ما يعزز قوله حرب تأتيك، وتدافع بما تملك، وحرب تأتيتها فلا بد أن تستعد لها .

نتيجة لذلك تبنى زعيم الحركة السنوسية إستراتيجية حربية جديدة، بوصفه نائب السلطان العثماني في شمال إفريقيا، فقام بتقسيم القوات على قسمين : أحدهما بقيادة محمد صالح حرب، وتحت إشرافه مباشرة، واتجه لاحتلال الواحات المصرية الجنوبية بقوة 4000 مقاتل، والقسم الآخر تحت قيادة جعفر العسكري وبإشراف نوري باشا، وتمركز في الساحل الشمالي، وكان قوام قواته 6000 مقاتل⁽²⁾ ؛ واجهت هذه القوات تفوقاً بريطانياً بقيادة الجنرال بيتون المدعمة بالتجهيزات الحديثة من دبابات ومصفحات، حيث دارت اشتباكات عنيفة مع القوات التي يقودها السيد أحمد الشريف استمرت يومين، وانتهت بانسحاب القوات البريطانية بعد فشلها في محاولة تطويقهم، أو الوصول إلى الواحات المصرية الجنوبية. وفي فبراير 1916م، تمكنت القوات التي ترافق السيد أحمد الشريف من السيطرة على الفرازة والواحات الداخلة، الأمر الذي دفع بريطانيا إلى تعديل إستراتيجيتها العسكرية، والاعتماد على سلاح الجو للحد من تقدم القوات السنوسية⁽³⁾ .

شنت القوات التي يقودها نوري باشا ، بتاريخ 25 فبراير 1916م، هجوماً على المعسكر البريطاني في وادي مقتلة بهدف منع أي تقاهم بينهم وبين السنوسية، إلا أن القوات البريطانية أحبطت الهجوم رغم عنصر المفاجأة، فيما عرف بمعركة وادي مقتلة⁽⁴⁾، عقب ذلك وقعت معركة العقاقير في 26 فبراير 1916م، حيث تعرضت القوات التي يقودها نورها باشا، لغارات جوية أعقبها هجوم بري، أدى إلى محاصرتهم من جهتي الشرق والغرب، وأسفر ذلك عن خسائر كبيرة في قواته، وشارك في

(1) - محمد فؤاد شكري : مرجع سابق، ص 176 .

(2) - أبوبكر خليفة شليق : المجاهد أحمد الشريف حياته ونضاله (1973-1933م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2011م، ص 92 .

(3) - محمد إبراهيم لطفي المصري : تاريخ حرب طرابلس، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق، بنها، 1946م، ص 71.

(4) - عبدالرحمن عزام : مرجع سابق، ص 443 .



هذه المعركة عبدالرحمن عزام، كما تم أسر الضابط جعفر العسكري، مما أضطر نوري باشا إلى الانسحاب بقواته نحو منطقة السلوم⁽¹⁾.

تقدمت فرقتان من القوات البريطانية بتاريخ 13 مارس 1916م، بقيادة (لوكين، وبيتون)، نحو منطقة بقبق الساحلية القريبة من السلوم، وحقت تفوقاً واضحاً، حيث أسر عدد من الضباط العثمانيين مع خسائر فادحة في الجنود⁽²⁾، ويعكس ذلك التفوق العسكري البريطاني المدعوم بالتجهيزات الحديثة، وسلاح الجو، وهو ما حسم مسار العمليات لصالحها، خاصةً بعد تقدمها إلى منطقة السلوم في 24 مارس 1916م، في معركة اتسمت بعدم التكافؤ بين الطرفين⁽³⁾. تبرز هذه الأحداث أثر التفوق العسكري والتقني البريطاني في حسم المواجهة.

توغلت القوات البريطانية في أواخر مارس 1916م، داخل حدود برقة لملاحقة القوات المنسحبة من المحور الساحلي الشمالي، وتمكنوا من تحرير عدد من أسراهم، والقضاء على القوة المكلفة بحراستهم في موقع بئر أحكيم جنوب طبرق، وبذلك انتهت عمليات المحور الذي يقوده نوري باشا⁽⁴⁾ سعى السيد أحمد الشريف منذ بداية الحرب إلى توسيع نطاق المواجهة، فدعا سلطان دار فور بالسودان علي دينار، إلى إعلان الجهاد لتشكيل جبهة عريضة لمحاربة البريطانيين، وقد استجاب السلطان لدعوته ووقف معه في الحرب، كما تمكنت القوات السنوسية من السيطرة على بعض المناطق الجنوبية والواحات البحرية في مصر، وانضم إليها كل من بهذه الواحات من ضباط وجنود، وموظفين مصريين، كما طلب من شيوخ الفيوم وأسيوط الانضمام إلى قواته، غير أن دعمهم اقتصر على المساندة المحدودة فقط⁽⁵⁾، وفي سياق متصل، تلقى السيد أحمد الشريف رسالة من السيد إدريس السنوسي، أثناء وجوده

⁽¹⁾ - مصطفى علي هويدي : (معارك هامة في تاريخ العربي، معركة العقاقير)، مجلة البحوث التاريخية، (ع1، ص9)، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1987م، ص 35.

⁽²⁾ - محمد الطيب الأشهب : برقة العربية بين الأمس واليوم، طبع بمصر، 1946، ص 316.

⁽³⁾ - إيفانز بريشارد : السنوسيون في برقة، ترجمة عمر الديراوي ابوحجلة، الطبعة الثانية، صفاقس للنشر والتوزيع، تونس، 2011م، ص 198.

⁽⁴⁾ - عبدالرحمن عزام : مرجع سابق، ص 452. للمزيد راجع/ مصطفى علي هويدي : مرجع سابق، ص 90.

⁽⁵⁾ - محمد فؤاد شكري : مرجع سابق، ص 178.



بالوحدات المصرية، ينصحه فيها بتجنب الاستمرار في الحرب ضد بريطانيا، وعدم التعويل على دعم العثمانيين والألمان، ومحذراً من تفوق بريطانيا واستعدادهم لهجوم واسع⁽¹⁾. ويبدو أن هذه النصيحة جاءت في إطار محاولة لتفادي مزيد من الخسائر والخروج من الأزمة، كما تعكس هذه المرحلة تدهور الأوضاع الداخلية في برقة، حيث تفشت المجاعة والأوبئة، وأدى إغلاق الحدود المصرية التي تأتي منها الأرزاق إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية، فضلاً عن تأثر الثروة الحيوانية والزراعة، نتيجة لجذب الأرض من قلة هطول الأمطار، خلال عامي 1915-1916م، ناهيك عن استمرار الحرب ضد البريطانيين والإيطاليين، التي فأقمت الأوضاع، فاجتمع مشايخ الزوايا وعدد من الأهالي ومشايخ القبائل للتشاور، وانتهوا إلى إرسال وفد للسيد إدريس السنوسي في إجدابيا لتولي إدارة الأزمة والسعي إلى معالجتها، في ظل بُعد السيد أحمد الشريف عنهم⁽²⁾؛ بادر السيد إدريس السنوسي بمراسلة ابن عمه أحمد الشريف، مبيناً تدهور الأوضاع فجاء رده مخولاً له اتخاذ ما يراه مناسباً، ومؤكداً تأييده لمطالب الأهالي، ويستفاد من ذلك إدراكه لصعوبة تحقيق مكاسب من استمرار الحرب، وضرورة إيقاف القتال والتوجه نحو التفاوض لتخفيف آثار المجاعة وفتح الحدود المصرية، مع تحفظه على مبدأ التفاوض مع أعداء الإسلام، وأنه لم يمد يده لهم إلا ولسيف فيها، فكلف إدريس السنوسي لذلك الدور، على أن يبدأ التقاهم مع البريطانيين وعدم الدخول في أي تفاوض مع الإيطاليين⁽³⁾.

تقدمت القوات البريطانية في 8 فبراير 1917م، من ثلاثة محاور بهدف محاصرة القوات التي يقودها أحمد الشريف السنوسي، غير أنه تنبه للتحرك فانسحب بقواته نحو جنوب سيوه. ويعزي ذلك إلى التفوق العسكري البريطاني المعتمد على الطائرات الحربية التي قصفت مواقعهم في الصحراء المكشوفة، إضافة إلى استخدام السيارات المصفحة والمدافع المزودة بالمدافع والرشاشات، في مقابل

⁽¹⁾ - رشيد خشانة وآخرون : الطريق إلى سايكس- بيكو الحرب العالمية الأولى بعيون عربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2016م، ص 200 .

⁽²⁾ - محمد الطيب الأشهب : مرجع سابق، ص 362 .

⁽³⁾ - إيرك دي كاندول : الملك إدريس عاهل ليبيا .. حياته وعصره ، ترجمة محمد حسين القزيري، دار الساقية للنشر، بنغازي،



ضعف تسليح القوات السنوسية، ونقص إمداداتها وذخيرتها، ولم تقتصر العمليات البريطانية على استعادة الواحات المصرية، بل واصلت ملاحقة القوات السنوسية حتى أطراف منطقة الجغبوب، حيث دارت آخر المعارك في جنوبها الشرقي أواخر فبراير 1917م⁽¹⁾. تظهر هذه التطورات تداخل العوامل العسكرية، والاقتصادية في إضعاف المقاومة، بما أسهم في ترجيح كفة البريطانيين الناتج عن التفوق التقني مقابل محدودة قدرات السنوسية .

أسباب فشل الحملة :

- 1 - إرهاب القوات السنوسية منذ البداية نتيجة صراعها سابقاً مع الفرنسيين في أفريقيا، والإيطاليين في ليبيا .
- 2- اختلال ميزان القوى لصالح البريطانيين، لتفوقهم في العدة والعتاد، ولاسيما استخدام الطيران الحربي
- 3- فشل حملة جمال باشا في بلوغ قناة السويس، وتزامن ذلك مع هزائم الألمان في أوروبا، مما زاد الضغط على القوات السنوسية⁽²⁾ .
- 4- نجاح البريطانيين في احتواء القبائل التي دُعيت من قبل الحركة السنوسية للجهاد في الفيوم وأسيوط؛ والقضاء على حركة علي دينار في دار فور .
- 5- بروز خلافات داخل الأسرة السنوسية بشأن الاستمرار في الحرب، خاصة بين السيد أحمد الشريف، وكل من أخيه هلال الشريف، وأبن عمه إدريس السنوسي .
- 6- توقف حركة الجهاد في برقة لفترة ممتدة من (1915حتى1923م)، باستثناء مناوشات محدودة
- 7- حدوث تحول في الموقف السياسي والعسكري للحركة السنوسية، من نهج المواجهة الحازمة بقيادة السيد أحمد الشريف، إلى نهج المهادنة والتفاوض تحت قيادة السيد إدريس السنوسي، بفضل ضغوط

⁽¹⁾ - شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977م، ص374

⁽²⁾ - صلاح الدين أبوسيف أبوزيد سلطان : مرجع سابق، ص 92.

الواقع العسكري والاقتصادي⁽¹⁾ . يعكس فشل الحملة تفاعل العوامل العسكرية والسياسية الداخلية والخارجية، في إعادة مسار الحركة السنوسية من المواجهة إلى التفاوض .

ثالثاً : أثر الصراع السنوسي البريطاني على حركة الجهاد في ليبيا .

وردت إلى السيد أحمد الشريف أثناء وجوده في سيوه، رسالة من السيد إدريس السنوسي تفيد بالتوصل إلى تفاهم مع البريطانيين والإيطاليين لعقد هدنة، تضمنت من شروطها إبعاد السيد أحمد الشريف والضباط العثمانيين عن الحدود المصرية ودواخل برقة، وقد تلقى هذه التطور بهدوء ورباطة جأش، ثم ما لبث أن وصل الجغبوب بقواته التي أنهكتها الحروب، وأذن لمن شاء من الجنود بالعودة إلى أهاليهم، بينما أثر آخرون البقاء معه مبددين ولاءهم واستعدادهم لمرافقته في الحياة والموت. وعلى إثر ذلك صعد البريطانيون موقفهم، فوجهوا إليه تهديداً عبر إدريس السنوسي، مطالبين بمغادرة الجغبوب، ومتوعدين بقصف ضريح جده بالطائرات، واحتلال الواحة واستباحتها في حال الرفض⁽²⁾. تكشف هذه الواقعة توظيف الضغط السياسي والعسكري البريطاني إلى جانب استثمار الانقسام داخل القيادة السنوسية لتحقيق أهدافهم، أسفرت هذه التطورات عن مغادرة السيد أحمد الشريف الجغبوب متجهاً إلى جالو، حيث عسكر خارجها فترة وجيزة، ثم انتقل إلى زلة وأقام بها نحو شهر. وخلال هذه التنقلات ظل تحت مراقبة المخابرات الإيطالية منذ خروجه من الجغبوب مروراً بجالو ومراده وصولاً إلى ودان، وقد لحق به في جالو على المحجوب شيخ زاوية الطيلمون، مزوداً إياه ببعض الإمدادات. وعند نزوله ضيفاً عند حمد سيف النصر وأبنائه من قبيلة أولاد سليمان وفروا له ولأتباعه مختلف سبل الدعم، فمكث في ضيافتهم قرابة ستة أشهر، كما شارك عدد من المشايخ، منهم صالح الأطيوش والسنوسي البراني وأبن شرادة وعبدالمجيد القبائلي، في التخفيف من معاناته خلال تلك الفترة، وتشير الوثائق الإيطالية بوصله إلى جنوب سرت بمنطقة الجفرة في 6 يوليو 1917م. ورغم وجود مراسلات بين نوري باشا وإدريس السنوسي وأحمد الشريف لعقد اجتماع، إلا أن ذلك لم يتم بسبب رفض

⁽¹⁾ - مصطفى على هويدي : مرجع سابق، ص 97 .

⁽²⁾ - فاروق لمكاك : (الحركة السنوسية ودورها في مقاومة الاحتلال الإيطالي بليبيا 1911-1951م)، رسالة ماجستير غير

منشورة، جامعة محمد خضر، بسكرة - الجزائر، 2014م، ص 44 .



السنوسية التدخل العثماني في شؤون برقة⁽¹⁾ تبين هذه التحركات حجم الضغوط العسكرية والاستخبارتية التي واجهت السيد أحمد الشريف، مقابل استمرا شبكة الدعم المحلي التي أسهمت في صموده رغم تعقيدات الموقف السياسي .

ظلّ السيد أحمد الشريف متمسكاً بعزيمته، بالرغم من ظروف المجاعة والحصار، وحظي هو وأتباعه بحسن الاستقبال والدعم من الأهالي، الذين قدموا لهم المؤن من أغنام وتمور وحبوب. وكان يحرص على شراء احتياجاته مقابل سندات تعهّد بسدادها، وقد أوفد لاحقاً من يقوم بتسويتها بعد وصوله إلى الأستانة. وفي سياق مواز؛ أدى تولي إدريس السنوسي زمام الأمور في برقة، واتجاهه نحو التفاهم مع البريطانيين والإيطاليين، إلى توتر علاقته بنوري باشا، الذي سعى من مصراتة التآجيج العداء ضد السنوسية، ومحاولة تنشيط جبهة طرابلس لمواصلة القتال ضد الإيطاليين⁽²⁾. يرى الباحث تباين في النهج السياسي بين القيادات السنوسية والعثمانية بين خيار التهذئة وخيار التصعيد، في ظلّ ظروف داخلية ضاغطة . وسعياً لتنفيذ هذا التوجه، أوفد نوري باشا محمد صالح حرب لإقناع السيد أحمد الشريف بالانتقال إلى الساحل قرب سرت، مبرراً ذلك بعدم جدوى بقاءه في الجفرة، وما يسببه من قلق لحلفائه الجدد، وعلى رأسهم رمضان السويحلي وعبد النبي بالخير، في ظلّ توتر علاقاتهم مع بعض القيادات السنوسية ما بعد معركة القرضابية، ورغم أن السيد أحمد الشريف كان يميل إلى التوجه نحو فزان، ثم السودان الغربي عند إذا دعت الحاجة، ولكن محمد صالح حرب نجح في إقناعه بالانتقال إلى الساحل، حيث عسكر في منطقة سلطان، ليكون على مقربة من خطوط الإمداد عبر الغواصات الألمانية المحملة بالمال والذخيرة⁽³⁾ . يبرز هذا التحول هيمنة اعتبارات التحالفات والدعم اللوجيستي على القرار الميداني، على حساب استقلالية الرؤية الإستراتيجية .

خلصت منظمة التشكيلات مخصصة، إلى أن السيد أحمد الشريف لم يعد أداة طيعة لهم ، فبادرت إلى إصدار مرسوم بتعيين سليمان الباروني بدلاً عنه؛ ليكون حاكماً على إقليم طرابلس

(1) - إرويعي محمد علي قيناوي : ((العلاقة بين أحمد الشريف ومحمد إدريس السنوسي من خلال العمل السياسي 1920-1954م))، الندوة العلمية حول الشيخ أحمد سيف النصر، برعاية المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 4 ديسمبر 2013م ، ص 5 .

(2) - مصطفى علي هويدي : مرجع سابق، ص 158 .

(3) - محمد فؤاد شكري : مرجع سابق، ص 273 .



وبرقة⁽¹⁾. يعكس هذا الإجراء تحول القرار السياسي من منطق الشراكة إلى منطق الإقصاء. وفي ضوء تلك الظروف، أوفد السيد أحمد الشريف الضابط المصري عبدالقادر طريف، برفقة خمسة وعشرين جندياً، إلى نوري باشا في مصراتة لطلب الإمدادات الموعودة؛ فعادت القافلة محملة بالمؤن والأسلحة والأموال واللوازم. غير أن رمضان السويحلي دبر للاستيلاء عليها، فكلف قائد شرطته محمد الحداد، مدعوماً بنحو مئة مقاتل بقيادة محمد سليمان البطلاوي وعبدالعزیز الدنيخ، بنصب كمين لها قرب تاورغاء، حيث أبعد أفرادها غدراً واستولى على حمولتها⁽²⁾. تكشف هذه الحالة هشاشة التنسيق بين القوى المحلية، وتغليب المصالح الفئوية، بما أفضى إلى إضعاف الجهد العسكري المشترك، وتقويض الثقة بين الأطراف. كاد زمام الأمور يفلت من يد السيد أحمد الشريف، إذ أصر أتباعه على مهاجمة مصراتة انتقاماً، غير أنه نجح في احتواء الموقف وتهدئة النفوس بحكم مكانته، مدفوعاً برفضه الشديد لاقتتال المسلمين فيما بينهم⁽³⁾. يعكس هذا الموقف تغليب النزعة الإصلاحية لدى القيادة على دوافع الانتقام بما أسهم في تجنب التصعيد الداخلي.

عمد نوري باشا إلى تجهيز قافلة أخرى نجحت في الوصول للسيد أحمد الشريف وإتباعه، غير أن خلافاً نشب بينه وبين رمضان السويحلي بشأنها، والذي كان رافضاً بالاعتراف بأي ممثل للسنوسية بوصفه ممثلاً للسلطان في طرابلس الغرب، الأمر الذي أسهم في تصاعد التوتر بين الطرفين⁽⁴⁾. يظهر موقف نوري باشا هذا اتجاه أحمد الشريف مدى إخلاصه له، ومحاولة مده بالمؤن والإعانات، رغم رفض رمضان السويحلي الذي كان معارضاً له.

تفيد الوثيقة البريطانية رقم (2944) المؤرخة في 29 أكتوبر 1917م، باندلاع العداء بين السيد أحمد الشريف ورمضان السويحلي؛ إذ يُذكر أن الأخير أعدم اثنين من أتباع السنوسية في زاوية سوكنه، فرد السيد أحمد الشريف بإعدام ضابطين عثمانيين انتقاماً لذلك، وهما حسن وعارف أفندي،

⁽¹⁾ - عبدالمولى صالح الحرير : ((منظمة تشكيليّاتي مخصوصي وأدوارها في حركة النضال الوطني 1911-1918م))، مجلة البحوث التاريخية، (1ع، س1)، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1979م، ص 40.

⁽²⁾ - محمد فؤاد شكري : مرجع سابق، ص 274.

⁽³⁾ - الطاهر أحمد الزاوي : مرجع سابق، ص 290.

⁽⁴⁾ - مصطفى علي هويدي : ((رحيل أحمد الشريف إلى تركيا))، مجلة الشهيد، (9ع، س9)، مركز دراسة جهاد الليبيين

للدراستات التاريخية، طرابلس، 1988م، ص 127.



أثناء محاولتهما الفرار ومعهم سداة مدفع، كما أذن لأتباعه بالغزو لتأمين احتياجاتهم في ظلّ الحصار. وفي السياق ذاته أعلن نوري باشا موقفاً حازماً ضد السويحلي، الذي دعم جبهة سرت بالرجال للتحرك لغزو برقة، الأمر الذي دفع السيد إدريس السنوسي، بمساندة صفي الدين السنوسي إلى حشد قوة من برقة والتوجه بها نحو سرت⁽¹⁾. تكشف هذه التطورات عن تصاعد دائرة العنف وتداخل الصراعات المحلية مع الإقليمية، بما أسهم في تعقيد المشهد وإضعاف وحدة الصف .

اتجه السيد أحمد الشريف بقواته مجدداً إلى منطقة الجفرة، وفق ما تذكره الوثيقة رقم (2770)، الصادرة عن المكتب العسكري البريطاني بولاية طرابلس بتاريخ 1 أكتوبر 1917م، بشأن الأوضاع في الدواخل؛ حيث التقى بالسيد حمد سيف النصر في سوكنه عقب تصاعد التوتر مع رمضان السويحلي. وقد أخفقت مساعي نوري باشا للصلح بين الطرفين، وفي الأثناء تقدمت قوة بقيادة عبدالنبي بالخير بهدف مهاجمة أحمد الشريف وحمد سيف النصر، فانسحب الأخير نحو زلة، بينما اتجه السيد أحمد الشريف إلى سانية السلطان. كما انتهى عبدالنبي بالخير إلى عقد صلح مع عقيلة بن سعيد وصالح الجرو الذي عينه مديراً على هون⁽²⁾. تجسد هذه التطورات تشتت مراكز القرار وتعدد مسارات التحالف، بما أسهم في إضعاف التماسك الداخلي وتعقيد إدارة الصراع. أمام هذه الظروف المعقدة، قرر السيد أحمد الشريف مغادرة البلاد مؤقتاً، بعد أن وجد نفسه محاصراً بين أطراف متعارضة، إدريس السنوسي المدعوم من البريطانيين والإيطاليين في الشرق، والتجمع الجديد من ضباط التشكيلات المخصصة إلى جانب رمضان السويحلي وعبدالنبي بالخير وسليمان الباروني في الغرب، ويبدو أن هذه التكتلات مثلت ضغطاً سياسياً متعمداً لدفعه إلى الانسحاب من الساحة⁽³⁾. يبرز هذا القرار ذروة العزلة السياسية التي بلغها، نتيجة تلاقي الضغوط الداخلية والخارجية بما أفضى إلى إقصائه من المشهد .

(1) - وثيقة عن مكتب الشؤون العسكرية البريطانية الخاصة بالوضع في الدواخل، رقم 2944، بتاريخ 29 أكتوبر 1917م، (غير منشورة)، شعبة الوثائق والمخطوطات، وحدة الوثائق الأجنبية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس

(2) - وثيقة عن مكتب الشؤون العسكرية البريطانية الخاصة بالوضع في الدواخل، رقم 2770، بتاريخ الأول من أكتوبر 1917م، (غير منشورة)، شعبة الوثائق والمخطوطات، وحدة الوثائق الأجنبية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس .

(3) - عبدالمولى صالح الحرير : مرجع سابق/ ص 41 .



أتاحت فرصة الهجرة للسيد أحمد الشريف حين تلقى دعوة من صديقة أنور بك، نلقها وفد ضم يوسف بن شتوان وحسام الدين بي، لحضور تتويج السلطان العثماني محمد وحيد الدين. وقد خصصت وزارة الحربية غواصة لنقله برفقة قائد قواته محمد صالح حرب، واقترح عليه الألمان زيارته لبرلين ولقاء القيصر فيلهلم الثاني في طريقة إلى الأستانة، ولكنه فضل التوجه أولاً إلى مقر الخلافة. وغادر على متن الغواصة (UC20) ، مصحوباً بعدد من مرافقيه، بعد أن كلف أحمد الريفي بقيادة ما تبقى من قواته في المنطقة⁽¹⁾. يظهر أن السيد أحمد الشريف من خلال هذه الرحلة يحرص على شرعيته الدينية والسياسية قبل الانخراط في أي تحالف أجنبي، ومؤكداً دوره المحوري في قيادة الحركة السنوسية يعكس إقصاء السيد أحمد الشريف السنوسي عن قيادة الحركة ومغادرته المشهد تحولاً جوهرياً في مسار الحركة السنوسية، من نهج المواجهة العسكرية المفتوحة إلى خيار التكيف السياسي القائم على التفاوض. ورغم وجود السيد أحمد الشريف خارج الوطن، فإنه لم ينقطع عن متابعة الوضع الداخلي، محافظاً على تواصله من خلال مراسلاته المختلفة، بما يدل على استمرار حضوره المعنوي وتأثيره غير المباشر. فقد أفضى الهجوم على القوات البريطانية في مصر إلى تداعيات عسكرية وسياسية كشفت محدودية القدرة على الاستمرار بالصراع المسلح في ظل اختلال موازين القوى، الأمر الذي مهد لظهور قيادة جديدة بزعامة إدريس السنوسي تبنت مقاربة أكثر براغماتية. وبذلك يمكن القول إن هذا التحول لم يكن مجرد تغيير في الأشخاص، بل كان تعبيراً عن إعادة توجيه إستراتيجية الحركة بما يتلاءم مع معطيات المرحلة وضغوطها الإقليمية والدولية .

الخاتمة:

تناول هذا البحث موضوع الصراع السنوسي-البريطاني داخل الحدود المصرية في سياق الظروف السياسية والعسكرية التي شاهدها منطقة شمال إفريقيا خلال فترة الحرب العالمية الأولى، وهي مرحلة اتسمت بتشابك المصالح الدولية وتداخلها مع الأوضاع المحلية في ليبيا ومصر، وقد أظهرت الدراسة أن هذا الصراع لم يكن مجرد مواجهة عسكرية عابرة، بل كان نتاجاً لتطورات سياسية

(1) - صلاح الدين أبوسيف أبوزيد سلطان : مرجع سابق، ص 108-109 .



معقدة ارتبطت بالسياسات الدولية للقوى الكبرى آنذاك، ومحاولات توظيف الحركة السنوسية ضمن إستراتيجية الحرب التي خاضتها الدولة العثمانية وألمانيا ضد بريطانيا .

وقد بينت الدراسة أن العلاقات بين الحركة السنوسية والسلطات البريطانية في مصر قبل اندلاع المواجهة اتسمت بقدر من الحذر والتوازن، حيث سعى الطرفان إلى تجنب الصدام المباشر حفاظاً على الاستقرار في المنطقة الحدودية. غير أن تدخل العثمانيين والألمان في ظروف الحرب، أدى إلى توتر تلك العلاقات ودفعها نحو المواجهة العسكرية . كما كشفت الدراسة عن المراحل التي مرت بها الحملة السنوسية على القوات البريطانية في مصر، والظروف العسكرية والسياسية التي صاحبها، مبينة أن هذه الحملة كانت جزء من سياق الحرب العالمية الأولى في المنطقة، وأن نتائجها لم تقتصر على الميدان العسكري في مصر، بل امتدت أثارها إلى الداخل الليبي، حيث انعكست على مسار حركة الجهاد ضد الاحتلال الإيطالي، ومن خلال تلك الأحداث يتضح أن الحملة السنوسية في مصر أسهمت في إحداث تحولات مهمة في موازين القوى وفي طبيعة الصراع في ليبيا، سواء من حيث تغيير القيادة السياسية والعسكرية في الحركة السنوسية، وأثر ذلك على توقف حركة الجهاد أثناء تلك المرحلة.

قائمة المصادر والمراجع

أ - المصادر

أولاً - الوثائق الغير منشورة :

- وثائق المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس

1 - ميكرو فيلم رقم (371) الوثائق الإنجليزية الغير منشورة، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، وحدة الوثائق الأجنبية، رسالة عن المكتب الشئون العسكري. استخبارات خاصة بالموقف في الدواخل، برقية رقم 2770، بتاريخ الأول من أكتوبر 1917م

2 - ميكرو فيلم رقم (371) الوثائق الإنجليزية الغير منشورة، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، وحدة الوثائق الأجنبية، رسالة عن المكتب الشئون العسكري. استخبارات خاصة بالموقف في الدواخل، برقية رقم 2944، بتاريخ 29 أكتوبر 1917م

ثانياً - الرواية الشفهية بالمركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس :

1 - محمد عبدالهادي مفتاح : رواية شفهية، أجراها محمد عبدالقوي الشلوي، بمدينة البيضاء، تاريخ اللقاء 10-12-1979م، قسم الرواية الشفهية، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، قرص مضغوط، CD ، 14 / 71 .

² - يوسف سالم البرغثي : موسوعة روايات الجهاد (22، ج1)، مقابلة مع المجاهد محمد عيسى، أجراها يوسف سالم البرغثي، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، طرابلس، 1990، ص106.

ثالثاً - المراجع :

أ - الكتب العربية .

1 - ابن علي، عبدالملك بن عبدالقادر: الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، ج2، مطبعة دار الجزائر العربية، دمشق، 1956م .

2 - الأشهب، محمد بن إدريس : برقة العربية بين الأمس واليوم، طبع بمصر، 1946م .



- 3 - الجمل، شوقي عطا الله : المغرب الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977م .
- 4 - حرب، محمد صالح : ذكريات اللواء محمد صالح حرب، تحقيق أحمد الكتابي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2009م .
- 5 - خشانة، رشيد وآخرون : الطريق إلى سايكس بيكو الحرب العالمية الأولى بعيون عربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2016م .
- 6 - ارسلان، شكيب : خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي، تقديم سوسن نصر النجار، الدار التقدمية، لبنان، 2010م .
- 7- زيادة، نيقولا : محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال، المطبعة الكمالية، القاهرة، 1958م .
- 8- الزاوي، الطاهر أحمد : جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1962م ،
- 9- السعدون، خالد حمود : الجهاد خلال الحرب العالمية الأولى، مركز الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999م .
- 10- شكري، محمد فؤاد : السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م .
- 11- الكتبي، سالم : أحمد الشريف السنوسي مختارات من وثائق جهاده العسكري ودوره الفكري، ج1، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2016م .
- 12- المصري، محمد إبراهيم لطفي : تاريخ حرب طرابلس، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق، بنها، 1946م .
- 13- هويدي، مصطفى علي : الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، مراجعة صلاح الدين حسن السوري، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، الجماهيرية، 1989م ،
- 14- ياغي، إسماعيل أحمد : تاريخ العالم العربي، مكتبة العبيكان، القاهرة، 2000م .



ب- الكتب الأجنبية المعربة .

- 1 - باشا، أنور : مذكرات في طرابلس الغرب، تقديم وترجمة عبدالمولى الحرير، مراجعة حبيب وداعة الحسناوي، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، الجماهيرية، 1979م .
- 2- بروشين، نيكولا إيليتش : تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969م، ترجمة وتقديم عماد حاتم، الطبعة الثانية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، 2001م .
- 3- بريشارد، إيفانز : السنوسيون في برقة، ترجمة عمر الديراوي ابوحجلة، الطبعة الثانية، صفاقس للنشر والتوزيع، تونس، 2011م .
- 4- دي، كاندول، إيريك : الملك إدريس عاهل ليبيا..حياته وعصره، ترجمة محمد حسين القزيري، دار الساقية للنشر، بنغازي، 2013م .
- 5- ستوراد، لوثرروب : حاضر العالم الإسلامي، ج1، ترجمة عجاج نويهض، تعليق الأمير شقيب ارسلان، الطبعة الرابعة، دار الفكر، بيروت، 1974م .

رابعاً - الصحف والدوريات :

- 1 - الحرير، عبدالمولى : ((منظمة تشكيلاتي مخصوصي وأدوارها في حركة النضال الوطني 1911-1918م))، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة الأولى، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1979م .
- 2- عزام، عبدالرحمن : ((كفاح الشعب الليبي في سبيل الحرية))، ترجمة عماد حاتم، مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد الثاني، السنة الثانية، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1987م .
- 3 - هويدي، مصطفى علي : ((رحيل أحمد الشريف إلى تركيا))، مجلة الشهيد، العدد التاسع، مركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م .
- 4- _____ : ((معارك هامة في التاريخ العربي، معركة العقاقير))، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة التاسعة، مركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1987م .



خامساً - الرسائل العلمية .

- 1 - سلطان، صلاح الدين أبوسيف أبوزيد : أحمد الشريف ودوره في حركة المقاومة الوطنية (1902-1933م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بنغازي، ليبيا، 2019م .
- 2- شليق، أبوبكر خليفة : المجاهد أحمد الشريف السنوسي حياته ونضاله (1933-1973م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2011م .
- 3- لمكك، فاروق : الحركة السنوسية ودورها في مقاومة الاحتلال الإيطالي بليبيا (1911-1951م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خضير، بكرة- الجزائر، 2014م .

سادساً- الندوات العلمية :

- 1 - قناوي، إرويعي محمد علي : علاقة السيد أحمد سيف النصر بالأمير محمد إدريس السنوسي، من خلال العمل السياسي (1922-1954م)، الندوة العلمية حول الشيخ أحمد سيف النصر، برعاية المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 4 ديسمبر 2013م .

بحث بعنوان :

ممارسة القبائل الليبية للحرية السياسية

The Exercise of Political Freedom by Libyan Tribes

إعداد:

د. سليمان بوبكر صالح محمد الحباس

Dr. Suleiman Boubaker Saleh Mohamed Al-Habas

أستاذ مشارك بقسم الفلسفة – جامعة طبرق

Associate Professor – University of Tobruk – Department of Philosophy

elhabony1963@gmail.com

المراجعة اللغوية: د- محمد صالح بوبركة (عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية كلية الآداب – جامعة طبرق)

الملخص:

لكل قبيلة ثقافتها وسلوكها، وقد تتفق مع بعض القبائل الأخرى، حيث تتعدد القبائل في ليبيا، ولها الأثر الواضح سياسياً واجتماعياً على الدولة، والحقوق السياسية هي: تلك الحقوق التي تثبت للفرد باعتباره مواطناً في دولة معينة، وتخول له المساهمة في حكم الدولة، كحق الترشيح للمجالس النيابية، وحق التصويت في الانتخابات العامة. والقبيلة: هي جماعة من الناس تنتمي إلى نسب واحد ويرجع إلى جد أعلى، وتتكون من عدة بطون وعشائر، والقبيلة هي أكبر وحدة اجتماعية داخل المجتمع العربي، وتشمل عدد من العشائر ترجع إلى الجد الأعلى وتتفاخر القبيلة بهذا الجد، ويشترط علماء الاجتماع لقيام القبيلة أو الجماعة الواحدة عناصر أساسية منها المكان الجغرافي المحدد وعاطفة الجماعة، وهذا يوجد في القبائل التي تتألف من عشائر وبطون وخاصة عندما تكون هذه العشائر بدوية، وهذه القبائل يوجد عدد كبير منها في الوطن العربي، مثل: ليبيا-اليمن-السعودية-الإمارات-العراق-الأردن .

الكلمات المفتاحية: القبائل - الليبية - الحرية - السياسية - ممارسة

Summary

Each tribe has its own culture and customs, which may overlap with those of other tribes. Libya is home to numerous tribes, and they exert a clear political and social influence on the state. Political rights are those rights granted to an individual as a citizen of a particular state, enabling them to participate in its governance, such as the right to run for parliamentary seats and the right to vote in general elections.

A tribe is a group of people belonging to a single lineage, tracing their ancestry back to a common ancestor. It consists of several clans and subtribes. The tribe is the largest social unit within Arab society, encompassing a number of clans that trace their lineage back to a common ancestor, and the tribe takes pride in this ancestor. Sociologists stipulate essential elements for the formation of a tribe or group, including a defined geographical location and a strong sense of community. These elements are present in tribes composed of clans and subtribes, especially when these clans are nomadic. Numerous such tribes exist in the Arab world, including in Libya, Yemen, Saudi Arabia, the United Arab Emirates, Iraq, and Jordan

Keywords: Libyan Tribes – Freedom – Political Practice.



إشكالية الدراسة:

تتبلور إشكالية الدراسة بأن ممارسة القبائل الليبية للحرية السياسية لا تحكمها نقطة نهائية ، بل للقبيلة تدخلاتها الواضحة في السياسة، وهي لا تدري ما هي الحرية السياسية، ولكل قبيلة شأنها الخاص ترى أن الحرية السياسة تكون من نصيبها.

أسباب اختيار البحث :

تم اختيار هذا البحث بناء على إشكالية تُعد من بعض الإشكاليات في الحرية السياسية، لأن المجتمع الليبي مجتمع قبلي، وزادت حدة القبيلة في السياسة بعد 17 فبراير، وبناء على وجود تلك الإشكالية في مجتمعنا تم اختيار هذا الموضوع .

الهدف من البحث :

الهدف من البحث التعريف، والتوضيح للخطأ الذي تقع فيه القبائل للنظام السياسي القائم، وعظم هذه القبائل ليس لها فهم في السياسية سواء المحلية أو الدولية ، اللهم إلا أشخاص معينة هم من يلعبون دوراً مهماً في السياسة.

أهمية الدراسة :

يُعد هذا الموضوع مشكلة كبيرة ولها مكانة كبيرة في المجتمع الليبي، ونظرا لما له من أهمية في هذا الوقت، وقد تناولته القبائل في عديد من المحافل والمناسبات، وكل قبيلة ترى أنها لها دور كبير في السياسة، ورجال السياسة في ليبيا دورهم كلام فقط دون تنفيذ.

منهج الدراسة:

والمنهج المتبع في البحث هو المنهج التحليلي المقارن مع الاستفادة من المنهج التاريخي كلما دعت الضرورة إلى ذلك .



ممارسة القبائل الليبية للحرية السياسية

تمهيد:

إن القبائل القديمة في ليبيا منها ما اندثر تماماً ومنها مازال حي يرزق، فقد كانت مصادرنا ومعلوماتنا من المؤرخين والكتاب القدامى، وهذه المعلومات قد تكون حقيقية وقد تكون من الأساطير، ومن هؤلاء المؤرخين "هيرودوت" في القرن الخامس قبل الميلاد، و"ديودورس الصقلي" و"بروكوبيرس القيصري" القرن السادس الميلادي، و"بليني الأكبر" القرن الأول الميلادي، و"بطليموس الجغرافي" القرن الثاني الميلادي، ولقد عدد هؤلاء المؤرخين القبائل القديمة في ليبيا، وكان الاعتماد على كتاب "هيرودوت" التاريخ عن القبائل الليبية والذي ذكر فيه القبائل القديمة.

القبيلة: هي جماعة من الناس تنتمي إلى نسب واحد ويرجع إلى جد أعلى، وتتكون من عدة بطون وعشائر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، وقال صلى الله عليه وسلم: أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالنَّقْوَى أَبْلَغْتُ قَالُوا بَلَّغْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا يَوْمَ حَرَامٍ ثُمَّ قَالَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا قَالُوا شَهْرُ حَرَامٍ قَالَ ثُمَّ قَالَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ قَالَ وَلَا أَذْرِي قَالَ أَوْ أَعْرَاضَكُمْ أَمْ لَا كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبْلَغْتُ قَالُوا بَلَّغْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِيُبْلَغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبُ¹، ويشترط علماء الاجتماع في القبيلة أن تستقر في بقعة جغرافية محددة، وتتفق فيما بينها على مبادئ معينة، ولهم لهجة خاصة بهم، ولهم عادات وتقاليد ملزمين بها.

وفي الاصطلاح الشرعي: فهي لم ترد كلمة الحرية لا في القرآن ولا في السنة الشريفة، بل مشتقاتها ومرادفاتها، في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ

¹ - مسند الإمام أحمد، حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، 411 \ 5، رقم 22978.



شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا {النساء: 92}، لقد وردت في هذه الآية كلمة "تحرير" وهي في حالة القتل الخطأ، وكذلك كلمة "الحر" في سورة البقرة آية 178، يقول سبحانه وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ {البقرة: 178}، أما في السنة النبوية لم ترد كلمة "حرية"، ولكنها جاءت متضمنة معناها في الحديث الذي يقول فيه النبي صلى عليه وسلم: مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُّسْلِمَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَصَا مِنْهُ عَصَاً مِنَ النَّارِ حَتَّىٰ فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ¹، وكلمة اعتق أي حرر وأعطاه حريته من العبودية، والحرية تعني قدرة الفرد على اتخاذ القرار، وهو مصطلح موجود مع وجود الإنسان، وترتبط بكرامة الفرد أو الجماعة، إن المعنى الأساسي للحرية هو التحرر من القيود، ومن السجن، ومن الخضوع لاستعباد الآخرين، وكل ما تبقى هو توسيع لمجال المعنى، أو مجاز، إن النضال من أجل الحرية يعني السعي لإزالة العقبات، والصراع من أجل الحرية الشخصية يعني السعي إلى كبح التدخل والاستغلال والاستعباد من أشخاص غاياتهم خاصة بهم وليست خاصة بالضحية².

والقبيلة هي أكبر وحدة اجتماعية داخل المجتمع العربي، وتشمل عدد من العشائر ترجع إلى الجد الأعلى وتتفاخر القبيلة بهذا الجد، ويشترط علماء الاجتماع لقيام القبيلة أو الجماعة الواحدة عناصر أساسية منها المكان الجغرافي المحدد وعاطفة الجماعة، وهذا يوجد في القبائل التي تتألف من عشائر وبطون وخاصة عندما تكون هذه العشائر بدوية، وهذه القبائل يوجد عدد كبير منها في الوطن العربي، مثل: ليبيا-اليمن-السعودية-الإمارات-العراق-الأردن.....، وتعرف هذه القبائل بأسمائها وشيوخها، وهناك بعض الدول توجد فيها قبائل ولكن ليس لها تأثير على الدولة أو سياستها مثل مصر وتونس والجزائر وسوريا والمغرب، بينما السودان توجد فيه قبائل كبيرة جداً ويتغلب عليها الطابع الديني الصوفي ولها تأثير في سياسة الدولة.

¹ - صحيح البخاري، باب قوله تعالى أو تحرير رقبة، 6 \ 2469، رقم 6337.

² - إيزايا برلين، الحرية خمس مقالات عن الحرية، ترجمة: يزن الحاج، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2015م، ص



تخضع القبيلة إلى أعراف وقوانين ملزمة وقوية نظمتهما القبيلة عن طريق الأعراف والتقاليد، وأصبحت ملزمة لأفراد القبيلة، وتصبح هذه القوانين والأعراف هي التي تحل المشاكل فيما بينهم وبين الآخرين، سواء في الدم أو العرض أو المال، وفيما سبق كان يوجد القاضي الذي يحمل مكانة كبيرة ورفيعة في القبيلة ويصل صيته إلى القبائل الأخرى، واليوم وبعد فترة من الزمن تغير مسمى القاضي إلى شيخ القبيلة أو العمدة، فهو من يحكم بين الناس، وهذا المسمى يوجد داخل ليبيا، بينما في السعودية والشام والعراق يسمى "العارف"، كما يوجد له اسم آخر في بعض الدول عند القبائل الأخرى مثل اسم "المرضي" أو "الفريض".

لكل قبيلة ثقافتها وسلوكها، وقد تتفق مع بعض القبائل الأخرى، حيث تتعدد القبائل في ليبيا، ولها الأثر الواضح سياسياً واجتماعياً على الدولة، والحقوق السياسية هي: تلك الحقوق التي تثبت للفرد باعتباره مواطناً في دولة معينة، وتخول له المساهمة في حكم الدولة، كحق الترشيح للمجالس النيابية، وحق التصويت في الانتخابات العامة¹،

بيد أن بعض المشايخ والعمد في القبائل الليبية يرون أن لا بد أن يدخل العرف في الدستور الليبي في حالة تفعيل الدستور، والاعتراف بالحكم العرفي وقضائه، وذلك لأن المجتمع الليبي وبنسبة 90% إن لم يكن 100% يتكون من قبائل، وهؤلاء المشايخ يرون أن القضاء العرفي يتفق مع العادات والتقاليد الخاصة بالقبائل، وهذا القضاء العرفي غير مكتوب ولا يدرس في كليات القانون، بل هو متعارف عليه بين القبائل، ويُعد قانون بالنسبة لهم.

يُعد المجتمع الليبي من المجتمعات القبلية، وللقبيلة دور كبير في كافة المجالات، خاصة بعد أحداث 17 فبراير، لوجود أعداد كبيرة جداً من القبائل داخل المجتمع الليبي، التي يصل عددها نحو 140 قبيلة، والعرف له أقسام منها: 1- العرف القولي. 2- والعرف العملي.

¹ - محمود جمال الدين زكي، دروس في مقدمة الدراسات القانونية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط2، 1969م،

ومفهوم الحرية: واسع ومتعدد التعريفات، فهي تعني الأفضل والأكمل من كل شيء¹، ويقول ابن منظور: حر، يحر إذا صار حراً، والاسم حرية، وحرره أعتقه²، وهذه التعريفات في اللغة.

وممارسة الحرية عند القبائل الليبية كانت ضيقة جداً، لأن مفهوم الحرية لم تتطرق إليه القبائل ولم تتحدث عنه، والسبب أن القبائل الليبية استخدمت مصطلح الحرية مع ما يطابق الشرع الإسلامي، والدين الإسلامي تكلم عن الحرية الشخصية والجماعية، وتعد الحرية مهمة جداً للقبائل لأنها تحمل الحقوق التي يجب أن يتمتع بها الأفراد داخل القبيلة وخارجها، ومن خلالها يشعر الفرد بأهمية دوره في القبيلة ثم الدولة، ولا يستطيع شيخ القبيلة أن يسلب حرية الأفراد، سواء في اختيار المأكل أو المشرب أو السكن أو حتى الزواج، أما في الدين يولد الفرد داخل القبيلة ويؤخذ بدين القبيلة ولا يستطيع أن يتخلى عن هذا الدين، وإن رفض سيكون مرتد حسب الشرع الإسلامي، والقبيلة لا تعطيه حرية الاختيار في الدين، لأن النظام القبلي مغلق في الدين ولا نقاش فيه، ويجب على أفراد القبيلة ألا يرفضوا هذا الدين لأنهم ولدوا ووجدوا آباءهم وأجدادهم عليه، يقول صلى الله عليه وسلم: كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَمَجَّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءً³.

والقبائل الليبية بحكم الدين الإسلامي الذي تدين به، لا توجد عندها الحرية المطلقة، والمعول في الحرية هو دائماً قدرة الحر على مواجهة الصعب ليقهره، وإذا خلت حياة الإنسان من كل صعوبة لما عرف ماذا تكون الحرية وماذا يكون معناها⁴، والحرية المطلقة هي التي بدون قيد أو شرط، وهي لا توجد عند البشر ولا الحيوان، فهي لله وحده الذي يفعل في ملكه ما يشاء وكيفما شاء، يقول سبحانه وتعالى: لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ {الأنبياء: 23}، وقوله تعالى: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ {الأعراف: 54}، وتدل الآيات على أن الله له الإرادة المطلقة والحرية المطلقة، حيث يقول سبحانه وتعالى: إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ {الحج: 14}، وقال تعالى: كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ {آل عمران: 16}.

¹ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1 \ 264.

² - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 4 \ 177.

³ - صحيح البخاري، باب ما قيل في أولاد المشركين، 1 \ 465، رقم 1319.

⁴ - زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ص 16.



40، والحرية المطلقة لا يستطيع الإنسان أن يمتلكها لأنها صعبة جداً، ولا يستطيع أن يقدمها على حقيقتها، ولكن الإنسان توجد عنده الحرية

المقيدة، التي يستطيع أن يقدم ما يشاء، ولكن بقيود وشروط معينة.

فقد تدخلت هذه القبائل في الصراع السياسي القائم في ليبيا، ويتدخل شيخ القبيلة في ممارسة السياسة باسم القبيلة ومعه حاشيته، ويتفق معه بعض القوى السياسية الذين يعملون على دعم القبيلة من أجل مصالحهم السياسية، وقد يكون هذا الشخص من ذات القبيلة، وسكان ليبيا يتكونون من عدة قبائل وعائلات وعشائر، مثل القبائل العربية، التبو، والأمازيغ، والطوارق، والفنيقين، والأتراك، والشركس، والأفارقة، والايطاليين الذين استعربوا، واليهود الذين هُجروا من ليبيا، ويُعد المجتمع الليبي مجتمع قبلي بامتياز، وهذه القبائل لها تأثيرها السياسي على الدولة الليبية، والعامل الاقتصادي والديني له دور كبير في الصراع السياسي في ليبيا، وبعض القبائل الموجودة في ليبيا لها ثقل كبير في الشأن السياسي.

وفي حالة الحرية الاجتماعية والسياسية تبرز مشكلة ليست متباعدة كلياً مع الحتمية الاجتماعية والتاريخية، إننا نفترض وجود حاجة لفسحة خاصة بالخيار الحر، وهو النقص غير المتعارض مع وجود أي شيء يمكن تسميته بالحرية السياسية أو "الاجتماعية"، ولا تستلزم الحتمية أن يكون البشر، حقيقة، غير قابلين للمعاملة كحيوانات أو أشياء، وكذلك لا تكون الحرية السياسية، مثل حرية الاختيار، متأصلة في فكرة الكائن البشري، بل هي نمو تاريخي، ومجال مطوق بالحدود¹، والحرية هي قدرة الفرد على اتخاذ القرار واختياره من بين مجموعة من الخيارات، وهذا قد يكون عند شيخ القبيلة الذي يتصف بالحكمة، حيث قراراته التي يتخذها تطبق على القبيلة، وله كامل الحرية فيما يراه، ومعظم القبائل الليبية تمتلك الحرية المقيدة، لأن المجتمع توجد به قبائل أخرى، فيجب ألا تتعارض حرية قبيلة مع قبيلة أخرى، كما توجد الحرية الاجتماعية التي تمارس بين القبائل وهي مرتبطة بكل الظروف الاجتماعية والسياسية التي تحيط بالفرد، والدين الإسلامي أعطى الحرية للإنسان حيث دعا إلى تحرير رقاب العبيد وإعطائه الحرية، والقبائل الليبية على الدين الإسلامي فلا وجود للرقيق فيها، ولها حرية العقيدة والتوحيد، وللقبائل حرية الكسب والتملك، كما للقبائل الحرية السياسية، وهي موجودة في الإسلام واتضحت بعد موت النبي

¹ - إيزايا برلين، الحرية، خمس مقالات عن الحرية، ص 39.



صلى الله عليه وسلم في خلافة أبي بكر الصديق، واختياره بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضى الله عنهما، وهذه حرية سياسية أي ديمقراطية الاختيار، والقبائل الليبية لا زالت تعتمد على الحرية السياسية الشرعية.

ولدت الحرية كامتياز وبقيت هكذا منذ مولدها تقسم وتفصل وتضع الجزء الأحسن بمعزل عن الباقي، وتستمد الحرية جاذبيتها من الاختلاف، ويعكس حضور الحرية أو غيابها علامات وأسس التناقض بين الأعلى والأدنى، والطيب والردىء، والاشتواء والمقت¹، والحرية المطلقة معدومة عند القبائل، لأن هذه القبائل تتشارك مع آخرين في الأعراف والحياة الاجتماعية، فلا مصادرة لحرية الآخرين، بل تضع القبيلة قيود معينة على الحرية وتضبطها بنظام معين، وبقيد العرف والعادات والتقاليد فيما بينهم، وترجع هذه الحرية إلى الشرع الإسلامي، فلو كل فرد في القبيلة أو كل قبيلة تصرفت كما تشاء دون ضوابط سيؤدي ذلك إلى الصراع والصداع، وهذا التقيد بالحرية وضوابطها متفق عليها بين أفراد القبيلة وبين القبائل الأخرى، ولا يحق لأي فرد أن يخالف هذه الضوابط الشرعية والعرفية، ولا يمس بحرية الآخرين ويصطدم بها، والقبائل الليبية لها الحرية في التصرف فيما تراه مناسب لهم وللآخرين، كما يشترك مع الحرية عند القبائل الليبية أمر مهم وهو الحياء، فلا زال الحياء بين هذه القبائل يشكل ارتباطاً قوياً، ومفهوماً دينياً شرعياً بين القبائل، فمن لا حياء له تنفره القبيلة، لأن الحياء من الدين، ولا زال "الحشم" بين هذه القبائل قائم حتى في حالات القتل، والدين الإسلامي هو من ثبت هذه الأمور بين القبائل.

إن الحرية مرتبطة بكرامة الفرد أو الجماعة منذ القدم، وهي امتلاك الفرد لإرادته وحرية دون أن يمس حرية الآخرين، وللحرية قيمة سامية بين القبائل، لأن الإنسان خلق عزيزاً مكرماً، وهو المحور الرئيسي للدين الإسلامي، وهو مكلف بالخلافة في الأرض، قال سبحانه وتعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ {البقرة:

¹ - زيجمونت بومان، الحرية، ترجمة: د. فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص 27.

30، والإنسان بعقله وحرية كان هو المسؤول في أمور كثيرة مثل الأمانة، قال تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا {الأحزاب: 72}، والقبائل الليبية تعلم جيداً أن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان واعطاه حريته وكرامته وحقوقه، وتدرك القبائل أن الدين الإسلامي أعطى الإنسان حقوقه كاملة، في حق العيش والتعبير والحرية، والمسؤولية والملكية والتنقل، والإرادة والاعتقاد والمشاركة السياسية، كما تدرك هذه القبائل قول عمر بن الخطاب: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

وحقوق الإنسان وحرية عند القبائل مأخوذة من الشرع الإسلامي فهي جزء من إنسانيته، فلا يحق لأحد أن يمن على الإنسان بها، فهي موجودة في الأصل وهي من عند الله، ولكن يجب وضع ضوابط للحقوق والحرية، والتكليف الذي شرعه الله للإنسان يرتبط بحريته، فلا يمكن إجبار الإنسان شرعاً على شيء غير مرغوب فيه، فلا يمكن أن يكره في العقيدة والمعتقدات، قال تعالى: لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّطِرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ {الغاشية: 22-23} وقال تعالى في حرية الاختيار: وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ {الكهف: 29}، ومن الطبيعي أن الشخص الذي يملك حريته لا يعتدي على حرية غيره، فهو مسيطر على نفسه وعلى أهوائه.

بيد أن الأثر السياسي للقبائل الليبية قد تأثر بالدين والعرف القبلي، فقد مرت القبيلة سياسياً بعدة مراحل في عهد المملكة الليبية، ثم في عهد الانقلاب العسكري في 1969م، ثم في أحداث فبراير 2011م، ففي العهد الملكي 1951م لم يكن للقبيلة دوراً سياسياً واضحاً، إلا بعد قيام البرلمان الليبي في ذلك الوقت، فقد كانت القبائل متحالفة مع الحركة السنوسية الدينية، فكانت القبائل الليبية في الشرق الليبي "برقة" تنظر إلى الحركة السنوسية من الناحية الدينية التي تطغى على القبيلة، واعتقاد القبيلة دينياً كان قوي يمارس داخل القبيلة، وبعد فترة زمنية قصيرة دخلت القبائل في السياسة، حيث انتشرت الزوايا الدينية في برقة وفزان، وركزت الحركة السنوسية الجهادية على القبيلة كعنصر مهم في الدولة وحركة الجهاد، حيث لا يمكن تجاهل التكوين القبلي في ذلك الوقت.

إن تحقيق قيمة الحرية واسترداد إنسانية الإنسان وإيقاف التسلط والظلم، هو بالنسبة للمسلم دين وعقيدة ومسؤولية وتكليف شرعي، والعمل على إشاعتها ونشرها في الحياة بعد تحقيقها في ذاته، هو



رسالته في هذه الحياة وإحدى عباداته الكبرى¹، تمارس القبائل الحرية المقيدة فيما بينهم، والحرية عند القبائل الليبية مرتبطة بالشرع الإسلامي، فهي ملتزمة بالضوابط العامة للحرية الدينية والالتزام بقوانينها، واحترام حرية الغير، وهناك من يطالب بالحرية المطلقة ويغالي بمطالبته بها، وإن ترك الأمر من قبل القبيلة فسوف يقوم بمصادرة الحريات والحقوق والواجبات الشرعية والقانونية، فشيخ القبيلة هو من يتحمل مسؤولية الأفراد داخل القبيلة، ويتم تقييمهم وضبط سلوكهم في تحمل المسؤولية الفردية والحرية المقيدة، وكذلك باقي القبائل تتحمل مسؤولية حريات أفرادها، ولكل أمة من الأمم مفهومها الخاص للحرية، وتستمد قيودها من قناعاتها بدينها أو أخلاقها وأعرافها، وتكون هذه القيود قليلة عند أمم، كثيرة عند أمم أخرى²، وتشارك القبائل في الحريات العامة لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون حرية، ومن خلالها يؤكد على إنسانيته وكرامته، والحريات العامة التي يشارك فيها الفرد مثل: الحرية السياسية وحرية التعليم والرأي والتعبير وحرية العمل والحرية الاجتماعية والدينية.

إن حرية التنقل يقصد بها أن يكون الإنسان حراً في سفره وترحاله داخل بلده وخارجه، دون عوائق تمنعه، لا سيما والحركة شأن الأحياء وبها قوام الحياة وصلاحها، قال تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ {الملك: 15}³، توجد عند القبائل حريات قديمة، قد لا تدرکها القبيلة، أو بحكم انشغال أفراد القبيلة بالأمور الحياتية فهم لم يلقوا لها بالاً، ومن هذه الحريات حرية التنقل، ومعظم القبائل كانت قبائل رُحل من أجل الكلاء، فهم ينتقلون من مكان إلى آخر دون قيد أو شرط، ولا ينازعهم أحد في ترحالهم وتقلهم، فمن أجل الرعي والحياة الكريمة تنتقل القبيلة من مكان لآخر.

والحرية الشخصية يقصد بها أن يكون الإنسان قادراً على التصرف في شؤون نفسه، أمناً من اعتداء غيره على ذاته وعرضه وماله⁴، وهي موجودة لأفراد القبيلة، ولهم حرية التصرف فيما يملكون، وتُعد من الحقوق المادية، أما الحقوق المعنوية تظهر من خلالها الحرية الشخصية، متمثلة في الحرية الدينية،

¹ - محمد محمود الجمال، الحرية وتطبيقها في الفقه الإسلامي، كتاب الأمة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر، 1، 2010م، ص 18.

² - إبراهيم بن محمد الحقي، الاستدلال الخاطئ بالقرآن والسنة على قضايا الحرية، مركز البحوث والدراسات، ط1، ص 5.

³ - محمد محمود الجمال، الحرية وتطبيقها في الفقه الإسلامي، ص 45.

⁴ - نفس المرجع، ص 44.

وحرية التعلم، والعمل، والحرية الدينية تشمل حرية العقيدة والعبادة، والحرية الشخصية لا تعني الاعتداء على حريات الآخرين، إذ تنتهي حريتك عندما تبدأ حرية غيرك، ولقد نصت الدساتير والقوانين على احترام الحرية الشخصية، والقبيلة تدرك أن لكل فرد فيها له الحق في الحرية الشخصية المقيدة بضوابط وأعراف وعادات وتقاليد القبيلة.

وحرية الفكر هي الحرية في أعمال العقل والفكر وعدم الجمود، وللقبائل أعراف وعادات وتقاليد، ولكل فرد في القبيلة حرية التفكير في الأعراف والعادات، والسعي إلى ضبطها، والابتعاد عن الخرافات والأوهام، التي تدخل إلى الأعراف القبلية، والفرد له حق التفكير الحر، فلا يمنعه أحد من التفكير، والفرد قد ينتقد العادات والأعراف الموجودة في القبيلة، وإن نجحت آراؤه فلا بد أن يظهرها للقبيلة، ولا بد لآرائه حينئذ أن تبدر منه ولو في كلمات عابرات أو في سلوكه الشخصي، أو في صمته إزاء بعض الأشياء¹، وهذه الأعراف والعادات والتقاليد القبلية متوارثة وكل جيل يسلم للجيل الذي بعده، ومن حق الجيل الجديد عن طريق حرية الفكر أن يضيف أو يحذف أو يعدل ما يراه مناسباً من هذه الأعراف، ولكن أن تكون ملائمة للقبيلة، وتكون مطابقة للشرع والقانون.

إن الحرية الدينية بين القبائل الليبية، من الأمور الثابتة التي لا تتغير، بسبب أن كل القبائل على دين الإسلام، فلا خيار للفرد من الخروج عن دين القبيلة، ومن يفعل ذلك يتم طرده ونفقه منها، ولكن هيئات أن يحدث خروج الفرد من القبيلة عن الدين الإسلامي، لأن القبيلة متمسكة بالدين ولا يستطيع فرد منها أن يفكر في ذلك، يقول سبحانه وتعالى: **فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ {الكهف: 29}**، والقبائل الليبية وبحكم دينهم الإسلامي، متعصبين للدين والعقيدة، فلا توجد عندهم الحرية الدينية في اختيار الدين، وهذا ما جعل الدولة الليبية على دين واحد وكذلك قبائلها، وعلى مذهب واحد، ولا توجد شرائع أخرى غير الإسلام، وحرية الاعتقاد من الحريات الفكرية الفردية مثل حرية الرأي، ولكن حرية الاعتقاد تكون في الدين، والقناعات الدينية عند القبائل عميقة ومتجذرة في شخصية الإنسان وتفكيره، ونجد عند القبائل الاهتمام بالمقدسات الدينية مثل المساجد والزوايا، وإقامة الشعائر الدينية بها، وكذلك الاحتفالات والمناسبات الدينية.

¹ - ج . بيوري، حرية الفكر، تعريب: محمد عبدالعزيز إسحاق، سلسلة ميراث الترجمة، المركز القومي للترجمة، العدد 1712،



إن الحرية السياسية تقوم وتتشكل بناءً على وضعية النظم السياسية وإرادتها بالدرجة الأولى، وحتى قبل وجود "النظام السياسي" بالمعنى الحديث والمعاصر للكلمة، فإن الحرية كانت دائماً مرتبطة ارتباطاً أساسياً بسلطة الحكم في الدولة أو المملكة أو الإمارة أو القبيلة أو العشيرة، وصولاً إلى المجموعة الطوطمية في بداية تاريخ الإنسان¹، أما الحرية السياسية عند القبائل، زاد الاهتمام بها بعد أحداث 17 فبراير، وأصبحت تُعد من الحقوق الأساسية للقبيلة، وهي العلاقة بين القبيلة والدولة، ونتج عن هذه الحرية معرفة القبيلة بأهمية الجانب السياسي، وهي مزاولة كل فرد بالغ عاقل في اختيار السلطة التشريعية والتنفيذية القائمة على التشريع والتنفيذ، وبحكم أن القبائل الليبية تدين بالدين الإسلامي، فالسياسة في الإسلام جزء أساسي من الحرية الإنسانية، ومن خلالها يتم اختيار الخليفة أو الإمام، أي اختيار رئيس للدولة عن طريق الشورى وعدم طاعته إن خرج عن حدود الله، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ عَلَيْهِ وَلَا طَاعَةَ².

والحرية السياسية ترتبط بحرية الفرد في القبيلة، حيث يتم انتخاب من هو يخاف الله في حقوق الناس، ويكون على خلق وأخلاق حميدة، ومن الإشكالية القائمة في السياسة الخلاف بين مبدأ الشورى والديمقراطية، هناك من يرى أنهما مثل بعضهما، وهناك من يحرم الديمقراطية، ومن يرى أن الشورى مبدأ قائم بذاته والديمقراطية كذلك قائمة بذاتها، وهذا الخلاف زاد بعد ظهور الجماعات الإسلامية.

ومن الإشكاليات في الحرية عند القبائل وهي حرية المرأة، لقد أعطى الإسلام للمرأة حريتها وحقوقها، ولكن في حدود الشرع، على عكس المجتمع الأوروبي، والمرأة في الإسلام لها حرية كاملة غير ناقصة، فقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم على المرأة حيث قال: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلُقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الصِّلَعِ أَعْلَاهُ³، لها حقوق وعليها حقوق، مثل الزواج والطلاق والميراث....، وتحررت المرأة من الأمور الصعبة التي يتحدث عنها

¹ - ماهر مسعود، الحرية من سماء الفلسفة إلى أرض السياسة، بيت المواطن للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2015م، ص 51.

² - سنن الترمذي، باب لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، 4 \ 182، رقم 1707.

³ - صحيح البخاري، باب الوصاة بالنساء، 5 \ 1987، رقم 4890.

المجتمع غير المسلم، بينما حرية المرأة عند القبائل الليبية لها حدود وضوابط معينة لا تتعداها المرأة، وذلك لوجود الحياء والكرامة والحشمة بين أفراد القبائل الليبية.

إن الناس معادن يختلفون في عدة أمور إلا أنهم يتفقون ويتحدون في سلوك أخلاقي معين فيه مصلحة القبيلة والمجتمع، ومع هذا قد يأتي سلوك عدائي أو عدواني، وهذا السلوك تحكمه الأخلاق، فهناك قيم أخلاقية ينتج عنها سلوك طيب تتقبله كل القبائل الأخرى، مثل عدم التخريب وعدم السرقة والغدر إلخ، ولهذا نجد كبار القبائل ينادون بالأخلاق الحميدة والسلوك الجيد، لأن القبيلة في ليبيا لها تأثير كبير على المجتمع، من خلال ما تقدمه وما يراه المجتمع من سلوك وأخلاق حميدة، ينتج عن العرف قيم أخلاقية داخل المجتمع وهذه القيم قيم أخلاقية، لأن الجماعة هي التي تضع القوانين الخلقية، وهذا العرف والعادات تصبح موروثاً اجتماعياً أخلاقياً، ويصبح هذا الموروث مع مرور الوقت ملزم للمجتمع ومصدر إلزام له، وتقاس هذه العادات على مدى نفعها أو ضررها للمجتمع، والمجتمع لا يرضى إلا بما هو صالح له، حيث يدرك التمييز بين الخير والشر، وقد يستهجن الفعل من العرف لأنه غير أخلاقي، وقد يصبح قانون ملزم للمجتمع.

والأخلاق إنما تضع من القواعد ما يحدد قيمة سلوك الشخص بالنظر إلى ذاته، أي بالنظر إلى عواقب هذا السلوك وآثاره بالنسبة إلى الشخص ذاته، من حيث الارتفاع بالنفس عنده إلى ما ينبغي لها من السمو والكمال لتحقيق خيرها وأمنها الداخلي، والأخلاق من الواجب وهي أساس الحياة والسلوك الإنساني، فيجب أن يتحلى الإنسان بمكارم الأخلاق، وعند الحديث عنها لا يعني بأنها خاصة بالإسلام فقط، بل هي لكل أمة وملة أخلاقها الخاصة، وقد تتفق هذه الأخلاق مع المجتمعات الأخرى عن طريق العادات والأعراف، فالحديث لا يكون عن الأخلاق في الإسلام بل لفظة أخلاق عامة تشترك فيها جميع الأمم البشرية، لأن هدف الأخلاق تحقيق السعادة والبعد عن الشرور، وتسعى لتحقيق الخير والأمن والأمان، فسلوك الفرد والمجتمع القبلي يتأثر بالعلاقات الاجتماعية المؤثرة، كما يتأثر بالدين ويؤثر في المجتمع القبلي، فقد ينتج سلوك جديد ناتج عن الأخلاق الحميدة، وقد يكون فرد أو جماعة أو حتى شيخ القبيلة، فتتأثر به القبيلة ويستمر هذا السلوك داخل القبيلة، وكأنه عرف ملزم لهم، والإنسان يكون شخصيته من خلال ما هو محيط به من بيئة أو قبيلة أو مجتمع ما، ويظهر سلوكه وأخلاقه وتأثره بالآخرين، وتتضح العلاقات السلوكية والأخلاقية داخل وخارج القبيلة والمجتمع.



قد تفرض الأخلاق سلوك معين داخل القبيلة، وينتشر هذا السلوك وسط المجتمع والقبيلة، لأن السلوك هو فعل يستجيب له الكائن الحي لدافع داخلي، والأخلاق تحدد السلوكيات الخيرة والجيدة وغير الجيدة، والخلق صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ذات آثار في السلوك، محمودة أو مذمومة¹، ومن كان خلقه محموداً فإن سلوكه بالطبع محموداً، لأن السلوك هو نتاج الأخلاق.

من المعروف أن كل القبائل الليبية تدين بالدين الإسلامي، وتنقسم إلى جماعات أو فرق، ولا يؤثر هذا على الحق الديني لدى القبائل الليبية، كما أن لهذه القبائل حقها العرفي المتعارف عليه فيما بينهم، فقد تأثرت كل القبائل الليبية بالدين الإسلامي وحقوقه وأوامره ونواهيه، كما حاولت هذه القبائل أن تعتمد العرف متلائماً مع الشرع الإسلامي، بسبب تأثر العرف عند القبائل الليبية بالدين الإسلامي، ونبعت الحقوق العرفية من الشرع الإسلامي، وما يتعارض أو يخالف الشرع يرفض من قبل القبائل، كما تأثرت باقي القبائل العربية بالشرع الإسلامي، وقد نجد اتفاق بين القبائل في كثير من القضايا العرفية التي تعتمد على الشرع الإسلامي.

والحق الديني والعرفي ملزم به الفرد والجماعة لأنها تتبع من داخلهم فهم من صنعوا تلك الحقوق مع وجود الحقوق والمسؤولية²، وتجربة القبائل الليبية مع الدين قديمة وذات بُعد أخلاقي وروحي، فلم تكن لدى القبائل الليبية في الماضي النظرة السياسية الحالية، بسبب اعتقادهم القوي في رجال الدين، وهم يتعلقون بالدين وأوامر الله، وتعلقهم بالعبادات والمساجد، وهذا ما جعل القبائل تعطي لهؤلاء الرجال حقهم الشرعي في ممارسة السلطة الدينية والسياسية دون تردد.

إن الحق السياسي يسعى لتحقيق العدل والمساواة بين أفراد القبيلة، حيث يصبح القانون هو المتحكم في الدولة ويرجع إليه جميع الأفراد الكبير والصغير، الرئيس والمرؤوس، شيخ القبيلة ورعيته، والقانون هو ما يحقق العدالة والمساواة، والقانون السليم لا يرفض الأعراف، بل يؤيدها إن كانت معه ومع الدين، ولا نستطيع أن نرفض القبيلة لأنها جزءاً أساسياً في منظومة التكوين الاجتماعي السياسي في ليبيا، فيجب على القبيلة أن تتقبل القانون لكي نصل إلى الدولة المدنية الحديثة.

¹ - الشيخ حسن حنكة والشيخ محمد الغزالي، الثقافة الإسلامية، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز، السعودية، ط18، 1998م، ص 81.

² - د. سليمان بوبكر الحباس، إشكالية الإلزام والواجب وحقوق الإنسان، ص 189.



وفي حالة الحرية الاجتماعية والسياسية تبرز مشكلة ليست متباعدة كلياً مع الحتمية الاجتماعية والتاريخية، إننا نفترض وجود حاجة لفسحة خاصة بالخيار الحر، وهو النقص غير المتعارض مع وجود أي شيء يمكن تسميته بالحرية السياسية أو "الاجتماعية"، ولا تستلزم الحتمية أن يكون البشر، حقيقة، غير قابلين للمعاملة كحيوانات أو أشياء، وكذلك لا تكون الحرية السياسية، مثل حرية الاختيار، متأصلة في فكرة الكائن البشري، بل هي نمو تاريخي، ومجال مطوق بالحدود¹، والحرية هي قدرة الفرد على اتخاذ القرار واختياره من بين مجموعة من الخيارات، وهذا قد يكون عند شيخ القبيلة الذي يتصف بالحكمة، حيث قراراته التي يتخذها تطبق على القبيلة، وله كامل الحرية فيما يراه، ومعظم القبائل الليبية تمتلك الحرية المقيدة، لأن المجتمع توجد به قبائل أخرى، فيجب ألا تتعارض حرية قبيلة مع قبيلة أخرى، كما توجد الحرية الاجتماعية التي تمارس بين القبائل وهي مرتبطة بكل الظروف الاجتماعية والسياسية التي تحيط بالفرد، والدين الإسلامي أعطى الحرية للإنسان حيث دعا إلى تحرير رقاب العبيد وإعطائه الحرية، والقبائل الليبية على الدين الإسلامي فلا وجود للرقيق فيها، ولها حرية العقيدة والتوحيد، وللقبائل حرية الكسب والتملك، كما للقبائل الحرية السياسية، وهي موجودة في الإسلام واتضحت بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة أبي بكر الصديق، واختياره بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضى الله عنهما، وهذه حرية سياسية أي ديمقراطية الاختيار، والقبائل الليبية لا زالت تعتمد على الحرية السياسية الشرعية.

ولدت الحرية كإمتياز وبقيت هكذا منذ مولدها تقسم وتفصل وتضع الجزء الأحسن بمعزل عن الباقي، وتستمد الحرية جاذبيتها من الاختلاف، ويعكس حضور الحرية أو غيابها علامات وأسس التناقض بين الأعلى والأدنى، والطيب والردىء، والاشتقاء والمقت²، والحرية المطلقة معدومة عند القبائل، لأن هذه القبائل تتشارك مع آخرين في الأعراف والحياة الاجتماعية، فلا مصادرة لحرية الآخرين، بل تضع القبيلة قيود معينة على الحرية وتضبطها بنظام معين، ويقيدها العرف والعادات والتقاليد فيما بينهم، وترجع هذه الحرية إلى الشرع الإسلامي، فلو كل فرد في القبيلة أو كل قبيلة تصرفت كما تشاء دون ضوابط سيؤدي ذلك إلى الصراع والصداع، وهذا النقيض بالحرية وضوابطها متفق عليها بين أفراد القبيلة وبين القبائل

¹ - إيزايا برلين، الحرية، خمس مقالات عن الحرية، ص 39.

² - زيجمونت بومان، الحرية، ترجمة: د. فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص 27.



الأخرى، ولا يحق لأي فرد أن يخالف هذه الضوابط الشرعية والعرفية، ولا يمس بحرية الآخرين ويصتدم بها، والقبائل الليبية لها الحرية في التصرف فيما تراه مناسب لهم وللآخرين، كما يشترك مع الحرية عند القبائل الليبية أمر مهم وهو الحياء، فلا زال الحياء بين هذه القبائل يشكل ارتباطاً قوياً، ومفهوماً دينياً شرعياً بين القبائل، فمن لا حياء له تتفرد القبيلة، لأن الحياء من الدين، ولا زال "الحشم" بين هذه القبائل قائم حتى في حالات القتل، والدين الإسلامي هو من ثبت هذه الأمور بين القبائل.

بيد أنه بعد هذه الأحداث حدث فراغ سياسي في ليبيا، وعلى أثره دخلت القبيلة بشكل قوي في السياسة بعد ما كانت محرومة منه في عهد القذافي، فكانت هذه فرصة للقبيلة كي تثبت جدارتها ووجودها في الدولة وتدخل في السياسة القائمة في الدولة، وهناك بعض القبائل التي تحامت بالملشيات، بل بعض القبائل أصبح أفرادها يكونون مليشيات، وتدافع عن القبيلة، كما حدث صراع بين بعض القبائل وخاصة في الغرب الليبي، وهذا ما حدث بين قبائل أولاد سليمان والقذافة في فزان، وحدث بين قبائل الزاوية واورشفانة بسبب صراعات قديمة، والصراع الذي كان بين الطوارق والتبو بسبب حراسة حقول النفط في سنة 2014م، وحدث صراع بين قبائل المشاشية وقبائل الزنتان في الجبل الغربي، كما نشأ صراع قديم بين مصراته وأورقلة في بني وليد عام 2012م نتيجة صراع قديم بين بني وليد "قبيلة أورقلة" وقبائل مصراته، وحدث صراع في الجنوب الشرقي الليبي بين قبائل الزوية وقبائل التبو، ولكن ما ظهر للعيان عدم الصراع بين القبائل في برقة، لأن القبائل في برقة لا زالت متماسكة اجتماعياً وعرفياً وسياسياً.

لقد أصبحت الدولة الليبية بعد أحداث 2011م بأن كل قبيلة ترى نفسها لها دور في المجال السياسي، وخاصة إذا كانت القبيلة عدد النسمة كثير وتحمل سلاح، وقد تقاسمت القبائل الليبية نصيبها السياسي، فكان لكل قبيلة نصيب أما في الوزارات أو السفارات، وحدث أمراً آخر بين القبائل ألا وهو اتحاد بعض القبائل مع بعضها وشكلت هذه القبائل بعد الاتحاد دوراً مهماً في السياسة بأن لها نصيب الأسد في السياسة، أو في تشكيل الأحزاب السياسية، والسياسة هي: تدبر أمور الأمة الداخلية والخارجية، بالنظم والقوانين التي تكفل الأمن لأفرادها، وجماعاتها، والعدل بينهم، وتضمن تحقيق مصالحهم، وتمهيد السبيل لرفقهم، وتنظيم علاقتهم بغيرهم¹.

¹ - عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، دار القلم، بيروت، 1988م، ص 7.

إن الخطاب السياسي ليس مماثلاً، ولا مشابهاً لمفهوم الاختيار في الديمقراطية الحديثة، فالاختيار في الخطاب السياسي يقتصر على أهل الحل والعقد، والذي قد يكون العدد شخصاً واحداً من أهل الحل والعقد، عكس الاختيار في الديمقراطية المعاصرة¹، فقد أثرت الحركات الإسلامية في القبائل، حيث كل حركة دينية استخدمت خطابها الخاص، فظهر خطاب سياسي جهادي جديد، والقبائل الليبية على منهج سني واحد، ويتطلب الأمر السياسي دراسة الواقع السياسي للدول الأخرى، حيث تتعامل معها بما يخدم مصلحتها، ولا تتعارض مع الشرع والدين، وتحتاج السياسة إلى عقل راجح وحكمة وذكاء، لأن من خصائصها محاكاتها للواقع الذي نعيشه، ومراعاة القيم الأخلاقية والشورى والعدل والحرية كما حث عليها الإسلام، والمساواة والإحسان، فلا وجود للعنصرية أو الميل لجهة معينة، إننا بحاجة اليوم إلى اجتهادات تتلاءم مع حاجات عصرنا، وتتناول خصوصاً الأمور العامة ذات التأثير المباشر أو غير المباشر على معظم الناس، سواء في الشأن السياسي أو غيره من الشؤون التي لا تتعلق بفرد واحد أو عدد معين من الأفراد، بل بعامة المسلمين، أو على الأقل بعامة المسلمين من أهل قطر معين من الأقطار الإسلامية، لا سيما في المرحلة الحالية التي تشهد تنامياً في شعور المسلمين بقدرة دينهم وكفاءته، كمشروع لإدارة المجتمع وتنظيمه²، وكل القبائل الليبية مسلمة وعلى مذهب واحد، وهذا ما جعل القبائل الليبية على قلب واحد في حالة الضيم.

¹ - د. سليمان بوبكر الحباس، السياسة في الخطاب الإسلامي، دار الوليد، طرابلس، ليبيا، ط1، 2021، ص36.

² - د. توفيق السيف، الإسلام في ساحة السياسة، متطلبات العرض والتطبيق، دار الجديد، بيروت، ط1، 2000م، ص77.



المصادر والمراجع:

- إبراهيم بن محمد الحقييل، الاستدلال الخاطيء بالقرآن والسنة على قضايا الحرية، مركز البحوث الدراسات، ط1،
- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1.
- أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، المكتبة الشاملة.
- الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، دار الرسالة .
- إيزايا برلين، الحرية خمس مقالات عن الحرية، ترجمة: يزن الحاج، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2015م.
- ج . بيوري، حرية الفكر، تعريب: محمد عبدالعزيز إسحاق، سلسلة ميراث الترجمة، المركز القومي للترجمة، العدد 1712، 2010م.
- د. توفيق السيف، الإسلام في ساحة السياسة، متطلبات العرض والتطبيق، دار الجديد، بيروت، ط1، 2000م.
- د. سليمان بوبكر الحباس، إشكالية الإلزام والواجب وحقوق الإنسان، دار الوليد، طرابلس، ليبيا، ط1، 2021م .
- د. سليمان بوبكر الحباس، السياسة في الخطاب الإسلامي، دار الوليد، طرابلس، ليبيا، ط1، 2021.
- زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة.
- زيجمونت بومان، الحرية، ترجمة: د. فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- زيجمونت بومان، الحرية، ترجمة: د. فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- الشيخ حسن حنيفة والشيخ محمد الغزالي، الثقافة الإسلامية، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز، السعودية، ط18، 1998م.
- عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، دار القلم، بيروت، 1988م.



- ماهر مسعود، الحرية من سماء الفلسفة إلى أرض السياسة، بيت المواطن للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2015م.
- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، المكتبة التوفيقية.
- محمد محمود الجمال، الحرية وتطبيقها في الفقه الإسلامي، كتاب الأمة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر، ط1، 2010م.
- محمود جمال الدين زكي، دروس في مقدمة الدراسات القانونية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط2، 1969م.

بحث بعنوان :

آرتميس الإفيسية (دراسة تاريخية وأثرية)

Artemis Ephesus (A Historical and Archaeological Study)

إعداد:

أ. أكرم علي حمد علي

Mr. Akram Ali Hamad Ali
محاضر بقسم الآثار - كلية التاريخ والحضارة

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

Lecturer in the Department of
Archaeology – Faculty of History and
Civilisation -Mohmmad Bin Ali
Assanosi University
akram.a.ali@ius.edu.ly

د.منى محمد موسى نوح

Dr. Mona Muhammad Mosa Nohe
محاضر - رئيس قسم الآثار

كلية السياحة والآثار -سوسة جامعة عمر المختار

Chair, Department of Archaeology
Faculty of Tourism and Archaeology – Susa
Omar Al-Mukhtar University
monamosa835@gmail.com

المراجعة اللغوية:أ.د.امحمد فرج الخزعلي كلية الآداب
جامعة عمر المختار

الملخص:

تُعدّ آرتيميس أختاً للمؤله أبولو التوأم، وابنة زيوس من ليتو، وهي مؤلهة الصيد، إذ يُعتقد أنها من أقدم المؤلهات التي عرّفها الإغريق، حيث عبدها السكان المحليون في مناطق البلقان والأناضول وكريت، ربما تعود جذورها الأقدم إلى بلاد الرافدين، ظهرت آرتيميس في أشعار هوميروس، كما ذكرها هيردوت، وقد ارتبطت بمؤلهة القمر سيليني وهيكتي.

وجدت المؤلهة آرتيميس شعبية كبيرة خاصة في آسيا الصغرى، حيث انتشرت عبادتها في جميع أرجاء العالم القديم من بينها ليبيا، غير أن أركاديا تُعدّ من أقدم مراكز عبادتها، تليها مدينة إفسوس، وكانت صفة الأمومة من أقدم سماتها، غير أن صفة العذرية طغت عليها لاحقاً.

اكتسبت آرتيميس أسماء وألقاباً عديدة تشير إلى صفة من صفاتها في الأعمال الأدبية الإغريقية والرومانية. صوّرت آرتيميس الإفيسية بأنها امرأة واقفة ترتدي حول عنقها عقداً غريب الشكل، فأحياناً يظهر على شكل مجموعة من الفواكه، وأحياناً إكليل من الزهور أو خصية الثور التي كانت تقدم كقربان لها، ولكن أبرز ما يلفت الانتباه في تماثيلها هي تلك الصفوف من النهود وهي كناية عن الوفرة والخصوبة، والتي تتراوح ما بين ثلاثة وأربعة صفوف.

كلمات مفتاحية: آرتيميس – أفسوس – آسيا الصغرى – الأناضول – طقوس.

Abstract:

Artemis is the twin sister of the deity Apollo and the daughter of Zeus and Leto. As the goddess of hunting, she is considered one of the oldest deities known to the Greeks, worshipped by the indigenous populations of the Balkans, Anatolia, and Crete, with her earliest roots potentially tracing back to Mesopotamia. Furthermore, Artemis appeared in Homer's poetry, was mentioned by Herodotus, and was closely associated with the lunar deities Selene and Hecate. The goddess gained immense popularity, particularly in Asia Minor, and her cult spread throughout the ancient world, including Libya; however, Arcadia is regarded as one of her oldest cult centers, followed by the city of Ephesus. While the attribute of motherhood was among her earliest characteristics, it was later overshadowed by her trait of virginity. Consequently, in Greek and Roman literary works, Artemis acquired numerous names and epithets, each signifying a particular aspect of her attributes. Regarding her iconography, the Ephesian Artemis was depicted as a standing woman adorned with a uniquely shaped necklace around her neck, which at times appeared as a cluster of fruits, and at others as a floral wreath or the bull testicles offered to her as sacrifices. Nevertheless, the most striking feature of her statues is the rows of breasts, ranging between three and four rows, symbolizing abundance and fertility.

Keywords: Artemis – Ephesus – Asia Minor – Anatolia – Rituals.

المؤلهة آرتيميس

- التعريف بالمؤلهة آرتيميس:

تُعدّ آرتيميس* أختاً للمؤله أبولو Apollo التوأم، وابنة زيوس Zeus من ليتو Leto، وهي مؤلهة الصيد، إذ يُعتقد أنها من أقدم المؤلهات التي عرفها الإغريق Greece، إذ يُرجّح أنّ عبادتها سبقت قدوم الإغريق، فقد عبدها السكان المحليون في مناطق البلقان Balkas والأناضول Aatolia وكريت Crete¹، ويُقال إنّها مؤلهة مينية Minoans الأصل، غير أنّ جذورها الأقدم ربما تعود إلى بلاد الرافدين Mesopotamia؛ إذ كانت تُجسّد في بداياتها صورة للمؤلهة الأم قبل أن تكتسب صفات مرتبطة بالصيد²، فقد ارتبطت في أصلها بخصوبة الأرض، وكانت تمثّل مؤلهة الأرض الأم القديمة³.

ظهرت آرتيميس في أشعار هوميروس Homer بوصفها ابنةً لزيوس وليتو⁴، وكانت تؤدي دور الحامية للمواليد من البشر والحيوانات وأكثر اهتماماً من هيرا بالولادة⁵، فتشرف على رعايتهم وتعتني بصحتهم، كما تُعين النساء أثناء الولادة⁶.

وتتميّز آرتيميس بحبّها للتجوال في الغابات والجبال، وهي ماهرة في الصيد، وترتدي رداءً قصيراً يسهّل حركتها أثناء الصيد، وتحيط بها مجموعة من التابعات العذراوات، إضافة إلى ستين حوريةً يقمن بخدمتها، فيعتنين بأحذيتها ويرعين كلابها، وتتخذ من المناطق الجبلية مقراً لها⁷.

وغالباً ما تُصوّر آرتيميس حاملةً قوسها وجعبة السهام على كتفها⁸، كما ارتبطت بمؤلهة القمر سيليني، بل إنّ بعض الروايات تُطلق عليها هذا اللقب أو تُسند إليها مهامها⁹. ويُعتقد أنّ الموت

* للمزيد حول مكان ميلاد آرتيميس وصراعها مع المؤلهين والبشر انظر: Roman, Luke 2010: Encyclop edia of

Gree and Roman Mythology, Title. III. Infobase Publishing, New York, pp. 84-87.

¹ Burkert, Walter 1985: Greek Religion. Harvard University Press, pp. 149,183,184.

² West, M. L. 1997: The East Face of Helicon: West Asiatic Elements in Greek Poetry and Myth, Oxford, p. 56.

³ الماجدي، خزعل 2004: المعتقدات الإغريقية، دار الشرق للنشر والتوزيع، الأردن، ص 258.

⁴ Homer, the Iliad (Butler) I, 8-10; XX, 70-72; XXI, 479-510; XXIV, 603-607.

⁵ Farnell, Lewis Richard. 1896: The Cults of the Greek States. Oxford, Vol.1,p. 212.

⁶ أحمد، عبد اللطيف، خفاجة، محمد صقر 1959: أساطير اليونان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ص 20، 23.

⁷ Graves, Robert. 1955: The Greek Myths. Penguin Books, p. 83.

⁸ Homer, the Iliad.(Pope) XXI, 18; Homer, the Iliad. (Murray) XXI, 470.

⁹ Farnell, Lewis Richard. 1896: p. 275.

المفاجئ قد يُعزى إلى سهم طائشٍ ينطلق من قوسها، إضافةً لامتلاكها القدرة إلى إرسال الأوبئة¹، الأمر الذي أدى إلى الخلط بينها وبين مؤلّهة العالم السفلي هيكاتي².
 وتُعدّ أركاديا* من أقدم مراكز عبادتها، تليها إفسوس*، حيث كان معبدها من أشهر مراكز العبادة في العالم القديم، وتشير الدراسات إلى أنّ صفة الأمومة كانت من أقدم سماتها، وربما تعود إلى ما قبل العصر البرونزي أو بداياته، غير أنّ صفة العذرية طغت عليها لاحقاً، ونتيجةً لذلك، تحوّل دورها من أمّ حامية للحيوانات إلى راعيةٍ لها ولصياديها، فأصبحت تُعرف بوصفها مؤلّهة الصيد³.

¹ Graves, Robert. 1955: p. 83.

² شعراوي، عبد المعطى 2005م : أساطير إغريقية – الإلهة الكبرى، الجزء الثالث، مكتبة الإنجلو المصرية، ص ص 405، 406؛ Burkert, Walter. 1985: p. 171; Farnell, Lewis Richard. 1896: Vol.2, p. 10
 * يرتبط إقليم أركاديا بـ "قوريني" (قورينية) بروابط تاريخية وميثولوجية وطيدة؛ فمن الناحية الأسطورية تشترك المنطقتان في نسب "كاليستو" المؤلّهة التي تمثل جذراً ميثولوجياً مشتركاً، أما سياسياً فقد استجاب القورينيون لتوجيهات "عرافة دلفي" التابعة للمؤله "أبولو" لإنهاء اضطراباتهم الداخلية، مما أدى لاستدعاء المصلحين الأركاديين "ديموفانيس" و"ميغاستينس" (من ميغالوبوليس) في القرن الثالث قبل الميلاد، حيث نجحوا في وضع دستور ونظام حكم مستقر جعل من الإقليم امتداداً فكرياً للمدرسة السياسية الأركادية؛ للمزيد انظر: الدلال، سعد صالح، و علي، الشريف أبحاث 2025: إقليم أركاديا ودوره في تنظيمات وإصلاحات كيريناكي في العصر الإغريقي، المؤتمر التاريخي الدولي الثاني، برقة وعالم البحر المتوسط عبر العصور التاريخية، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طبرق، ليبيا، ص ص 1-16؛ Chamoux, F. 1953: Cyrène sous la monarchie des Battiades. Éditions d Boccard, Paris, p. 352; Polybius 2010: The Histories: Books 9-27. Trans: W.R. Paton. Cambridge, MA: Harvard University Press, p.165.

* يقع موقع إفسوس الأثري على بعد حوالي 70 كيلومتراً جنوب غرب مدينة إزمير، الواقعة على ساحل بحر إيجه التركي. تُعدّ أولى الحفريات العلمية في معبد إفسوس من الأعمال التي أُجريت بإشراف أمناء British Museum، وذلك بعد حصولهم على فرمان رسمي من الدولة العثمانية سنة 1863م، الأمر الذي أتاح الشروع في أعمال التنقيب وفق منهج علمي منظم، وقد ارتبطت هذه الجهود بأعمال John Turtle Wood الذي أسهم في الكشف عن بقايا المعبد، وقد قامت مدينة إفسوس القديمة على نهر كايستر (Cayster)، الذي يصب في خليج سكالانوف (Scala Nova)، على الساحل الغربي لآسيا الصغرى (تركيا حالياً). ولا تتوافر مصادر تاريخية دقيقة تحدد نشأة المدينة، إذ ارتبطت أصولها بعدد من الروايات الأسطورية؛ حيث تُنسب عملية تأسيسها إلى أندروكلوس (Androklos)، ابن الملك الأثيني كودروس (Codrus)، في حين تشير روايات أخرى إلى القائد المصري سيزوستريس (Sesostris) وكغيرها من المدن الأيونية في آسيا الصغرى، خضعت إفسوس لسيطرة كرويسوس (Croesus)، آخر ملوك ليديا (Lydia)، قبل أن تسقط مملكته على يد كورش الكبير (Cyrus the Great)، لتدخل المدينة بعدها ضمن نطاق الحكم الفارسي، واستمرت كذلك خلال عهد الملك خشايارشا الأول (Xerxes 485-465) (ا.ق.م)، أحد أبرز ملوك الإمبراطورية الأخمينية. للمزيد حول مدينة إفسوس، انظر: Wood, John Turtle 1877: Discoveries at Ephesus, Including the Site and Remains of the Great Temple of Diana, Kongnmeans, Green, and Co, London, pp.3-16.; Ertürk, N. & Karakul, Ö. 2016: UNESCO World Heritage in Turkey 2016, Turkish National Commission for UNESCO, Ankara, p. 413.

Burkert, Walter. 1985: pp.149, 310.

³ الماجدي، خزعل 2004: ص ص 310، 311؛



ألقاب وصفات المؤلّهة آرتميس:

اكتسبت المؤلّهة آرتميس أسماء وصفات عديدة، حيث إن الأعمال الأدبية الإغريقية والرومانية مليئة بالألقاب آرتميس وكل لقب فيها يشير إلى صفة من صفاتها، ومن هذه الألقاب: بوتنيا ثيرون Potnia Theron سيدة (ملكة) الحيوانات البرية، سيدة البراري Agrotera، حاضنة الأطفال Paidotrophos، محبة الصغار Philomeirax، العذراء Parthenos، المؤلّهة المختفية (أفايا) Aphaiai، مؤلّهة قرية كراي (كارياتيس Cayatis)، المؤلّهة القابلة Locheia - المؤلّهة الأم (الإفيسية) Ephesus، وغيرها الكثير، ولكن ما يهمنا في هذا البحث اللقب الأخير الإفيسية¹.

أصل المؤلّهة آرتميس:

حدثت مناقشات عديدة وجدل حول أصل المؤلّهة آرتميس وعذريتها ومكانتها بين مؤلّهي أولمبوس، إذ ترجح الروايات التي نُسجت حولها أنها ليست من أصل إغريقي²، وترجح أنها كانت مهتمة بحياة الغابات والجبال والمناطق الخلوية وهذا ما يؤكده لقبها أجروتيرا، أي سيدة البراري³، وإنّ جل اهتمامها كان منصّباً على صغار كل الكائنات الحية وخاصة الإناث⁴.

إن أقرب وأصدق الأدلة التي يمكن ملاحظتها على أن المؤلّهة آرتميس غير إغريقية في الأصل وأن اسمها ليس إغريقياً، أذ نجد أن عبادتها كانت منتشرة في أماكن لا توجد فيها عبادة المؤلّة أبولو، فقد انتشرت في أفسوس بآسيا الصغرى، ولهذا عبدت هناك بأسلوب غير إغريقي، كما أن قصة قيام معبدها بشعوب ارتبطت بشعوب غير إغريقية.

علاوة على ذلك، ثمة دليل آخر يربطها بالحيوانات البرية بمعزل عن أية مؤلّهة إغريقية؛ إذ يشير الانتماء بدلاً من ذلك إلى ترابطها بمؤلّهة مينوئية يطلق عليها لقب بوتنيا ثيرون، أي سيدة الكائنات البرية، وهي مؤلّهة كريتيّة اسمها معروف، كما أن أشهر حورياتها التابعة لها وهي الحورية بريتومارتيس Britomartis هي حورية كريتيّة ذات أهمية محلية بالغة⁵.

¹ شعراوي، عبد المعطي 2005: الإلهة الكبرى، ص ص 407 ، 408.

² Graf, Fritz, 1993: Greek Mythology: An Introduction, Johns Hopkins University Press, p. 85.

³ Larson, Jennifer, 2007: Ancient Greek Cults: A Guide, Routledge, , p. 101.

⁴ Farnell, Lewis Richard 1896: p. 425.

⁵ Bremmer, Jan N., 1994: Greek Religion, Oxford University Press, p. 63; Farnell, Lewis Richard.1896: p. 476.



إن طبيعة الأمومة تظهر واضحة في شخصية المؤلهة، وذلك من خلال الطقوس التي كان يمارسها أهل إفسوس، بالإضافة إلي أن أغلب الحوريات التابعات لها تصورهن الروايات الإغريقية في صورة أمهات، أشهرهن كالليستو * Callisto الأركادية ¹.

آرتميس إفيسيا Ἄρτεμις Ἐφεσσία ²:

وهي المؤلهة المحلية الأناضولية في إفسوس، حيث قامت عبادتها في مدينة إفسوس التي أنشأتها الأمازونات ³، وبدأت عبادتها في إفسوس في القرن (السابع ق.م) وذلك بناء علي تتبع مراحل بناء معبدها في إفسوس، إذ ترجع الأساسات للقرن السابع ق.م، حيث عثر Anton Bammer * على نصب (قاعدة) تمثل العبادة القديم لآرتميس الإفيسية وذلك سنة 1965 م ⁴.

وقد أسس معبد آرتميس في إفسوس على الطراز الأيوني، وهو بناء ضخم إذ يُعد من عجائب الدنيا السبع ⁵، يشير العلماء أن هذا المعبد قد خضع للتأثيرات الآسيوية في بنائه وذلك من خلال العناصر الغربية فيه، منها الزخارف النباتية والزهرية التي ارتبطت بمؤلهة آرتميس الإفيسية وتتفق مع طبيعتها كحامية للحياة النباتية وكربة للخصوبة، كما تظهر هذه العناصر واضحة في تماثيل عبادتها التي تشير إلي الخصائص المتميزة التي تخص آرتميس الإفيسية ⁶.

^{*} تُعد كالليستو من الحوريات الأركاديات المقرّبات من آرتميس، وقد كانت من رفيقاتها الصائدات اللواتي أقسمن على العذرية، وقد اشتهرت بقصتها مع زيوس، الذي أغواها أو خدعها، وفي بعض الروايات اتخذ هيئة آرتميس نفسها فحملت منه وأنجبت أركاس Arcas، وعندما كُشف أمرها، عوقبت بتحويلها إلى دبة، وقد نُسب هذا التحول في المصادر القديمة إلى آرتميس أو هيرا أو حتى زيوس بحسب اختلاف الروايات، وهو ما يرمز إلى فقدانها حالتها البشرية وانفصالها عن جماعة الحوريات العذراوات. وفي نهاية المطاف، وضعها زيوس في السماء على هيئة كوكبة (الدب الأكبر)، بينما ارتبط ابنها بها في (الدب الأصغر)، في دلالة رمزية على استمرار رابطة الأمومة حتى بعد التحول. للمزيد انظر: Apollodorus, Library, III.8.1–2; III.9.1.

¹ شعراوي، عبد المعطي 2005: ص 407، 408؛ Roller, Lynn E.1999: In Search of God the Mother, University of California Press, p. 168; Farnell, Lewis Richard. 1896: p. 446.

² Artemidorus, Oneirocritica, IV.4.

³ Farnell, Lewis Richard. 1896: p. 482,485.

^{*} أنطون بامر Anton Bammer هو أحد علماء الآثار وهو من ضمن فريق التنقيب لكشف مدينة إفسوس القديمة سنة 1965 م، للمزيد انظر: Bammer, Anton, 1990: Das Heiligtum der Artemis von Ephesos, Mainz, p.19.

⁴ Bammer, Anton, 1990: p.19; Lexicon Iconographicum Mythologiae Classicae, (LIMC) 1984: Vol.II-1. Zürich & Munich: Artemis Verlag, p. 755.

⁵ David George Hogarth 1908: Excavations at Ephesus: the archaic Artemisia, Printed, and by Trustees British Museum, Longmans & Co, London, p. 1.; Bammer, Anton, 1990: p.5, 10,13,14.

⁶ Robertson, D. S.,1943: A Handbook of Greek & Roman Architecture, 2nd ed. Cambridge, Cambridge University Press, 90.



وجدت المؤله آرتميس شعبية كبيرة خاصة في آسيا الصغرى، وانتشرت عبادتها في جميع أرجاء العالم القديم من بينها ليبيا¹، الأمر الذي جعلها تندمج مع العديد من المعبودات المحلية في مدن كثيرة، وقد أدى هذا الاندماج إلى ظهورها بأشكال مختلفة، فقد ظهرت في مدينة إفسوس في شكل مختلف عن عبادتها في الأماكن الأخرى، إذ اندمجت مع المؤله الأناضولية الأم العظمى (كيبيلي Cybele)²، سيدة الوحوش؛ وذلك لخضوع عبادتها لمؤثرات آسيوية، فكلتا المعبودتين إفسيا وكيبيلي تمثلان الخصوبة³.

طقوس عبادتها:

تشكل طقوس العبادة التي أقيمت للمؤله "آرتميس الإفيسية" في معبدها الشهير بمدينة إفسوس نموذجاً فريداً للتنظيم الديني والاجتماعي في العالم القديم، فقد استند الهيكل الكهنوتي لهذا المعلم العظيم إلى نظام صارم ومتراتب، يصدره الكاهن الأكبر المعروف باسم "ميجابيكسوس" (Megabyxos)⁴، وإلى جانبه طبقة "الاسينيس" (Essenes)؛ وهم فئة من الكهنة الذين فرض عليهم الانقطاع عن العلاقات الخاصة والالتزام بنمط حياة تعبدية محدد، ولم يقتصر دورهم على الجوانب الروحية فحسب، بل امتد ليشمل إدارة "بنك المعبد"، مما يعكس الدور الاقتصادي المحوري الذي لعبه المعبد كمركز مالي آمن في المنطقة، كما تضمن الهيكل الإداري درجات كهنوتية أدنى، مثل "الكروبايتس" و"كرزوفوراي"، الذين أشرفوا على تفاصيل الخدمة اليومية والشعائر الدقيقة⁵. وفي مفارقة لافتة، توجب على الكاهنات اللواتي كرسن حياتهن لخدمة المؤله الأنثى أن يكنّ عذراوات تماماً وممنوعات من إقامة أي علاقات خاصة⁶، وهو ما يخلق تضاداً رمزياً عميقاً مع طبيعة آرتميس الإفيسية بوصفها رمزاً للخصوبة والوفرة، هذا التجسيد للخصوبة ظهر بوضوح في

¹ Charles Picard. 1927: Éphèse et Claros, L'Artémis d'Éphèse recherches sur les sanctuaires et les cultes de l'Ionie du Nord, Journal des Savants Année1. pp. 14-22.

² Farnell, Lewis Richard. 1896: pp. 474, 482, 643.

³ حجاج، مني 2009: أساطير الإغريق - إبداع وابتداع، الرواد للكمبيوتر والتوزيع، الاسكندرية، ص 190-192.

⁴ Robert Parker, 2011: On Greek Religion, Cornell University Press, pp.27,226.

⁵ Guy MacLean Rogers, 1991: The Sacred Identity of Ephesos, Routledge, pp.85-90.

⁶ Robert Parker, 2011: p.27.

تمثالها الشهير بـ "آرتميسيون، حيث صُورت بصدر ممتلئ بالنهود العديدة كدلالة على العطاء والإنتاجية، ولإرضاء هذه القوة العظيمة، كانت القرابين تُقدم في المعبد بسخاء، وشملت في المقام الأول الماعز والضأن والبقر والخنازير، وغيرها من الحيوانات التي تعكس طبيعة المجتمع الزراعي والرعوي المحيط بها¹، ولم تكن وظيفة آرتميس محصورة في النطاق الديني الضيق، بل امتدت لتصبح "حامية المدينة" والدرع الواقي لها ضد الأخطار الخارجية؛ إذ تشير الأدلة التاريخية، والرسومات التي زينت حوائط المدينة²، إلى دورها المحوري في حماية إفسوس أثناء حصار "كرويسوس"³، وتتجلى هذه الوظيفة السياسية والعسكرية في تماثيلها التي يعلو رأسها "تاج الحصن"، وهو الرمز الذي يكرسها كحارسة للأسوار وحصون المدينة⁴.

أما على مستوى القاعدة الشعبية، فقد كان المعبد يمثل ملاذاً روحياً للمتعبدين البسطاء الذين ملأوا زواياه بقلوب مفعمة بالإيمان؛ فكانت "المؤلهة الأم العظيمة" في نظرهم هي القادرة على شفاء الأسقام، وتلبية الرغبات المستعصية، ومعاينة الخصوم، ومباركة المحاصيل لتنمو وتزدهر. ومن أجل نيل هذا الرضا الإلهي، بادر المتعبدون بإنفاق أموالهم بسخاء لتقديم النذور والهدايا، مما جعل المعبد ليس مجرد دار للعبادة، بل كياناً حيوياً يدمج بين حاجات الروح، وحماية الدولة، واقتصاد المجتمع في إطار طقسي مهيب⁵.

الشكل العام لتماثيل آرتميس الإفيسية:

إن التماثيل التي تمثل المؤلهة آرتميس الإفيسية تصورها بأنها امرأة واقفة ترتدي حول عنقها عقداً غريب الشكل، فأحياناً يظهر على شكل مجموعة من الفواكه، وأحياناً إكليل من الزهور، أو خصية الثور؛ التي كانت تقدم كقربان لها⁶، ولكن أبرز ما يلفت الانتباه في تماثيلها هو تلك

¹ Wood, John Turtle 1877: p. x.

² Lexicon iconographicum mythologiae classicae, pp. 755-757.

³ Herodotus, I. 26-27.

⁴ Lexicon iconographicum mythologiae classicae, pp.756, 757.

⁵ Ancient Meanings, 1996, Modern Feedings, Understanding Creek Sculpture, Thames and Hudson, London, p.79.

⁶ Robert Fleischer, 1973: Artemis von Ephesos und verwandte Kultstatuen aus Anatolien und Syrien, Leiden, E. J. Brill Archive, pp. 45-47.



الصفوف من النهود وهي كناية عن الوفرة والخصوبة¹، التي تتراوح ما بين ثلاثة وأربعة صفوف²، والواقع أن تصوير المعبودات متعددة النهود له جذور قديمة تعود للحضارة المينوية، حيث عثر على تمثال من التيراكوتا المعبودة مينوية مصورة (بنهود عديدة)، كما أن ظهور الثدي لم يقتصر على آرتميس الإفيسية فقط وإنما ظهر في طرز أخرى ارتبطت فيها آرتميس بالآلهة محلية أخرى من آسيا الصغرى. مثل آرتميس إليوثيرا، آرتميس برجايا³.

ومن طرز تصوير آرتميس الإفيسية أيضاً هي أنها ترتدي رداء يغطي كامل الجسم بحيث يأخذ شكلاً شبه مستطيل، ويظهر فقط الجزء الأمامي من القدم الذي يوضح الأصابع هذا الطراز في تصوير المؤلهة يرجعها بعضهم إلى أن جميع تماثيل آرتميس الإفيسية قد نفذت على الطراز الآرخي لنحت الشابات Korai والمعروفة بالرداء الضيق المستطيل⁴.

نجد أيضاً أن تماثيل آرتميس قد قسم الجزء الأسفل من الرداء فيها إلى مربعات أو مستطيلات يزخرف كل منها بأشكال حيوانية مختلفة أو بزخارف، فطريقة تقسيم الزخارف المنحوتة على الرداء في تماثيل آرتميس الإفيسية نجد مثيلاتها في تصوير جوبيتر الهليوبوليتاني*، الملامح الشرقية الذي عبد في مدينة بعلبك، ربما أن المؤلهة آرتميس قد أخذت هذا العنصر الشرقي منه، وهذا أمر غير مستغرب.

¹ Robert Parker, 2011: p.193.

* يعود تفسير هذه الهياكل المتدلية الشبيهة بأثداء إلى زمن المسيحية المبكرة: ومن أقدم الروايات في هذا الشأن ما كتبه جيروم، أحد آباء الكنيسة، في أواخر القرن الرابع. في مقدمة تعليقه على رسالة بولس إلى أهل أفسس، كتب بولس: "كان أهل أفسس يعبدون ديانا ذات الأثداء الكثيرة (multimammia)، لا الصيادة التي تحمل القوس وترتدي الحزام، بل ذات الأثداء الكثيرة التي يسميها اليونانيون polymastos (أي متعددة الأثداء)، والتي يزعمون، استناداً إلى صورتها المقدسة، أنها تُغذي جميع الحيوانات والكائنات الحية". للمزيد انظر: Bammer, Anton 1996: Das Artemision von Ephesos : das Weltwunder Ioniens in archaischer und klassischer Zeit, Philipp von Zabern, Mainz am Rhein, Germany, p. 73.

² Brunilde S. Ridgway, 1990: Hellenistic Sculpture I: The Styles of ca. 331–200 B.C., University of Wisconsin Press, p. 64.

³ حجاج، منى 2009: ص 194.

⁴ John Boardman, 1978: Greek Sculpture: The Archaic Period, Thames & Hudson, London, p. 70.

* الآلهة الهيبولتانية، تتكون من ثلاث يجمع بين جوبيتر وفينوس وميركورس، وهي آلهة مدينة هليوبوليس وهي بعلبك في لبنان أثناء حكم الرومان.



وتشترك معظم تماثيل المؤلّهة في الوقفة المستقيمة، والوجه المثالي، والابتسامة الآرخية وفي الذراع المثنية للأمام، كما زخرفت الأردية بالزهيرات وظهور الحيوانات، كذلك ظهور العديد من النهود والملاح العامة للوجه، غير أنه من المتفق عليه أنه لا توجد نسختان متطابقتان لها¹.

نماذج من تماثيل آرتيميس الإفيسية:

1- تمثال المؤلّهة آرتيميس كُشف عنه في لبدة الكبرى بليبيا Leptis Magna وهو من الرخام ومحفوظ حالياً بالمتحف البريطاني² (الصورة رقم 1)، المؤلّهة تظهر واقفة مرتدية رداءً ضيقاً يغطي كامل الجسم حتى القدمين مظهرًا الأصابع، وجزءاً من الحذاء، الجزء

السفلي من الرداء ابتداءً من الخصر قد قسم إلى مستطيلات أو مربعات نحتت بداخل كل منها مجموعة من الحيوانات تتمثل في الأسود يليها ثلاثة نمور، ثم ثلاثة ثيران، ثم ثلاثة خراف، يليها غزلان، ثم ثوران، وأخيراً زهرتان، ترتدي المؤلّهة ثلاث عصائب على رأسها، تزين هذه العصائب خطوط منحنية تتوازي في العصابتين العليا والسفلى، وينعكس اتجاه هذه الخطوط في العصابة الوسطى، أسفل العصائب نجد صفين من الأزهار.

ومن خلف رأس المؤلّهة آرتيميس تنسدل ضفيريّتان للأمام من على كل جانب، بينما على جانبي رأسها مثلث مجموعة من الحيوانات تعلو بعضها بعضاً، وهذه الحيوانات تتمثل في الأسد من أعلى، يليه الخروف، يليه حيوان الثور، منطقتا البطن وأسفل الصدر تغطيهما ثلاث صفوف من النهود بينما منطقة الصدر أسفل الرقبة صورت مجموعة من آلهات النصر، يليها عقد من ثمار البلوط، ثم بعض علامات الأبراج الفلكية³.

2- تمثال للمؤلّهة آرتيميس كُشف في قوريني بليبيا Cyrene، وقد عثر عليه في معبد المؤلّهة أفروديت، محفوظاً حالياً بالمتحف البريطاني وقد نحت من الرخام، وهو في حالة سيئة ومتآكلة نتيجة عوامل التعرية، ومن الصعب دراسة زخرفة (الصورة رقم 2) الجزء الأسفل من الساقين

¹ حجاج، منى 2002: تماثيل آرتيميس الإفيسية من ليبيا، دراسات أثرية وتاريخية، مطبوعات جمعية الآثار بالإسكندرية، ص 244-247.

² Lexicon iconographicum mythologiae classicae, p.760.

³ حجاج، منى 2002: ص 239.



مفقود، والرأس والجزء الأمامي من الذراعين أيضاً، ارتفاع هذا التمثال حوالي 15.24 سم، وعرضه 8.89 سم، على الرغم من حالة التمثال السيئة إلا أن شكله العام يدل على أنه لأرتيميس الإفيسية، ويبدو أن يديها ممتدتان إلي الأمام، كما يظن أو يعتقد أنها كانت توجد هالات خلف رأسها، وهذا ما يفسره الانخفاض في مؤخرة عنقها¹.

ترتدي المؤلثة عقدين حول عنقها، يتدلى العقد العلوي منهما خرز غير واضح الشكل، وأسفل العقدين أربعة أو خمسة صفوف غير منتظمة لنهود أو بيض، والجزء الأسفل من صفوف النهود والمتبقي نجد ثلاثة صفوف من مربعات مستطيلة عليها أشكال منحوتة بشكل بارز. يبدو أن التمثال نسخة متأخرة، حيث إن العديد من صفاته وزخارفه نجدها مبسطة وليست متقنة النحت، فالعقد المركب من عقدين مع حلية متداوية أبسط بكثير، كما أن مواضيع الزخرفة على المربعات أسفل الرداء تبدو بسيطة، مقارنة بالزخارف التي تزين تماثيل أخرى للمؤلثة. إن تمثال قورينا هذا (أيّاً كانت حالة حفظه السيئة) لا يحمل صفات تمثال لبدة، ولكن هذا لا يستثني احتمالية كونه قطعة عمل محلية².

3- تاج المؤلثة آرتيميس، منحوت من الرخام، عثر عليه بمدينة قوريني وهو محفوظ بمتحف قوريني³، (الصورة رقم 3) التاج مقسم إلي ثلاثة أجزاء، القسم العلوي يتخذ شكل المعبد الدوري ذي الستة أعمدة في الواجهة، وتحمل الأعمدة فوقها الواجهة المتمثلة وهي خالية من الزخارف، القسم الأوسط من التاج يشغله من جوانبه الأربعة ناووس مجوف يقف فيه أبو الهول Sphinx اليوناني فارداً جناحيه، أما القسم السفلي تشغله حيوانات ذات نهود واضحة.

التاج نسب لأرتيميس الإفيسية لأنه يشبه تيجان آرتيميس، غير أن هذا النوع من التيجان ينذر العثر عليها لسهولة انكسارها.

¹ Huskinson, Janet 1975: Roman sculpture from Cyrenaica Imperii Romani, Vol. II, fascicule I). London: British Museum Publications Limited, p. 12;
https://www.britishmuseum.org/collection/object/G_1861-1127_20?selectedImageId=1613332900

² Huskinson, Janet 1975:, pp. 12.13.

³ Lexicon iconographicum mythologiae classicae, p.759.



التاج عادة يرمز للمؤله بأنها حامية المدينة، كما أن تصوير أبي الهول والمعبد في التاج يشير لهذه الوظيفة¹.

4- تمثال المؤله آرتميس، محفوظ بمتحف الفاتيكان بروما (الصورة رقم 4) تظهر فيه المؤله واقفة ممتدة بيدها إلى الأمام كما في تماثيل آرتميس الإفيسية، يحيط برأس المؤله قرص مثل عليه حيوانات ذات نُهود، كما أن هذه الحيوانات صورت مجنحة، وفي هذا صفة اتخذها آرتميس كحامية للحيوانات في اندماجها مع آرتميس Potnia Theron حيث كانت تصور مجنحة. ترتدي الآلهة تاج يتخذ شكل الحصن الدائري الذي يعبر عن حمايتها للمدن وحصونها².

5- تمثال للمؤله آرتميس نسخة رومانية من الرخام والمعروف باسم "آرتميس الجميلة"³ عثر عليه في بريتانايون Prytaneion إفسوس، التمثال محفوظ حالياً بمتحف سلجوق Selcuk بتركيا، (الصورة رقم 5) ويبلغ ارتفاع التمثال 1.74 متر، الشكل العام للتمثال كباقي تماثيل آرتميس إفسيا، حيث يغطي الجزء السفلي من جسدها وساقها رداء (يُعرف باسم إبنديتس Ependytes)⁴، ومن أقرب الأعمال شبيهاً لتمثال لبدة الكبرى السالف ذكره، والشبه بينهما نجده في الملامح، وفي شكل الرأس، وتصوير مؤله النصر على الصدر، ثم صفوف النهود التي تليها أقسام الرداء تحوي على الحيوانات. الاختلافات بين هذا التمثال وتمثال لبدة هي اختلافات بسيطة تتمثل في ابتسامة الوجه، وزخرفة عقد البلوط، وكذلك الحيوانات التي على جانبي الرأس، مع صف حيوانات زائد

¹ حجاج، منى 2002: ص ص 249، 250.

² Lexicon iconographicum mythologiae classicae, p.760; Monbrun, Ph. 1989: Artémis et le palmier dattier, Fait partie d'un numéro thématique : Les religions antiques. Un inédit d'archéologie régionale. La seconde mort des Gracques, Pallas. Revue d'études antiques, Persée, fig. 2. p. 69-93.

³ Strasser, Jean-Yves 2019: Les fleurs d'or du Tmolos, Revue des Études Grecques, Persée, pp. 367-409, fig. 4. pp. 375, 376; Ertürk, N. & Karakul, Ö. 2016: p. 440; Juliette de La Genière 2010: Sanctuaires grecs dans un environnement non grec : les exemples d'Éphèse et de Sélinonte, Actes du 20ème colloque de la Villa Kérylos à Beaulieu-sur-Mer, Publications de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Persée, pp. 23-38, fig. 8, pp. 28, 29.

⁴ Bammer, Anton 1996: p.72; Lynn R. LiDonnici 1992: The Images of Artemis Ephesia and Greco Roman Worship, Harvard Theological Review, Volume 85, Issue 04, Scholars Press, Atlanta, fig.6, pp. 389-411.



أسفل الثدي في هذا التمثال (تمثال سلجوق)، التمثال مؤرخ بعصر هادريان، وهو عصر عودة الاتجاهات الهيلينية في الفن الإمبراطوري الروماني¹.

6- يُعدّ تمثال المؤلّهة آرتميس الإفيسية من التماثيل الضخمة للآلهة²، وقد عُثر عليه في بريتيانيون إفسوس، وهو محفوظ حالياً بمتحف سلجوق Selcuk الأثري بإفسوس في تركيا (الصورة رقم 6)، ويؤرخ هذا التمثال إلى القرن الأول الميلادي³، ويبلغ ارتفاعه 2.92 مترًا، حيث تظهر المؤلّهة فيه وهي ترتدي تاجاً مشابهاً للتاج الذي عُثر عليه في قوريني والمذكور سابقاً.

حيث أن القسم العلوي من التاج يشغله معبد دوري، يُرجّح أنه روماني، نظراً لاتخاذه شكلاً دائرياً تعلوه قبة مخروطية الشكل، بينما يحتوي القسم الأوسط على ناووس يقف بداخله أبو الهول فارداً جناحيه، في حين يُزخرف القسم السفلي بأشكال حيوانات، ويأتي الشكل العام للتماثيل مشابهاً لبقية تماثيل الآلهة، مع بعض الاختلافات، إذ لا توجد نسختان متطابقتان منه.

التمثال مفقود اليدين وربما يعود ذلك إلى طريقة صناعته؛ حيث صُنعت اليدين بشكل منفصل من العاج أو الذهب، ثم تُثبتتا بجسم من الرخام. وتُعدّ تماثيل الأسود على كتفي المؤلّهة دليلاً على صلتها بالمؤلّهة الأناضولية كيبيلي، التي كانت تُصاحبها هذه الحيوانات عادةً، كما تظهر زخارف على هيئة صفوف من الحيوانات الحقيقية والأسطورية أسفل الحزام الكثيف الزخرفة على وركي المؤلّهة⁴.

7- تمثال للمؤلّهة آرتميس، محفوظ بمتحف الكابيتولين بإيطاليا، (الصورة رقم 7)، على رأس التمثال نجد تاج (شبيه) بتاج قوريني، وتاج تمثال برتيانيون إفسوس السابق ذكرهما، الشكل العام للتماثيل مثل بقية تماثيل المؤلّهة، مع الاختلافات في بعض الزخارف والملاح.

¹ حجاج، مني 2002: ص ص 248-243؛ Peter W. Parsons 1989: Reflections Upon the Great Theatre At Ephesus, Metu Jfa, pp. 109-116., p. 113; Gérard Siebert 2012: Περὶ τῆς μικρολογίας. Du détail dans la sculpture grecque, Persée, pp. 217-226. fig. 5, p. 225.

² Guy MacLean Rogers, 2012: The Mysteries of Artemis of Ephesus Cult Polis, and Change in the Graeco-Roman World, Yale University press and L. L. Welborn Fordham University, United States, p. PS1. fig. 1; Strasser, Jean-Yves 2019: fig. 3. pp. 375, 376.

³ River, Charles 2017: Apollo and Artemis: The Origins and History of the Twin Deities in Ancient Greek Mythology, CreateSpace Publishing, p. 87.

⁴ Bammer, Anton 1996: p. 71, 72; Lynn R. LiDonnici 1992: fig. 5. pp. 396.



8- تمثال للمؤلهة آرتيميس، وهو روماني نسخة من الأصل الهلينيستي، يرجع للقرن الثاني ق.م، محفوظ بمتحف الكابيتولين روما بإيطاليا، ارتفاع التمثال يبلغ حوالي 1.15م، وهو مصنوع من الرخام، غير أن الرأس واليدين والقدمين من مادة الرونز (الصورة رقم 8)¹.

9- تمثال للمؤلهة آرتيميس، موجود حالياً في فيلا الألبانيا في روما، وهو من مادتي الرخام والبرونز، إذ أن الوجه واليدين قد صنعت من البرونز، يعلو رأس الآلهة تاج الحصن المكون من طابقين وخلف الرأس قرص مزخرف بأشكال حيوانية مجنحة، أما الشكل العام للتمثال كباقي تماثيل المؤلهة الأخرى مع بعض الاختلافات في الزخارف وملامح التمثال (الصورة رقم 9) *.

10- تمثال للمؤلهة آرتيميس، مصنوع من المرمر والبرونز، وهو محفوظ بمتحف نبولي بإيطاليا، أعلى رأس الربة نجد التاج وهو على شكل الحصن المكون من طابق واحد، يتوسط الحصن بوابة، خلف رأس التمثال يوجد القرص المزين بأشكال حيوانية، وجه ويد وقدم التمثال صنعت من البرونز (الصورة رقم 10)².

11- تمثال للمؤلهة آرتيميس، وهو من الرخام، موجود حالياً بمتحف ترولونيا بروما، (الصورة رقم 11)، يعلو رأس المؤلهة تاج الحصن الدائري المكون من طابق واحد، وخلف رأسها القرص المزين بأشكال حيوانية.

12- تمثال للمؤلهة آرتيميس محفوظ بمتحف ترولونيا روما (الصورة رقم 12) صنعت يدا وقدمها ووجه التمثال من البرونز، ويبدو أن رأسها كان يعلوه تاج إلا أنه غير موجود، خلف رأس التمثال نجد القرص المعتاد في الأمثلة السابقة.

¹ Lexicon iconographicum mythologiae classicae, p.760; Ifigéniea Θωμού, 2023: Τα έντομα στον αρχαίο ελληνικό πολιτισμό: Λατρείες, μύθοι, συμβολισμοί, Διπλωματική Εργασία, Πανεπιστήμιο Ιωαννίνων, Εικόνα 2.30.

* تم وصف التمثال من قبل البُحاث.

² Frank, Bernard 1995: Une iconographie japonaise conçue dans l'Europe du XVIe siècle à partir d'une faute de traduction, et sa réalisation ludique sous forme sculptée à notre époque, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et, N. 3, pp.783-797. fig. 13, p. 794; Lynn R. LiDonnici 1992: fig. 1. pp. 391,405,406.



13- تمثال من الرخام للمؤلهة آرتيميس غير كامل، حيث أن الرأس واليدين مفقودة، وهو محفوظ بمتحف توسكانا بإيطاليا، (الصورة رقم 13).

14- تمثال للمؤلهة آرتيميس، فاقد الرأس والذراعين، وهو محفوظ في فلسطين المحتلة الشكل العام للتمثال كباقي تماثيل المؤلهة مع بعض الاختلافات التي نجدها من تمثال لآخر، حيث تختلف تماثيل هذه المؤلهة من تمثال لآخر (الصورة رقم 14)¹.

15- تمثال للمؤلهة آرتيميس، محفوظ بمتحف أثينا، وهو فاقد اليدين والرأس (الصورة رقم 15).

16- تمثال صغير الحجم للمؤلهة آرتيميس، يبلغ ارتفاعه 31 سم، فاقد الذراعين والرأس، وهو محفوظ بمتحف مرسيليا بفرنسا، (الصورة رقم 16)، يظهر هذا التمثال طيات رداء للمؤلهة من الخلف كما هو مبين في الصورة². حيث يعود تاريخ اقتناء هذا التمثال من قرطاج إلى القرن التاسع عشر، وقد استقر في مدينة مرسيليا منذ بيعه لها عام 1862م وأصبح يشكل جزءاً من مجموعة متحف تاريخ مرسيليا³.

17- تمثال آخر للمؤلهة آرتيميس وهو أيضاً فاقد الذراعين والرأس، وهو محفوظ بمتحف اللوفر بباريس، (الصورة رقم 17).

18- تمثال فاقد الرأس والذراعين للمؤلهة آرتيميس، وهو محفوظ بمتحف كوبنهاجن بالدنمارك، (الصورة رقم 18).

تشارك التماثيل من 13 إلى 18 في أنها فاقدة الرأس والذراعين، وأنها تتخذ أنماطاً وأشكالاً مختلفة، كما أنها من أماكن مختلفة، ولكن جميعها تمثل المؤلهة آرتيميس الإيفيسية من خلال الشكل العام للمؤلهة.

19- تمثال للمؤلهة آرتيميس فاقد الذراعين والرجلين، وهو موجود حالياً في كريت (الصورة رقم 19)⁴.

¹ Ιφιγένεια Θωμού, 2023: Εικόνα 2.33.

² Lexicon iconographicum mythologiae classicae, pp. 759,760.

³ Ville de Marseille, La polychromie dans la statuaire : un voyage à l'intérieur de notre proper perception, (Marseille: Musée d'Histoire de Marseille), p. 2., Marseille-musee-histoire@marseille.fr

⁴ Lynn R. LiDonnici 1992:fig. 4. pp. 396.



- 20- تمثال للمؤلهة آرتميس، موجود حالياً بالولايات المتحدة الأمريكية، في متحف بوسطن، (الصورة رقم 20) يعلو رأس المؤلهة تاج غير واضح المعالم يرتكز علي ثلاث عصائب، خلف رأسها القرص المزخرف، يدها اليمنى على كتفها الأيمن، بينما تمد يدها اليسرى للأمام.
- 21- تمثال للمؤلهة آرتميس، موجود في أورلا بالقرب من أزمير بتركيا، (الصورة رقم 21) يقف التمثال على قاعدة دائرية يعلوه تاج ذو شكل مخروط مزخرف، خلف رأس التمثال يوجد القرص، ترتدي الآلهة رداءً طويلاً يصل حتى القدمين مظهرًا الأصابع.
- 22- مجموعة من التماثيل البرونزية التي تمثل المؤلهة آرتميس بأشكال وأنماط مختلفة ومنها:
- أ- تمثال صغير برونزي للمؤلهة آرتميس الإفيسية يرجع للقرنين الأول والثاني الميلاديين يعلو رأسها تاج طويل مزخرف ومقسم لأربعة أو خمسة أجزاء، يرتكز التاج على عصابتين تعلو رأس المؤلهة مباشرة خلف رأسها القرص المزخرف، وتمتد المؤلهة بيدها إلي الأمام محفوظ في المتحف البريطاني يبلغ ارتفاع التمثال الارتفاع: 8.89 سم، (الصورة رقم 22)¹.
- ب- تمثال برونزي للمؤلهة آرتميس، محفوظ بمتحف بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية، (الصورة رقم 23)، تظهر المؤلهة في هذا التمثال ممسكة بعصابتين مزخرفتين بشكل حلزوني، يعلو رأسها تاج يأخذ الشكل الحلزوني أيضاً، وخلف رأسها ابتداءً من أعلى الرأس ترتدي المؤلهة شملة تصل حتى أسفل الكتفين أو ربما شكل قرص غير متقف الصنع².
- ج - تمثال من البرونز للمؤلهة آرتميس، محفوظ بمتحف رومانيا (الصورة رقم 24)، تظهر فيه الآلهة واقفة، وتمسك بعصا بيدها اليسرى، ويبدو أنها كانت ممسكة بأخرى بيدها اليمنى غير أنها غير موجودة، وخلف رأسها الشملة أو القرص.

¹ https://www.britishmuseum.org/collection/object/G_1909-0620-2

² Frank, Bernard 1995: fig. 14, p. 794.



23- مجموعة تماثيل صغيرة من التيراكوتا تصور المؤلهة آرتميس،¹ وهي على النحو الآتي:

أ- تمثال صغير من التيراكوتا للمؤلهة آرتميس، يبلغ ارتفاع التمثال 25 سنتيمتراً محفوظ بالمتحف البريطاني وهو من افسوس تركيا (الصورة رقم 25) ساعداها (مفقودان) ممدودان، شعرها مفروق من المنتصف، ينسدل في خصلات طويلة على كتفيها، وعلى رأسها رداء يشبه مذبجاً صغيراً، وحجاب صغير يتدلى من أسفل الرداء ليحيط برأسها وجسدها وساقها، الجزء العلوي من الرداء الطويل مزين بأربعة صفوف من الصدور، الذراعان مفقودتان من المرفق.²

ب- تمثال صغير من التيراكوتا للمؤلهة آرتميس، يبلغ ارتفاع التمثال 16.5 سنتيمتراً محفوظ بالمتحف البريطاني وقد ذكر توقيع أو اسم الطانع ماكسيموس Maximos على ظهر التمثال من الأسفل (الصورة رقم 26) آرتميس تقف على منصة عالية على شكل دعامتين مستطيلتين أو نهايتي جدار، تحيطان بدرج مائل للداخل، ذراعاها ممدودتان، تتدلى من يديها خصلات سمكة من الصوف، وعلى رأسها أغطية رأس عالية، وحجاب يحيط بوجهها يحمل بروزات خفيفة، وقلادتان تشبهان الحبال تتدليان حول صدرها العلوي، وأسفل القلادتين ثلاثة صفوف من النهود، وبين الجزء السفلي من جسدها وخصلات الصوف على كل جانب غزال ذو قرون كثيفة متجهة للخارج.³

ج- تمثال صغير الحجم من التيراكوتا للمؤلهة آرتميس، محفوظ بمتحف اللوفر بباريس (الصورة رقم 27) ذراعا المؤلهة مفقودة، ويبدو أن رأسها كان يعلوه تاج لكنه غير موجود الآن، ويحيط برأسها من الخلف القرص المزخرف.

د- تمثال آخر من التيراكوتا صغير الحجم للمؤلهة آرتميس، وهو من ازميز بتركيا ومحفوظ بمتحف اللوفر (الصورة رقم 28)، يداها مفقودتان، ويعلو رأسها تاج طويل مزخرف*.

¹ Lexicon iconographicum mythologiae classicae, pp.760,761.

² https://www.britishmuseum.org/collection/object/G_1883-0724-1

³ https://www.britishmuseum.org/collection/object/G_1971-0924-1

* تم وصف التمثال من قبل الباحث.

المقارنات:

سبق وأن ذكرنا أنه من المتفق عليه عدم وجود تماثيل متطابقين للمؤلهة آرتميس الإفيسية، ولكن توجد لها تماثيل متشابهة إلى حد كبير، منها تمثالي لبدة الكبرى (الصورة رقم 1)، الذي يشبه تمثال بريتانيون إفسوس بسلجوق (الصورة رقم 5)، ويكمن الشبه بينهما في الملامح العامة للتماثيل وشكل الغطاء، والزخارف التي عليهما من آلهات النصر وحيوانات وصفوف النهود. (راجع النموذج رقم 5).

وإذا نظرنا إلى شكل التيجان التي تعلو رأس المؤلهة، التي اتخذت أشكالاً وأنماطاً مختلفة نجد أنها تتشابه في بعض التماثيل مثل التاج الذي عثر عليه بقوريني (الصورة رقم 3) يشبه تاج تمثال المؤلهة الذي عثر عليه في بريتانيون افسوس والمحفوف بمتحف افسوس بتركيا (الصورة رقم 6)، وأيضاً تاج المؤلهة الذي يعلو تماثلها في متحف الكيبتول بإيطاليا (الصورة رقم 7). راجع النموذجين رقم 3، 6.

أما فيما يخص تيجان المؤلهة التي تأخذ شكل الحصن الدائري (الصور رقم 4، 8، 9، 10، 11) فهي تأخذ أشكالاً مختلفة، فإما أن نجد التاج عبارة عن حصن من طابق واحد كما في (الصور رقم 4، 10، 11)، وإما أن نجده يتكون من طابقين كما في (الصور 8، 9). أما الطراز الآخر من التيجان فنجد على شكل ثلاث عصابات تعلو الواحدة الأخرى، ربما كان يرتكز فوقها بقية التاج، وهذا النوع نجده في تماثيل لبدة الكبرى، وبريتانيون إفسوس (الصورة رقم 1، 5)، ونجد هذه العصابات يعلوها التاج في تماثيل المؤلهة المحفوظ بمتحف بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية (الصورة رقم 20) وتمثال المؤلهة البرونزي (الصورة رقم 22)، وتمثال المؤلهة المصنوع من التيراكوتا والمحفوف بالمتحف البريطاني (الصورة رقم 26).



الخلاصة:

- ارتبطت المؤلّهة آرتميس بالسيطرة على الزراعة التي مارسها الإنسان القديم على نطاق واسع فأصبحت رمزاً للخصوبة الزراعية، كما أن وجود الحيوانات البرية يشير إلى طبيعتها كربة للحيوانات، وخصوصاً وجود الأسود يربط بينها وبين المؤلّهة الآسيوية كيبيلئ مؤلّهة الخصوبة وسيدة الوحوش، فأرتميس إذاً مؤلّهة الخصوبة المرتبطة بالبشر والحيوانات والنبات.
- إن الصفة الأساسية للمؤلّهة آرتميس هي الخصوبة والتي رُمز لها في تماثيلها بالعديد من الثدي تتراوح ما بين ثلاثة إلى سبعة صفوف، كما مثلت معظم الحيوانات التي صورت في تماثيل آرتميس كانت تصور بنهود بشكل تعمد الفنان توضيحها بصورة غير طبيعية .
- إن الملامح الأرخية هي السمة الغالبة على تصوير المؤلّهة آرتميس الإفيسية في معظم تماثيلها بغض النظر عن التاريخ الذي تعود إليه، واللامح الأرخية تتمثل في الوقفة الأمامية المستقيمة، ولامح الوجه المثالية، والابتسامة الأرخية، والخطوط الهندسية لعصابات الرأس وظهور الضفيرتين اللتين تنسدلان على جانبي الرقبة، وطريقة تصفيف الشعر، وهذا يؤكد التمسك الشديد بالاتجاهات الأرخية في معظم تماثيل المؤلّهة.
- إن تماثيل آرتميس الإفيسية والمحافظة حالياً بالمتاحف المختلفة في العالم وبخاصة في تركيا تعود في مجملها للقرن الثاني الميلادي، على الرغم من أنها نفذت في وقت متأخر إلا أنها أخذت نقلاً عن نماذج أرخية قديمة فُقدت، تمسك بها الفنان وقلدها لتصبح من خصائص المؤلّهة.
- اليتجان التي تعلو رأس المؤلّهة آرتميس الإفيسية ترمز إلى وظيفة المؤلّهة كحامية للمدينة ومقدساتها، وحصونها، وقد اتخذت التجان أشكالاً مختلفة من بينها التاج الذي به أبو الهول والمعبد، والتاج الذي يتخذ شكل الحصن الدائري¹.

¹ مني حجاج تماثيل آرتميس الإفيسية من ليبيا، ص ص 242 - 250 .



قائمة المراجع

أولاً: المصادر الأدبية:

- Apollodorus, *the Library*. 2 vols. Trans. James George Frazer 1921: Loeb Classical Library. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Artemidorus Daldianus, *Oneirocritica*. Trans. Johann Gottfried Reiff 1805: Lipsia: Crusius.
- Herodotus, *the Histories*. Vol. 1. Trans. A. D. Godley 1981: Loeb Classical Library. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Homer, *the Iliad*. Trans. Alexander Pope. Edited by Charles Elbert Rhodes 1915: New York: Macmillan.
- _____, *the Iliad*. Trans. Samuel Butler 1942: New York: Published for the Classics Club by W. J. Black.
- _____, *the Iliad*. Trans. A. T. Murray 1925: Loeb Classical Library. London: William Heinemann; New York: G. P. Putnam's Sons.

ثانياً: المراجع العربية:

- أحمد، عبد اللطيف، خفاجة، محمد صقر 1959: *أساطير اليونان*، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الدلال، سعد صالح، و علي، الشريف أُمراجع 2025: *إقليم أركاديا ودوره في تنظيمات وإصلاحات كيريناكي في العصر الإغريقي*، المؤتمر التاريخي الدولي الثاني، برقة وعالم البحر المتوسط عبر العصور التاريخية، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طبرق، ليبيا.
- الماجدي، خزعل، 2004: *المعتقدات الإغريقية*، دار الشرق للنشر والتوزيع - الأردن.
- شعراوي، عبد المعطى 2005: *أساطير إغريقية - الإلهة الكبرى*، الجزء الثالث، مكتبة الإنجلو المصرية.
- حجاج، منى 2002: *تماثيل آرتيميس الإفيسية من ليبيا، دراسات أثرية وتاريخية*، مطبوعات جمعية الآثار بالإسكندرية (9).
- _____، 2009: *أساطير الإغريق - إبداع وابتداع*، الرواد للكمبيوتر والتوزيع.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- Bammer, Anton 1990: *Das Heiligtum der Artemis von Ephesos*, Mainz am Rhein, Germany.
- _____ 1996: *Das Artemision von Ephesos: das Weltwunder Ioniens in archaischer und klassischer Zeit*, Philipp von Zabern, Mainz am Rhein, Germany.



- Bremmer, Jan N., 1994: *Greek Religion*, Oxford University Press.
- Ridgway, Brunilde S., 1990: *Hellenistic Sculpture I: The Styles of ca. 331–200 B.C.*, University of Wisconsin Press.
- Burkert, Walter 1985: *Greek Religion*, Harvard University Press.
- Chamoux, François (1953). *Cyrène sous la monarchie des Battiades*. Bibliothèque des Écoles françaises d'Athènes et de Rome, Fasc. 177. Paris: Éditions de Boccard.
- Picard, Charles 1927: *Éphèse et Claros, L'Artémis d'Éphèse recherches sur les sanctuaires et les cultes de l'Ionie du Nord*, Journal des Savants Année1, pp. 14-22.
- Robertson, D. S. 1943: *A Handbook of Greek & Roman Architecture*. 2nd ed. Cambridge: Cambridge University Press.
- Hogarth, David George 1908: *Excavations at Ephesus: the archaic Artemisia*, Printed, and by Trustees British Museum, Longmans & Co, London.
- Ertürk, N. & Karakul, Ö. 2016: *UNESCO World Heritage in Turkey*, Turkish National Commission for UNESCO, Ankara.
- Farnell, Lewis Richard 1896: *The Cults of the Greek States*, Oxford University Press, Vol. 2.
- Farnell, Lewis Richard 1896: *The Cults of the Greek States*. Oxford, Vol. 1.
- Frank, Bernard 1995: *Une iconographie japonaise conçue dans l'Europe du XVIe siècle à partir d'une faute de traduction, et sa réalisation ludique sous forme sculptée à notre époque*, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et, N. 3, Persée, pp. 783-797.
- Siebert, Gérard 2012: *Περὶ τῆς μικρολογίας. Du détail dans la sculpture grecque*, Persée, pp. 217-226.
- Graf, Fritz, 1993: *Greek Mythology: An Introduction*, Johns Hopkins University Press.
- Graves, Robert 1955: *The Greek Myths*. Penguin Books.
- Rogers, Guy MacLean 1991: *The Sacred Identity of Ephesos*, Routledge.
- _____ 2012: *The Mysteries of Artemis of Ephesos Cult Polis, and Change in the Graeco-Roman World*, Yale University press and L. L. Welborn Fordham University, United States.
- Huskinson, Janet 1975: *Roman sculpture from Cyrenaica Imperii Romani*, Vol. II, fascicule I). London: British Museum Publications Limited.
- Strasser, Jean-Yves 2019: *Les fleurs d'or du Tmolos*, Revue des Études Grecques, Persée, pp. 367-409.
- Boardman, John, 1978: *Greek Sculpture: The Archaic Period*, Thames & Hudson, London.
- La Genière, Juliette de 2010: *Sanctuaires grecs dans un environnement non grec: les exemples d'Éphèse et de Sélinonte*, Actes du 20ème colloque de la Villa Kérylos à Beaulieu-sur-Mer, Publications de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Persée, pp. 23-38.
- Larson, Jennifer, 2007: *Ancient Greek Cults: A Guide*, Routledge.



- *Lexicon Iconographicum Mythologiae Classicae*, LIMC 1984: Vol. II-1. Zürich & Munich: Artemis Verlag.
- *Lexicon Iconographicum Mythologiae Classicae*, LIMC 1984: Vol. II-2. Zürich & Munich: Artemis Verlag.
- LiDonnici, Lynn R. 1992: *The Images of Artemis Ephesia and GrecoRoman Worship*, Harvard Theological Review, Volume 85, Issue 04, Scholars Press, Atlanta, pp. 389-411.
- Marius, Mihai Ciută 2016: *Artemis Ephesia in Apulum Biography of a Roman Bronze Statuette*, Akadémiai Kiadó, Budapest, Hungariae, pp. 231-244.
- Monbrun, Ph. 1989: *Artémis et le palmier dattier*, Fait partie d'un numéro thématique: Les religions antiques. Un inédit d'archéologie régionale. La seconde mort des Gracques, Pallas. Revue d'études antiques, Persée, pp. 69-93.
- Parsons, Peter W. 1989: *Reflections Upon the Great Theatre At Ephesus*, Metu Jfa, pp. 109-116.
- River, Charles 2017: *Apollo and Artemis: The Origins and History of the Twin Deities in Ancient Greek Mythology*, CreateSpace Publishing.
- Fleischer, Robert 1973: *Artemis von Ephesos und verwandte Kultstatuen aus Anatolien und Syrien*, Leiden, E. J. Brill Archive.
- Parker, Robert, 2011: *On Greek Religion*, Cornell University Press.
- Roller, Lynn E. 1999: *In Search of God the Mother*, University of California Press.
- Roman, Luke 2010: *Encyclopedia of Greek and Roman Mythology*, Title. III. Infobase Publishing, New York.
- Ville de Marseille, *La polychromie dans la statuaire: un voyage à l'intérieur de notre propre perception*, (Marseille: Musée d'Histoire de Marseille), Marseille-musee-histoire@marseille.fr
- West, M. L. 1997: *The East Face of Helicon: West Asiatic Elements in Greek Poetry and Myth*. Oxford.
- Wood, John Turtle 1877: *Discoveries at Ephesus, Including the Site and Remains of the Great Temple of Diana*, Longmans, Green, and Co., London.
- Θωμού, Ιφγένηα, 2023: *Τα έντομα στον αρχαίο ελληνικό πολιτισμό: Λατρείες, μύθοι, συμβολισμοί*, Διπλωματική Εργασία, Πανεπιστήμιο Ιωαννίνων.

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

- British Museum, "Collection Object G_1861-1127-20," accessed April 7, 2026, https://www.britishmuseum.org/collection/object/G_1861-1127-20.
- British Museum, "Collection Object G_1909-0620-2," accessed April 12, 2026, https://www.britishmuseum.org/collection/object/G_1909-0620-2.
- British Museum, "Collection Object G_1883-0724-1," accessed April 19, 2026, https://www.britishmuseum.org/collection/object/G_1883-0724-1.
- British Museum, "Collection Object G_1971-0924-1," accessed April 21, 2026, https://www.britishmuseum.org/collection/object/G_1971-0924-1.
- Actu Culture, "Enquête : l'Artémis oubliée de Milo," accessed April 28, 2026, <https://actu-culture.com/archeologie/enquete-lartemis-oubliee-de-milo>.



(الصورة رقم 2)

تمثال فقد لبعض الأجزاء من الرأس واليدين
والقدمين للمؤلمة أرتيميس من مدينة قوريني
محفوظ حالياً بالمتحف البريطاني. نقلاً عن:
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 44. p.759.
https://www.britishmuseum.org/collection/object/G_1861-1127-20



(الصورة رقم 1)

تمثال من الرخام للمؤلمة أرتيميس من مدينة
لبدة في ليبيا وهو حالياً محفوظ في المتحف
البريطاني. نقلاً عن:
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 88. p.760.



(الصورة رقم 4)

تمثال أرتيميس محفوظ في الفاتيكان
بروما. نقلاً عن:
Monbrun, Ph. 1989: fig. 2. p.92.



(الصورة رقم 3)

غطاء الرأس أو تاج يعلو الرأس لتمثال
أرتيميس محفوظ بمتحف قوريني. نقلاً عن:
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 43. p.759.



(الصورة رقم 6)

تمثال المؤلهة آرتميس محفوظ في المتحف
الآثري في أفسوس تركيا في البريتانيوم
نقلًا عن: Bammer, Anton 1996: fig. 83. P.71.



(الصورة رقم 5)

تمثال المؤلهة آرتميس
محفوظ في متحف سلجوق في تركيا
نقلًا عن: Bammer, Anton 1996: fig. 84, p.72.



(الصورة رقم 8)

تمثال آرتميس مصنوع من الرخام والبرونز،
محفوظ بمتحف الكابيتولين في إيطاليا. نقلًا عن:
Ιφιγένεια Θωμού, 2023: Εικόνα 2.30.



(الصورة رقم 7)

تمثال آرتميس محفوظ بمتحف
الكابيتولين في إيطاليا. نقلًا عن:
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 58. p.759.



(الصورة رقم 10)

تمثال من المرمر والبرونز للمؤلهة آرتميس
محفوظ بمتحف نبولي في إيطاليا. نقلاً عن:
Frank, Bernard 1995: fig. 13, p. 794.



(الصورة رقم 9)

تمثال المؤلهة آرتميس موجود في فيلا
الألبانيا في روما. نقلاً عن:
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 68. p.760.



(الصورة رقم 12)

تمثال المؤلهة آرتميس محفوظ
بمتحف ترولونيا روما. نقلاً عن:
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 60. p.759.



(الصورة رقم 11)

تمثال المؤلهة آرتميس
موجود في روما تورليون. نقلاً عن:
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 61. p.759.



(الصورة رقم 14)

تمثال آرتميس محفوظ في فلسطين
المحتلة نقلاً عن:

Ιφιγένεια Θωμού, 2023: Εικόνα 2.33.



(الصورة رقم 13)

الجزء العلوى من تمثال آرتميس فاقد الرأس واليدين
وهو محفوظ بمتحف توسكانا في إيطاليا. نقلاً عن:

LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 89. p.760.



(الصورة رقم 15)

تمثال للمؤلهة آرتميس
محفوظ في أثينا. نقلاً عن:

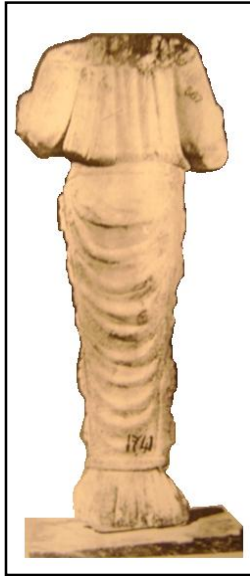
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 28. p.759.



(الصورة رقم 16 -ب-)



(الصورة رقم 16 -أ-)



(الصورة رقم 16 -ج-)

(الصورة رقم 16)

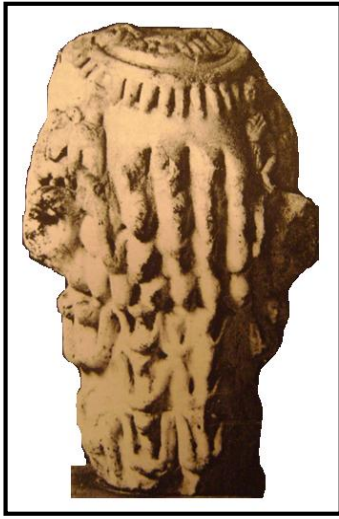
أ- ب - ج

تمثال آرتميس من زوايا مختلفة، محفوظ بمتحف
مرسيليا في فرنسا، نقلاً عن :

LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 47. p.759;

Ville de Marseille, (Marseille: Musée
d'Histoire de Marseille), p. 2.

[https://actu-culture.com/archeologie/enquete-
lartemis-oubliee-de-milo](https://actu-culture.com/archeologie/enquete-lartemis-oubliee-de-milo)



(الصورة رقم 18)
تمثال للمؤلهة آرتيميس محفوظ بمتحف
كوبنهاجن في الدنمارك. نقلاً عن:
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 40. p.759.



(الصورة رقم 17)
تمثال للمؤلهة آرتيميس محفوظ بمتحف اللوفر
باريس. نقلاً عن:
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 52. p.759.



(الصورة رقم 20)
تمثال المؤلهة آرتيميس محفوظ
بمتحف بوسطن. نقلاً عن:
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 99. p.761.



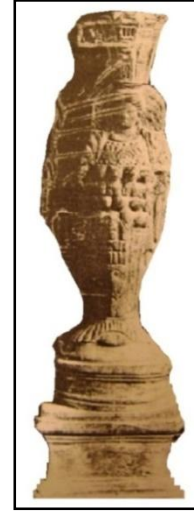
(الصورة رقم 19)
تمثال المؤلهة آرتيميس موجود
في كريت نقلاً عن:
Lynn R. LiDonnici 1992:fig. 4. pp.396.



(الصورة رقم 22)

تمثال المؤلهة آرتميس مصنوع من
البرونز. نقلاً عن:

Marius, Mihai Ciută 2016: fig. 9. 238.



(الصورة رقم 21)

تمثال المؤلهة آرتميس موجود في
اورلا قرب ازميز في تركيا. نقلاً عن:

LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 103. p.761.



(الصورة رقم 24)

تمثال من البرونز للمؤلهة آرتميس محفوظ
بمتحف رومانية نقلاً عن:

Marius, Mihai Ciută 2016: fig. 7. 237.



(الصورة رقم 23)

تمثال من البرونز للمؤلهة آرتميس محفوظ
بمتحف بوسطن. نقلاً عن :

Frank, Bernard 1995: fig. 14, p. 794;
Marius, Mihai Ciută 2016:fig. 6. 236.



(الصورة رقم 26)

تمثال صغير من التيراكوتا للمؤلهة آرتميس
محفوظ بمتحف البريطاني. نقلاً عن:
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 112. p.761.
https://www.britishmuseum.org/collection/object/G_1971-0924-1



(الصورة رقم 25)

تمثال صغير من التيراكوتا للآرتميس محفوظ
بمتحف البريطاني. نقلاً عن:
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 111. p.761.
https://www.britishmuseum.org/collection/object/G_1883-0724-1



(الصورة رقم 28)

تمثال صغير من التيراكوتا للآرتميس محفوظ
بمتحف اللوفر وهو من ازمير تركيا. نقلاً عن:
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 114. p.761.



(الصورة رقم 27)

تمثال صغير من التيراكوتا للمؤلهة آرتميس
محفوظ بمتحف اللوفر في باريس. نقلاً عن:
LIMC 1984: Vol. II-1.2. Fig. 113. p.761.

بحث بعنوان :

واقع مذكرة التفاهم لترسيم الحدود البحرية بين ليبيا وتركيا 2019م

دراسة تحليلية من منظور الجغرافيا السياسية

The reality of the 2019 Memorandum of Understanding on the demarcation of
maritime borders between Libya and Turkey

إعداد :

د.أبو عبدة عبدالقادر محمد حويل

Dr. Abu abidah Abdul Qadir Mohammed Haweel

أستاذ مشارك قسم الجغرافيا، كلية الآداب

جامعة عمر المختار

- Associate Professor Department of Geography Faculty of Arts

Omar Al-Mukhtar University

Abuobaida.haweel@omu.edu.ly

الملخص:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على مذكرة التفاهم لترسيم الحدود البحرية والمنطقة الاقتصادية الخالصة بين ليبيا وتركيا، ومعرفة الأسس الجغرافية والقانونية، كذلك معرفة مميزات المذكرة بالنسبة لليبيا، ومعرفة الإشكاليات التي تسببها مذكرة التفاهم لليبيا والدول البحرية المجاورة، كما اعتمدت الدراسة على عدة مناهج علمية منها المنهج القانوني والمنهج التحليلي، وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج منها أن ليبيا تحصل على مساحة بحرية تقدر بأكثر 13000 كم² ، إضافة إلى أن هناك تضارباً في المصالح بين أربع دول، ليبيا وتركيا من جانب، ومصر واليونان من جانب آخر، الأمر الذي قد يسبب أزمة سياسية بين هذه الدول، من هنا تظهر أهمية التفاوض بين الدول سائلة الذكر لترسيم الحدود البحرية فيما بينها.

الكلمات المفتاحية : الحدود البحرية - مذكرة التفاهم - المنطقة الاقتصادية الخالصة - اتفاقية قانون البحار .

Abstract:

This study aims to shed light on the Memorandum of Understanding (MoU) for the delimitation of maritime boundaries and the Exclusive Economic Zone (EEZ) between Libya and Turkey. It examines the geographical and legal foundations of the MoU, its advantages for Libya, and the challenges it presents for Libya and neighboring maritime states. The study employs several scientific methodologies, including legal and analytical approaches. Among its findings is that Libya gains a maritime area exceeding 13,000 km². Furthermore, the study reveals a conflict of interests among four countries: Libya and Turkey on one side, and Egypt and Greece on the other. This conflict could potentially lead to a political crisis among these nations. Therefore, negotiations among these countries to delimit their maritime boundaries are crucial.

Keywords: Maritime Boundaries / Memorandum of Understanding (MoU) / Exclusive (Economic Zone (EEZ) / United Nations Convention on the Law of the Sea (UNCLOS).

المقدمة:

تُعد البحار والمحيطات ذات أهمية كبيرة للدول الساحلية والدول الحبيسة أيضاً، ولا تكمن هذه الأهمية في كونها تشكل طرقاً بحرية ووسيلة اتصال، وتبادل تجاري والملاحة فقط، إنما للبحار والمحيطات أهمية اقتصادية، متمثلة في الموارد المتواجدة بها سوءً موارد حية أم غير حية، لذلك كان للجغرافية السياسية اهتمام بهذا الجانب.

يركز اهتمام الجغرافيا السياسية -بشكل عام - فيما يتعلق بمسائل الحدود البحرية على عنصرين أساسيين، يتمثلان في تعريف وتحديد الحدود البحرية من جانب، والقوانين التي تحكم وتنظم البحار كاستكشاف واستغلال الموارد الاقتصادية بصفة عامة، كذلك مرور النقل والتجارة البحرية، واتضح ذلك نهاية 1945م، عندما بدأت الولايات المتحدة - بخطاب الرئيس ترومان - بمطالبة منطقة جرف قاري خاص بها، (أنور سيد كامل وعلاء محمددين حماد. 2025م. ص123).

من هذا المنطلق تسلط الدراسة الضوء على حوض شرق البحر المتوسط، وتحديد ترسيم الحدود البحرية والمنطقة الاقتصادية الخالصة بين ليبيا وتركيا، وذلك من خلال مذكرة التفاهم بين الطرفين 2019م، حيث تناولت الدراسة الأسس الجغرافية والقانونية التي بُنيت عليها مذكرة التفاهم بين الطرفين كما تناولت مميزاتها بالنسبة لليبيا إضافةً إلى إشكاليات المذكرة بالنسبة لليبيا ودول ذات العلاقة، الملاصقة منها والمقابلة، كما اعتمدت الدراسة على عدة مناهج علمية منها المنهج القانوني والمنهج التحليلي.

موضوع الدراسة:

يُكمن موضوع الدراسة في عدة تساؤلات متمثلة فيما يلي:

- 1- ما الأسس الجغرافية والقانونية التي قامت عليها هذه الاتفاقية؟
- 2- ما مميزات هذه الاتفاقية بالنسبة للدولة الليبية؟
- 3- ما إشكاليات المترتبة على اعتماد هذه الاتفاقية؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة للوصول لعدة أهداف، منها ما يلي:

- 1- معرفة أهم العوامل الجغرافية والأسس القانونية التي بُنيت عليها هذه الاتفاقية.



2- معرفة مميزات هذه الاتفاقية بالنسبة لليبيا.

3- معرفة اشكاليات هذه الاتفاقية أو الأضرار التي تلحق الدولة الليبية، إذا ما تم اعتماد هذه الاتفاقية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة فيما يلي :

1- تساهم الدراسة في توسيع إدراك الباحث في هذا المجال.

2- توضح الدراسة سلبيات الاتفاقية البحرية على الدولة الليبية، لمحاولة تعديل بنودها لغرض الاستفادة منها اقتصاديا بشكل إيجابي، لتكون عاملاً مساعداً في عملية التنمية في الدولة الليبية.

3- تساهم الدراسة في إثراء المكتبة العلمية بمثل هذا التخصص من الدراسات.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على عدة مناهج علمية، ساهمت في تفسير بعض المسائل المتعلقة بالاتفاقية البحرية، منها مايلي:

1- **المنهج التحليلي:** الذي ساهم في تفسير بعض الظواهر والبنود الخاصة بالاتفاقية.

2- **المنهج القانوني:** وهذا المنهج مختص بالتفسير القانوني الذي بُني عليه المواد القانونية للاتفاقية البحرية.

3- **المنهج الكارتوجرافي:** هذا المنهج يعتمد على الخريطة كأداة أساسية توضيح الإحداثيات والقياسات والمسافات والنسب الأبعاد، التي شكلت بنود ومواد هذه الاتفاقية.

الدراسات السابقة:

اعتمدت الدراسة على عدد من الدراسات السابقة، كانت بمثابة المرجعية العلمية لهذه الدراسة، منها ما يلي :

1- دراسة علي يوسف بوبريق 1990م الموسومة بـ "حدود الجرف القاري الليبي قانونياً" حيث تناولت هذه الدراسة الجرف القاري الليبي، وحدوده مع الدول المجاورة والمُقابلَة من الناحية القانونية، وقدمت بعض مقترحات لترسيم الحدود مع الدول التي لم يتم ترسيم الحدود البحرية معها ، واعتمدت



الدراسة على عدة مناهج علمية منها المنهج القانوني، خلصت الدراسة بعدة نتائج أهمها ضرورة ترسيم الحدود البحرية والجرف القاري مع الدول ذات الصلة، والتي لم يتم ترسيم الحدود معها.

2- دراسة أبو عبيدة عبدالقادر حويل 2004م ، الموسومة بـ " الجرف القاري الليبي والأطماع الخارجية" حيث تناولت حدود الجرف القاري الليبي، والأسس القانونية والجغرافية التي بموجبها يتم ترسيم حدود الجرف القاري، كما اعتمدت الدراسة على عدة مناهج علمية منها المنهج القانوني والمنهج الوصفي ، وخلصت بعدة نتائج منها أن أغلب حدود الجرف القاري مع الدول ذات الصلة لم يتم ترسيمها بشكل قانوني، باستثناء الحدود مع تونس ومالطا .

3- دراسة أنور سيد كامل وعلاء محمدين حماد 2025م الموسومة بـ " تحديد مناطق الولاية البحرية الليبية ومنازعاتها " حيث تناولت هذه التطور التاريخي لأغلب القرارات المتعلقة بترسيم الحدود البحرية الليبية، وكذلك القرارات المتخذة من قبل الدول البحرية المجاورة والمقابلة للدولة الليبية، واعتمدت الدراسة على عدة مناهج علمية أهمها المنهج الوصفي التحليلي، والمدخل المورفولوجي ، وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج، منها ان البحر المتوسط من أهم المناطق البحرية في العالم، لما يحتويه من موارد اقتصادية، إضافة لكونه منطقة ربط بين قارات العالم.

الفجوة البحثية:

من خلال الدراسات السابقة نلاحظ أنها ركزت في دراستها على العوامل القانونية، ودورها في عملية ترسيم الحدود البحرية بين الدول، إضافة إلى بعض العوامل الطبوغرافية للسواحل والقاع، كونها من العوامل والأسس الثانوية التي تؤثر في عملية ترسيم الحدود بين الدول، أما هذه الدراسة إضافة إلى العوامل السابقة الذكر، فقد تناولت الاتفاقية البحرية بين تركيا وليبيا والأسس الجغرافية والقانونية التي اعتمدت عليها، كما تناولت إيجابيات وسلبيات هذه الاتفاقية بالنسبة للدولة الليبية.

حدود منطقة الدراسة:

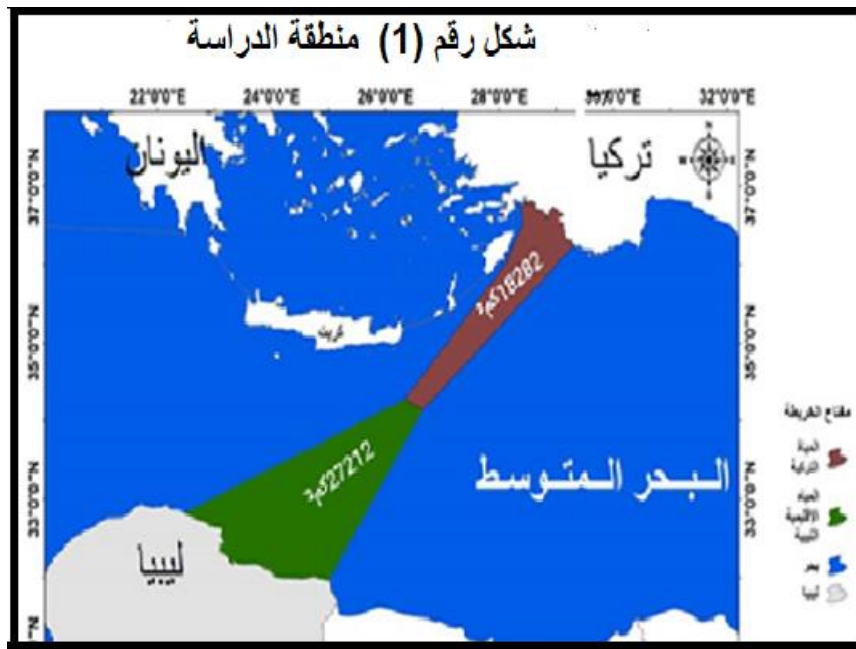
يشمل موقع منطقة الدراسة جزئين منفصلين، يمثل الجزء الأول منها واجهة بحرية لدولة ليبيا، أما الجزء الآخر يمثل الواجهة البحرية لدولة تركيا وهذان الجزءان متقابلان بحسب شكل الساحل ذي الصلة، وللتوضيح يمكن تقسيم موقع منطقة الدراسة إلى قسمين، على النحو التالي:

1- الموقع الفلكي:

حيث تقع منطقة الدراسة بين خطي طول 22° 27' 00" و 29° 18' 50" شرقاً وبين دائرتي عرض 31° 58' 05" و 36° 40' 50" شمالاً.

2- الموقع النسبي:

تقع منطقة الدراسة في الجزء الشرقي من البحر المتوسط، وهي تنقسم إلى جزئين منفصلين في اليابس، ومتصلين في الماء، وتحديداً يمثل الجزء الأول ساحل شرق ليبيا بدايةً من منطقة البردي مروراً بمدينة طبرق، حتي غرب مدينة درنة بمسافة 20 كم تقريباً، ليصل امتداد هذا الجزء إلى أكثر من 300 كم، ومن الساحل 200 ميل بحري داخل البحر، وتحديداً عند خط الوسط مع دولة تركيا ، أما الجزء الثاني، فهو يمثل الجانب التركي وتحديداً الجزء الجنوبي من الساحل التركي الذي يمتد من مدينة كاش ومروراً بمدينة فتحية ،حتى مدينة مرمريس، حيث تصل المسافة لهذا الجزء لأكثر من 150 كم ، ومن الساحل داخل البحر حوالي 200 ميل بحري ، كما تصل مساحة منطقة الدراسة لأكثر من 45000 كم² ، حيث تصل مساحة الجانب الليبي أكثر من 27000 كم² ، أما الجانب التركي تصل مساحته أكثر من 18000 كم² أما المسافة بين طرفي اليابس للدولتين تزيد عن 400 ميل بحري، (شكل رقم 1).



المصدر: أعدت من قبل الباحث استنادا على إحداثيات الاتفاقية البحرية بين ليبيا وتركيا



أولاً: مفهوم الحدود البحرية -

وهي خطوط وهمية تمثل حدود هندسية ، تمتد على سطح مياه البحار والمحيطات دون أي علامة مميزة يمكن الاهتداء بها داخل البحر، تتميز بعدم ثباتها بحكم تأثرها بالظروف الطبيعية والبشرية ، وهي تختلف عن الحدود البرية التي تمثل حد بين دولتين ، أما الحدود البحرية تعتبر مواجهة مصالح أغلب دول العالم الساحلية (فتحي بوعيانة.1983.ص 165).

ثانياً: نطاقات الحدود البحرية :

يمكن تحديد ست نطاقات مائية تمتد بجوار سواحل الدول الشاطئية حسب التالي:

1 - المياه الداخلية :- يقصد بالمياه الداخلية تلك الأجزاء من البحر التي تتغلغل في إقليم الدولة وتتداخل فيه، وتشمل المياه الداخلية الموانئ والأحواض البحرية التي تعتبر داخله ضمن إقليم الدولة جزءاً من أملاكها العامة، والخلجان التي تعتبر أجزاء من البحر تتداخل في الأرض نتيجة التعرجات الطبيعية للساحل، وكذلك البحار الداخلية، ولا تعتبر المياه الداخلية جزءاً من المياه الإقليمية ، وأنه من حق الدولة الساحلية أن تبسط سيادتها على مياهها الداخلية ،(اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار ،1982.مادة 8).

2- المياه الإقليمية :- وهو الجزء من البحر الذي يجاور إقليم كل دولة وتمتد إليه سيادتها المطلقة ، وفكرة البحر الإقليمي بمثابة تأمين للدول الشاطئية من نواح عدة : للدفاع عن حدودها الساحلية ، وتأمين الملاحة تجاه موانئها ، تأمين لمصالحها الاقتصادية ، وتأمين الصحة العامة . وعرض المياه الإقليمية 12 ميل بحري من خط الأساس (أقصى نقطة تنحصر عنها المياه وقت الجزر بالنسبة للشواطئ الطبيعية) . والمياه الإقليمية تخضع لسيادة كاملة من الدولة بما فيها الفضاء الجوي ، وعلى ذلك البحر الإقليمي يشمل التالي :-

أ - تمتد سيادة الدولة الساحلية خارج إقليمها البري ومياهها الداخلية أو مياهها الأرخيبيلية "جزرية" إذا كانت دولة أرخبيلية ، إلى حزام بحري ملاصق يعرف بالبحر الإقليمي .

ب - تمتد هذه السيادة إلى الحيز الجوي فوق البحر الإقليمي وكذلك إلى قاعة وباطن أرضه.

ج - تمارس السيادة على البحر الإقليمي رهنا بمراعاة أحكام هذه الاتفاقية وغيرها

من قواعد القانون الدولي.



ويعتبر الحد الخارجي للبحر الإقليمي هو الخط الذي يكون بعد كل نقطة عليه عن اقرب نقطة عن خط الأساس مساويا لعرض البحر الإقليمي وخط الأساس لقياس عرض البحر الإقليمي هو حد ادني جزر على امتداد الساحل .

3 - المياه المجاورة (المتاخمة) :- تقع المياه المجاورة بجوار المياه الإقليمية من جهة البحر ، وأن أقصى امتداد للمياه المجاورة يجب ألا يتعدى الاثني عشر ميلاً من خط المياه الإقليمية ، فإذا كانت المياه الإقليمية اثني عشر ميلاً فمن حق الدولة أن يكون له مياه مجاورة باثني عشر ميلاً ، لكل دولة ساحلية الحق في منطقة متاخمة لبحرها الإقليمي تمارس فيها الصلاحيات التالية : -
أ - منع خرق قوانينها وأنظمتها الجمركية أو الضريبية أو المتعلقة بالهجرة أو الصحة داخل إقليمها أو بحرهما الإقليمي .

ب - المعاقبة على أي خرق للقوانين والأنظمة المذكورة أعلاه إذا حصل داخل إقليمها أو بحرهما الإقليمي .

ج - لا يجوز أن تمتد المنطقة المتاخمة إلى أبعد من 24 ميلاً بحرياً من خطوط الأساس التي يقاس منها عرض البحر الإقليمي .

4 - المنطقة الاقتصادية الخالصة :- وهي مساحة من البحر ملاصقة للمياه الإقليمية وتمتد خارجها بمسافة لا تزيد عن مائتي ميل بحري من خط الأساس وتشمل سطح المياه وقاعه ، حيث يكون لكل دولة حقوق سيادية خصوصاً في الموضوعات الاقتصادية ، كما تستطيع الدولة أيضاً تنظيم الاستغلال في هذه المنطقة لحماية الصيد البحري ، (اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار ، 1982 ، مواد 3،4،5،33،55) ، وتنحصر حقوق الدول الساحلية وواجباتها في المنطقة الاقتصادية الخالصة حسب المادة رقم (56) من اتفاقية 1982م فيما يلي .

□ أ - للدولة الساحلية ، في المنطقة الاقتصادية الخالصة :

□ 1 - حقوق سيادية لغرض استكشاف واستغلال الموارد الطبيعية ، الحية منها وغير الحية ، للمياه التي تعلو قاع البحر ولقاع البحر وباطن أرضه ، وحفظ هذه الموارد وإدارتها وكذلك فيما يتعلق بالأنشطة الأخرى للاستكشاف والاستغلال الاقتصادي للمنطقة كإنتاج الطاقة من المياه والتيارات والرياح.



2- ولاية على الوجه المنصوص عليه في الأحكام ذات الصلة من هذه الاتفاقية فيما يتعلق بما يلي : -

- إقامة واستعمال الجزر الاصطناعية والمنشآت والتركيبات ؛
 - البحث العلمي البحري ؛
 - حماية البيئة البحرية والحفاظ عليها ؛
 - الحقوق والواجبات الأخرى المنصوص عليها في هذه الاتفاقية .
- 3- تولي الدولة الساحلية في ممارستها لحقوقها وأدائها لواجباتها بموجب هذه الاتفاقية في المنطقة الاقتصادية الخالصة ، المراعاة الواجبة لحقوق الدول الأخرى وواجباتها وتتصرف على نحو يتفق مع أحكام هذه الاتفاقية.

- تمارس الحقوق المبينة في هذه المادة فيما يتعلق بقاع البحر وباطن أرضه وفقا للجزء السادس.
- استكشاف واستغلال الموارد الطبيعية .
 - إقامة واستعمال الجزر الصناعية .
 - البحث العلمي البحري .
 - حماية البيئة البحرية والحفاظ عليها .
 - مراعاة حقوق الدول الأخرى .
 - تمارس الدول الحقوق السابقة في قاع البحر وباطن أرضه .
- ويبلغ عرض المنطقة الاقتصادية الخالصة حسب المادة رقم (57) لا تمتد المنطقة الاقتصادية الخالصة إلى أكثر من 200 ميل بحري من خط الأساس التي يقاس منها عرض البحر الإقليمية . (بن عمور ،خالد وحويل أبوعبيدة ،2020،ص5-7).

ثالثاً: الأسس التي بنيت عليها الاتفاقية الليبية التركية لترسيم الحدود البحرية.

تتمثل هذه الاتفاقية في مذكرة تفاهم وقّعت بين الحكومة التركية والحكومة الليبية، بشأن تحديد المنطقة الاقتصادية الخالصة بين الطرفين، بتاريخ 27 نوفمبر 2019م، وهي تندرج في ست مواد قانونية كما هو واضح في الملحق رقم (1).



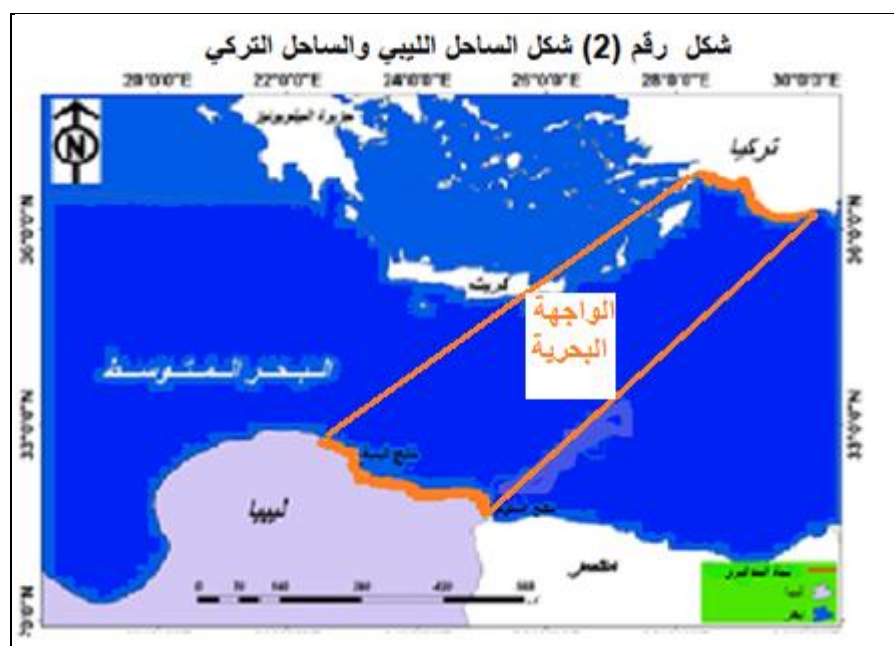
من أهمها المادتان الأولى والثانية التي تمثلان ركيزة هذه الاتفاقية، حيث تناولت الفقرة الأولى والثانية من المادة الأولى، تحديد المجالات البحرية بين البلدين من خلال تحديد احداثيات الجغرافية للمساحة بحرية التي تربط بين البلدين ، وهي تمتد من السواحل الليبية من ناحية الغرب على شكل مستطيل يميل ناحية الجنوب الشرقي بزاوية حادة تقدر بـ 50 درجة يصل بالسواحل التركية من ناحية الشرق ، بإجمالي مساحة تقدر بـ 45000 كم² تقريباً كان نصيب ليبيا منها (27200 كم²) أي تمثل 60% من إجمالي المساحة، بينما كان نصيب الدولة التركية (18300 كم²) أي تمثل 40% من إجمالي تلك المساحة البحرية.

الأسس التي بنيت عليها مواد الاتفاق تتمثل في الآتي :

نظراً لطبيعة العلاقة التاريخية والتقارب الدائم بين البلدين تبنت تلك المشاركة على بناء اتفاقية لاستغلال الموارد الاقتصادية الواقعة في المياه الإقليمية التي تقابل السواحل البحرية بين البلدين بناءً على الأسس الجغرافية الآتية:

• شكل الساحل "تقابل مباشر للواجهة البحرية بين الدولتين".

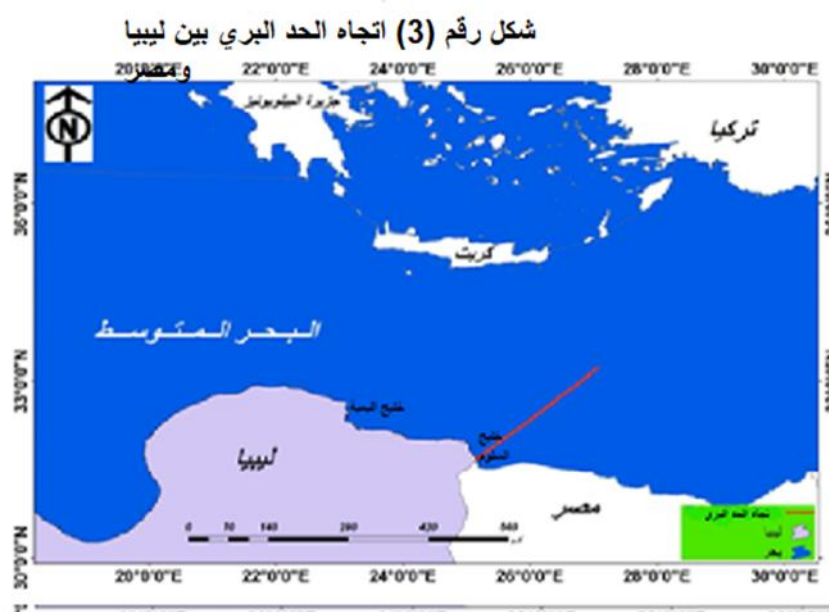
إن اتجاه الساحل يمثل نقطة انطلاق تعيين الحدود البحرية ، بمعنى " الأرض تهيمن على البحر ، وهي تسيطر عليه اعتماداً على ما أشارت إليه محكمة العدل الدولية في حل بعض القضايا ترسيم الحدود بين الدول (إن خط تعيين الحدود البحرية الذي سيتم رسمه في منطقة معينة سيعتمد على طبيعة شكل الساحل) كما اشارت محكمة العدل الدولية في قوانينها أن الواجهة البحرية هي الكتلة البرية landmass يحدد من خلالها السيادة الإقليمية بإحداثياتها في تحديد حقوق الجرف القاري والمنطقة الاقتصادية الخالصة ، " ، ومن بعض نوع هذه القضايا التي فصل فيها محكمة العدل الدولية قضية خليج مين Maine بين كندا والولايات الأمريكية " التي اعتمدت في الحكم بالأحقية على الحقائق الجغرافية في حل النزاع باعتبارها ليست نتاج عمل بشري الذي يقلل من مبدأ الأحقية لأحد دول النزاع ، بالإضافة إلى ذلك ذكرت محكمة العدل الدولية في قضية بحر الشمال " أن الأرض هي المصدر القانوني للسلطة التي يجوز للدولة ممارستها على الامتدادات الإقليمية باتجاه البحر المقابل لها " ، (دليل تعيين الحدود البحرية، 2000، ص 27). (شكل رقم 2).



المصدر: أعدت من قِبل الباحث استنادا على احداثيات الاتفاقية البحرية بين ليبيا وتركيا

• شكل الحد البري الليبي مع دولة مصر "زاوية الميول".

يأخذ الساحل في خليج السلوم شكل مقعر بدرجة كبيرة في الجانب المصري ، ويأخذ الجزء الغربي منه، شكل زاوية 340 درجة تقريباً، الذي يتوسطه الحد البري بين مصر وليبيا وهو يأخذ شكل زاوية (53) درجة تقريباً، شكل رقم (3).



المصدر: أعدت من قِبل الباحث استنادا على احداثيات الاتفاقية البحرية بين ليبيا وتركيا



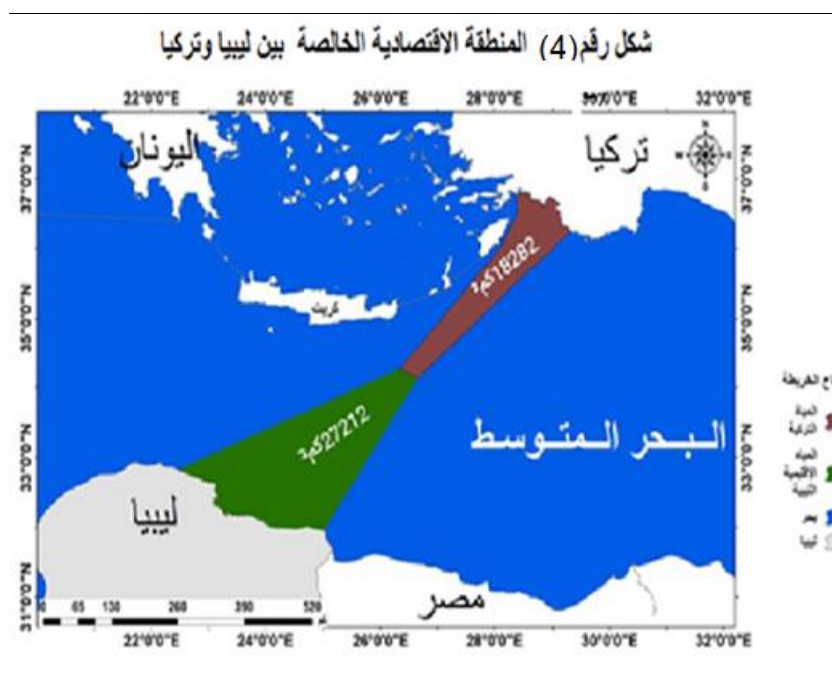
• علاقة شكل الساحل والحد البري بالواجهة البحرية مع دولة تركيا.

من خلال شكل واتجاه الساحل الليبي في المنطقة ذات الموضوع، والمتمثلة في شرق ليبيا، وتحديدًا من منطقة البردي شرقاً حتى مدينة درنة غرباً، مروراً بمدينة طبرق، نلاحظ أن الساحل يأخذ شكلاً شبه مقعر - الذي يُعد أحد أهم أشكال الساحل التي تؤثر في تعيين الحدود البحرية للدول المتقابلة والملاصقة، وبالمثل نلاحظ التقعر واضح في الساحل التركي المقابل، وتحديدًا من مدينة كاش شرقاً حتى مدينة مرمريس غرباً، مروراً بمدينة فتحية، لذلك نلاحظ اتساع في قاعدة كلاً من الساحلين، وانحسار المجال كلما اتجهنا للبحر، ليصل طول المنفذ بين الدولتين عند خط الوسط حوالي 20 ميل بحري تقريباً، ولو زادت المسافة لربما حدث انقطاع للواجهة البحرية بين الدولتين. اعتمدت الاتفاقية على مبدأ التماثل في شكل الساحل بين الدولتين على قضية النزاع رسم الحدود التي حدثت عام 1969م بين كل من الدنمارك وألمانيا وهولندا، ولحل الإشكالية قامت محكمة العدل الدولية بدعوة الأطراف المتصارعة على التفاوض، لتطبيق مبادئ الانصاف بطريقة لتجنب الانقطاع وأثره سلباً على دولة ألمانيا، (دليل تعيين الحدود البحرية، 2000، ص 30).

يظهر التماثل في شكل الساحل بين الدولتين أن شكل الساحل الليبي ينحرف يساراً بزاوية 342 درجة تقريباً، - عند خليج السلوم - ثم يزيد انحرافه بزاوية 350 تقريباً، - عند خليج البمبة - في حين نلاحظ أن الخط البري بين الدولتين ينحرف يميناً وبزاوية 53 درجة، الأمر الذي يفتح المجال البحري بين ليبيا وتركيا، وتحديدًا الساحل الشرق الليبي والساحل الغربي التركي، وهو ما يفسر ميول أو انحراف الواجهة البحرية بين البلدين إلى اليمين حوالي 47 درجة، وما يمكن تأكيده أن كلاً من شكل الساحل واتجاه الحد البحري الليبي مع دولة مصر، لابد أن يأخذان في الحسبان عند ترسيم الحدود بين البلدين، بحسب ما ذكرته محكمة العدل الدولية.

مما سبق يتضح أن لشكل الساحل تأثيراً واضحاً في ترسيم الحدود البحرية بين ليبيا وتركيا "الاتفاقية"، وحيث إن شكل الساحل يعتبر من ضمن العوامل الجغرافية وتحديدًا العوامل الطبيعية التي اعتمدتها محكمة العدل الدولية، بالتالي تمت الإجابة على السؤال الأول من الدراسة والمتمثل (ما الأسس الجغرافية التي قامت عليها هذه الاتفاقية؟).

تظهر الفقرة الثالثة من المادة الأولى من بنود الاتفاقية تحديد خط الوسط بين البلدين كحد بحري، الذي قُدِّر في هذه الاتفاقية بمسافة 210 ميل بحري، تقريباً لكل طرف - بداية من خط الأساس حتى خط الوسط - وبحسب القوانين والقواعد التي تنظم ترسيم الحدود البحرية بين الدول، يعد خط الوسط بشكل عام هو المعيار الرئيس لتحديد الحدود البحرية بين الدول المتقابلة، من ثم تأتي المعايير الأخرى كمبادئ العدل والإنصاف" والظروف ذات العلاقة، وغيرها من المعايير المأخوذ بها في هذا الشأن" وهذا يمثل التزام أطراف الاتفاقية المذكورة بقواعد ومبادئ القانون الدولي في هذا الصدد". شكل رقم (4).



المصدر: أعدت من قِبل الباحث استناداً على احداثيات الاتفاقية البحرية بين ليبيا وتركيا
مما سبق يتضح أن العلاقة الجغرافية بين الدولتين هي علاقة تقابل ، وبموجبها فإن تعيين المنطقة الاقتصادية الخالصة بينهما يبدأ بالاتفاق بينهما على رسم هذه الحدود ، حيث ذكرت الفقرة رقم (1) من المادة (74) من اتفاقية قانون البحار 1982م " يتم تعيين المنطقة الاقتصادية الخالصة بين الدول ذات السواحل المتقابلة والملاصقة عن طريق الاتفاق على أساس القانون الدولي ، كما أُشير إليه في المادة (38) من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية " ، وبمعنى آخر فإن الاتفاق بين الدول هو العنصر الأهم في هذا الصدد ، وهذا ما حدث بين الدولتين في



تحديد المنطقة الاقتصادية الخالصة بينهما بالتاريخ المذكور، وهذا ما التزم به الطرفان في عملية ترسيم الحدود بينهما .

مما سبق يتضح أن المواد والاتفاقيات الدولية التي وضعت الأسس القانونية المعمول بها في مجال ترسيم الحدود البحرية التي أعتمد عليها في تحديد إحداثيات هذه الاتفاقية، بالتالي تمت الإجابة على السؤال الثاني من الدراسة والمتمثل (ما الأسس القانونية التي قامت عليها هذه الاتفاقية).

ثانياً: مميزات الاتفاقية البحرية بين ليبيا وتركيا بالنسبة للدولة الليبية:

إن ترسيم الحدود البحرية أم البرية لأي دولة يعد من الإيجابيات بشكل عام ، الأمر الذي يجعلها تطبق قوانينها وقراراتها علي إقليمها البري والبحري على حدٍ سوء كما يمكن الدولة من استغلال مواردها المتواجدة داخل هذا الإقليم، وكلما زاد إقليم الدولة كلما كان هناك فرصة لزيادة الموارد الاقتصادية بها الأمر الذي يعد من الأمور الإيجابية.

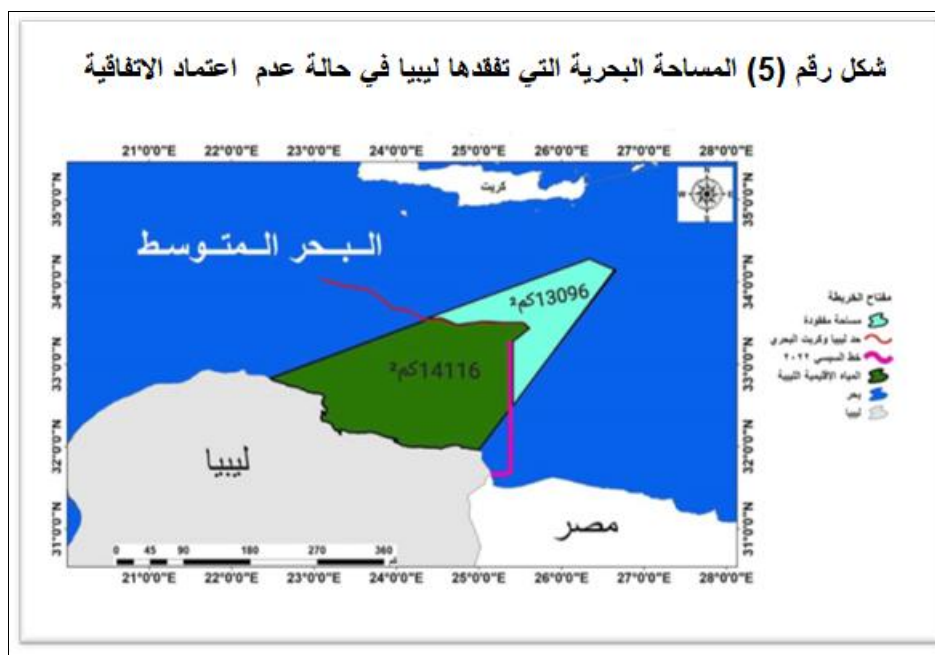
وبناءً على خط الحدود البحرية المصرية المشار إليه بقرار رقم (595 / 2022م)، وبناءً على مطالبات اليونان بخط الوسط بين جزيرة غافدوس اليونانية وليبيا (ملحق2). يمكن أن تعطي هذه الاتفاقية البحرية بين ليبيا وتركيا مميزات عدة لدولة ليبيا والتي تتمثل في كل من :

أ- ستضيف ليبيا مساحة بحرية تُقدر بحوالي (13096 كم2) لمياها الإقليمية تكون غنية بالموارد الاقتصادية ، في حالة إبرامها للاتفاقية المشار إليها ، وستفقد هذه المساحة عند عدم إبرامها ، الشكل (5).

ب-تزيد الدولة من مساحة مواردها الاقتصادية.

ت-تزيد الدولة من أهميتها السياسية على المستوى الإقليمي والدولي.

ث-ترفع من أهميتها السياسية بين دول البحر المتوسط.



المصدر: أعدت من قبل الباحث استنادا على قرار 595 عام 2022م بدولة مصر، وادعاءات اليونان في ترسيم حدودها البحرية. مما سبق تمت الإجابة على السؤال الثالث من هذه الدراسة المتمثل (ما مميزات هذه الاتفاقية بالنسبة للدولة الليبية؟).

رابعاً: إشكاليات مذكرة التفاهم البحرية بين ليبيا وتركيا :

يوجد بالاتفاقية العديد من الإشكاليات التي يمكن أن تواجه نجاحها وتحقيق الفائدة المرجوة منها للدولتين ، أهمها ما يلي :

1- إشكاليات خاصة بالدولة الليبية :

تخلل الاتفاقية عدة مطالب في موادها التي يمكن أن يكون لها تأثير سلبي على ليبيا، وهي على النحو التالي:

- تناولت الفقرة الأولى تحديد خط الوسط بين الدولتين، الذي مثلته المذكرة بنقطتين أفقيتين "أ" ، ب "كحد بحري فاصل بين الطرفين، وقد تم الإشارة إليه بملحق رقم (1)، في الفقرة الثانية من المادة الأولى، (وهذا تحديد طبيعي بين أي دولتين بحريتين متقابلتين) ولا يوجد أي تحفظ على هذه الفقرة.
- أما الفقرة الثالثة من المادة الأولى، فقد تناولت تحديد مساحة بحرية بإحداثيات (ملحق)-بدايةً من ساحل كل دولة حتى خط الوسط المشار إليه في الفقرة السابقة-وهذا أمر غير طبيعي في عملية ترسيم الحدود، حيث جرت العادة في مثل هذه الحالات أن يتم تحديد خط الوسط بين الدولتين - كما



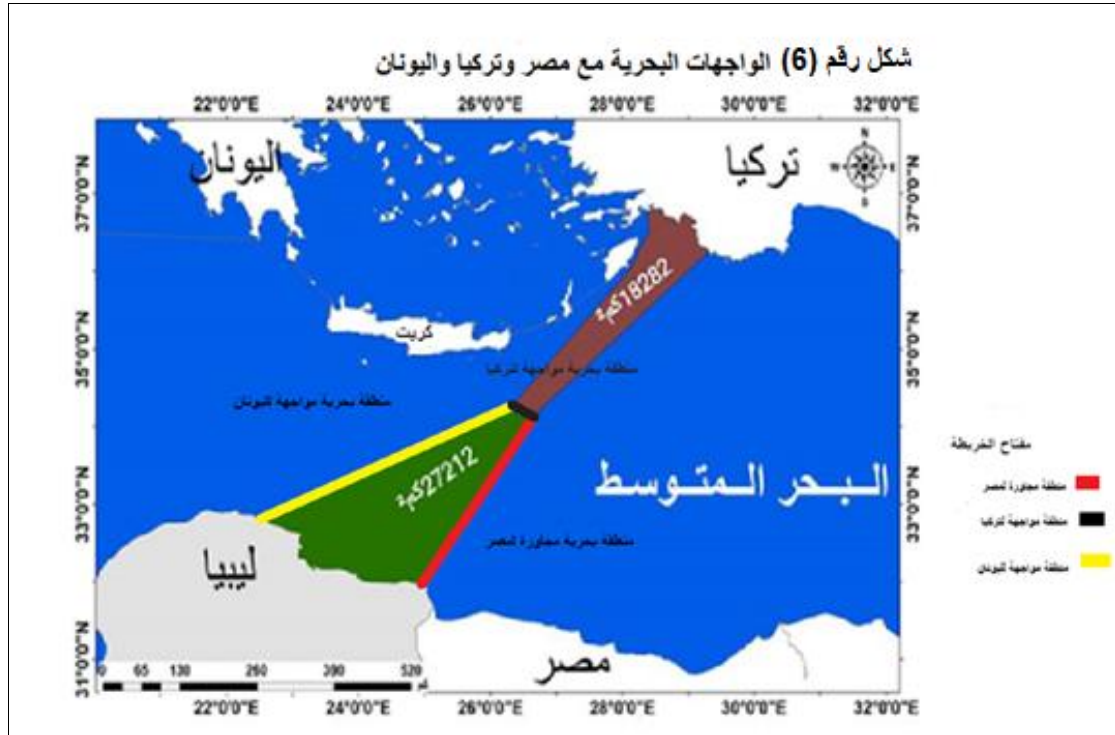
هو موضح بلون أسود في الشكل التالي - حيث يمثل الحد الفاصل بين تركيا وليبيا كدولتين متقابلتين، بعكس ما تنص عليه هذه الفقرة التي حددت الحدود البحرية بين الدولتين بمساحة بحرية مكونة من ثلاث جهات كل جهة مقابلة أو مجاورة لدولة أخرى ، فقد كانت الجهة الشرقية مجاورة أو مقابلة لدولة مصر "بلون أحمر" في حين يمثل اللون الأصفر منطقة مقابلة -نسبياً- لدولة اليونان، وهنا نجد أحقية التفاوض مع دولة ليبيا - بالمنطقتين السابقتين -هي الدولة المقابلة أو المجاورة للمنطقة ذات الصلة دون غيرها من الدول.

وبمعني آخر، إن الدول المتقابلة -بحرياً- معنية بترسيم الحد البحري فيما بينها، وهذا الحد عبارة عن خط يفصل بينها -غالباً ما يكون خط الوسط بحسب شكل الساحل - وليس مساحة بحرية، وتركيا دولة مقابلة لليبيا، عليه من الطبيعي أن تتناول هذه الاتفاقية تحديد خط يمثل الحد البحري بين الدولتين وليس مساحة بحرية -تُقدر مساحتها بأكثر من 27000 كم²- كما في هذه المذكرة، فأصبحت هذه الاتفاقية بمثابة (عقد تجاري) على منطقة معنية - وبشكل دقيق في المنطقة المشار إليها في الفقرة الثانية من الملحق رقم (2)، والتي تمثل العمود الفقري لهذه المذكرة - لغرض التنقيب عن الموارد الاقتصادية "امتياز" أكثر منه لغرض ترسيم الحدود.

من أهم الأمور المُتَحَفَظ عليها في هذه المذكرة، ما ذكرته المادة الخامسة بإمكانية المراجعة والتعديل في هذه المذكرة- من قِبل أي طرف من أطراف المذكرة- باستثناء المادتين الأولى والثانية ، هذا من جانب ومن جانب آخر يعد ما ذكرته المادة الثانية بعدم إمكانية تجزئ الفترتين الثانية والثالثة من المادة الأولى عن باقي المذكرة، أمراً يساهم في تقييد الأطراف الموقعة على المذكرة في هذا الشأن تعقيداً، وأيضاً وكان من ضمن الشروط التي وُضعت في هذه المذكرة، والتي تناولتها المادة الثانية ، بأن هناك إمكانية تعديل أي مادة أو فقرة من هذه المذكرة "باستثناء الاحداثيات" التي تم الإشارة إليها في الملحقين (1و2) وكان الملحق (2) يشير للمساحة المشار إليها سابقاً.

و لكي لا نقف حجر عثر أمام عجلة التنمية والتطور للدولة الليبية، من المفترض أن يتم فصل الفقرة المتعلقة بإحداثيات المساحة سالفة الذكر "ملحق 2" وتحديداً المتعلقة بالجانب الليبي، عن باقي المذكرة ويمكن وضع اطار زمني لعملية التنقيب عن الموارد الاقتصادية بين الدولتين في المنطقة المتعلقة بالجانب الليبي تتراوح ما بين (20-30 عام) بحسب ما يشير إليه المختصون بهذا الأمر.

في حالة وجود موارد اقتصادية -في المساحة سالفة الذكر- قريبة من الجانب المصري أو اليوناني، من المفترض أن يكون التعاون مع الدولة المجاورة هو الخيار الأفضل ، فقد يكون لهذه الموارد مكان -في باطن القاع - مشتركة تمتد إلى داخل حدود الدولتين ، بالتالي هذا الأمر يسهل التعاون في عملية استغلال هذه الموارد.(الشكل رقم 6).



المصدر: أعدت من الباحث استنادا على الاتفاقية البحرية

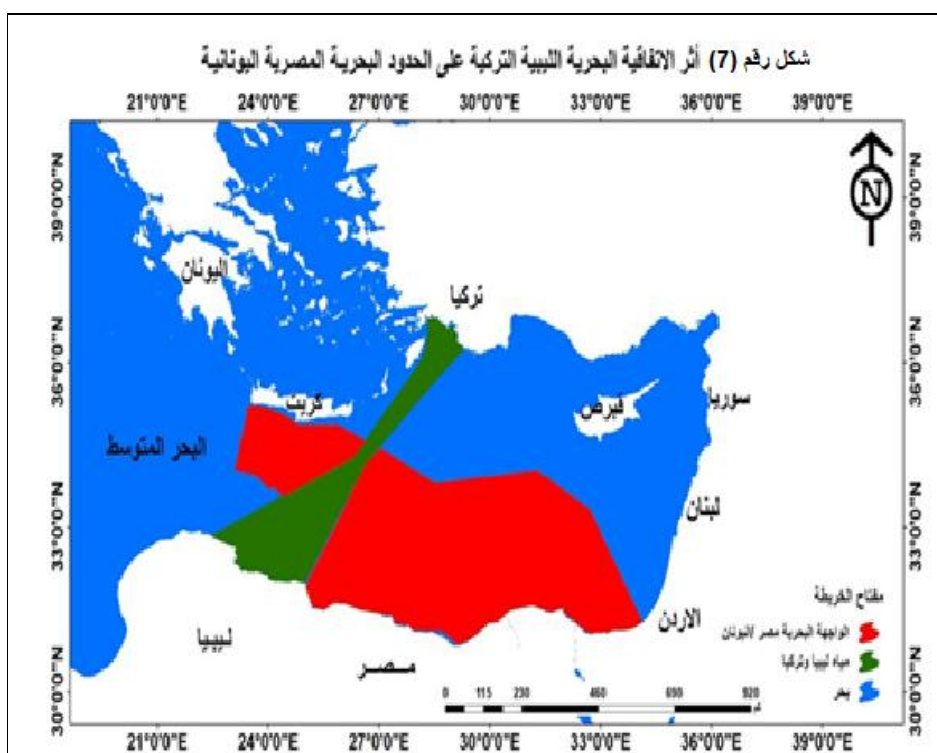
2- إشكاليات خاصة بكلٍ من (ليبيا / مصر / تركيا / اليونان) .

تعتبر المنطقة البحرية محل النزاع منطقة ذات أهمية اقتصادية واستراتيجية كبيرة جداً ، بحيث أسهمت هذه الأهمية في توتر العلاقات السياسية بين بعض الدول المعنية ، بل تعتبر هذه المنطقة (منطقة ساخنة سياسية واقتصادية) فعند ترسيم الحدود بالطرق التقليدية سترتب على ذلك وجود طرف متحصل على مكاسب كبيرة وطرف آخر متضرر بشكل كبير .

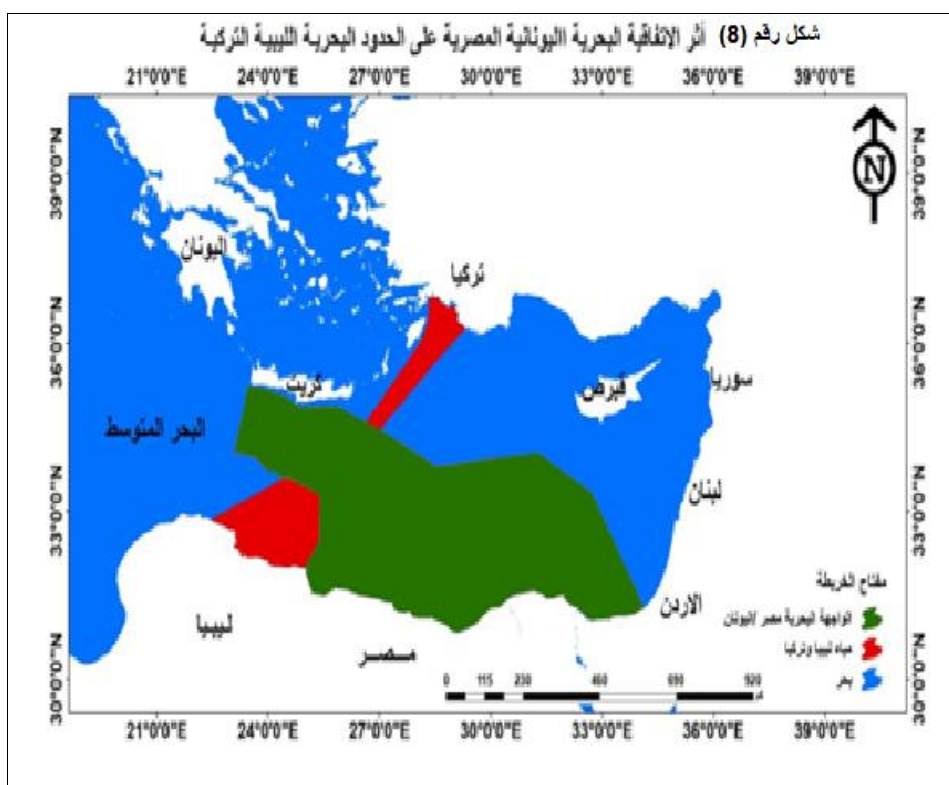
وبما أن ليبيا -تمر بمرحلة عدم الاستقرار السياسي- وقد تكون هي الدولة الأكثر تضرراً في هذا الشأن (فبدل الاستفادة يكون الضرر) . وحتى ولو تم اعتماد الاتفاقية الليبية التركية من قبل البرلمان الليبي، فالأمر لا ينتهي عند هذا الحد فقد رفضت كلٍ من مصر

واليونان هذه الاتفاقية وذلك من خلال (خط الحكومة المصرية 2022م، المشار إليه بهذه المذكرة) الذي تمت تحديده كحد بحري بينها وبين ليبيا ، أما دولة اليونان فقد قدمت مذكرة رسمية للأمم المتحدة بتاريخ (2025/9/3م) رافضةً فيها الاتفاقية الليبية التركية (بحكم أنهما دولة حدودية للمنطقة التي تم ترسيمها بين تركيا وليبيا) والقانون الدولي يحتم - في مثل هذه الحالة - شراكتهما في هذا الأمر ، بل إن إي اتفاق بين تركيا وليبيا لا يعد ملزماً لكل من مصر واليونان ، ويمكن توضيح ذلك بشكل أكثر تفصيلاً، فيما يلي :

- في حالة تم توقيع الاتفاقية بين ليبيا وتركيا فإن الحدود البحرية المشتركة بين مصر واليونان تصبح في حكم العدم، (الشكل رقم 7).



- في حالة تم توقيع الاتفاقية بين مصر واليونان فإن الحدود البحرية المشتركة بين ليبيا وتركيا تصبح في حكم العدم و تُلغى تماماً، (الشكل رقم 8).



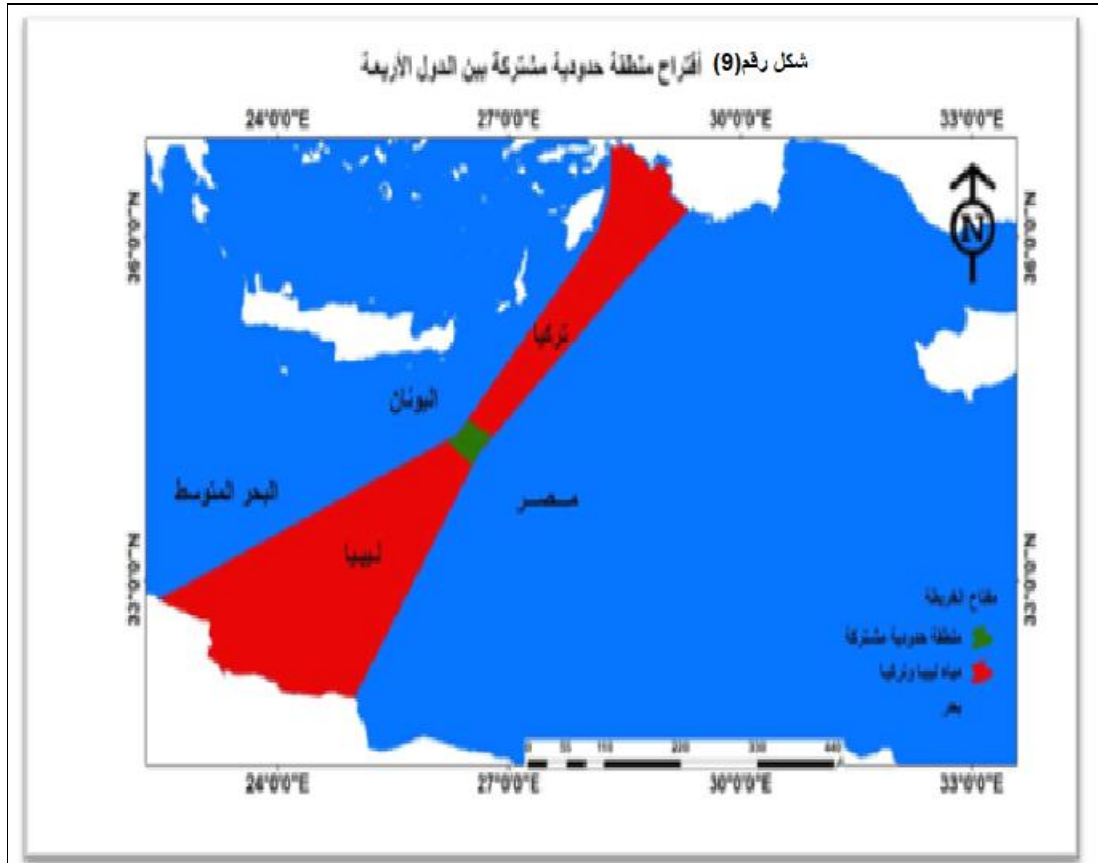
يتضح مما سبق إن هذه المنطقة البحرية المتنازع عليها تستوجب اتفاق مشتركة بين الدول المعنية في هذا الشأن ، ومن هذا المنطلق تقترح الدراسة حلاً مشتركاً متمثلاً في الآتي :

خامساً: اقتراح لحل هذا الإشكال الحدودي بين ليبيا وتركيا من جانب ومصر واليونان من جانب آخر.

تحاول هذه الدراسة تقديم مقترح لحل هذه المعضلة ، حيث يمكن أن يكون هذا الحل على مرحلتين رئيسيتين:

- 1-المرحلة الأولى.** يتم ترسيم منطقة حدودية لكل دول من الدول المعنية "مصر اليونان ليبيا تركيا" ، أي لكل دولة منطقة حدودية بحرية خاصة بها ، بحسب القواعد والقوانين الدولية المعمول بها .
- 2-المرحلة الثانية.** تحاشياً وتخفيفاً للضرر الناتج عن ترسيم الحدود لكلا طرفين – بشكل منفرد – عن الطرفين الآخرين ،(مصر /اليونان) أو(ليبيا / تركيا) يتم تحديد أو ترسيم منطقة مشتركة تلامس نهاية المنطقة السابقة " منطقة تلاقي للحدود البحرية بين الأطراف الأربعة " تجاه البحر لكل دولة من الدول المعنية، علي شكل مربع بمسافة 20ميل بحري لكل ضلع منه، وبمساحة 400

ميل بحري مربع، ويمكن زيادة هذه المساحة أو تقليصها بحسب الاتفاق بين الأطراف المعنية، وبهذا المقترح تصبح كل دولة من الدول المعنية لديها واجهة بحرية مع ثلاثة دول، بدلاً من واجهة بحرية مع دولة واحد فقط، كما يتم الاتفاق بين هذه الأطراف على كيفية إدارة هذه المنطقة من حيث التنقيب والصيد وتوزيع الموارد الاقتصادية وكل ما يتعلق بهذا الشأن، الشكل (9):



إن هذا الأمر يستلزم الدخول في مفاوضات مشتركة بين الدول المعنية لتعم الفائدة عليها جميعاً، وتكون هذه المفاوضات بطرق غير تقليدية بحكم طبيعة المنطقة ما تفرضه من حلول في هذه المسألة، ولأسيما أن الاتفاق بين الأطراف المتنازعة يمثل العنصر الأول والأساسي في ترسيم الحدود بين الدول .

مما سبق يتضح إشكاليات هذه الاتفاقية، وبذلك يتم الإجابة على السؤال الرابع من هذه الدراسة والمتمثل في (ما إشكاليات هذه الاتفاقية؟) .



سادساً: النتائج.

خلصت الدراسة إلى عدة نتائج نوجزها في الآتي:

- 1- إن لشكل الساحلين الليبي والتركي " المقعرين"، كان لهما تأثير على ترسيم الحدود البحرية بين الدولتين.
- 2- أن هناك مساحة بحرية تقدر بأكثر من 13000 كم ستضاف للدولة الليبية في حال اعتماد هذه الاتفاقية .
- 3- أن هناك إشكالية في المادة الثانية من الاتفاقية والمتعلقة بالمساحة البحرية للجانب الليبي والمشار إليها في الجزء الثاني من الملحق رقم (2) كحد بحري بين الطرفين، في حين نجد أن الدول المتقابلة بحرياً ترسم حدودها البحرية بناءً على **خط وسط** بين الطرفين وليس مساحة بحرية.
- 4- هناك إشكالية متمثلة في المنطقة المشار إليها بإحداثيات هذه الاتفاقية، حيث تُعد منطقة ملامسة لأربع دول "ليبيا مصر تركيا و اليونان" الأمر الذي يخلق تضارباً حدودياً بين هذه الدول.

المراجع:

1. أبو عبيدة عبدالقادر حويل (2004) "الجرف القاري والاطماع الخارجية" جامعة قاريونس ، كلية الآداب ، قسم الجغرافيا ، رسالة ماجستير غير منشورة .
2. الأمم المتحدة ، مكتب الشؤون القانونية ،شعبة شؤون المحيطات وقانون البحار(2000)، دليل تعيين الحدود البحرية . نيويورك . ترجمة ، الأمانة العامة لمجلس شؤون الحدود ،الامارات العربية المتحدة .
3. الأمم المتحدة ، اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار "1982" ، المؤتمر الثالث لقانون البحار ، جامايكا .
4. أنور سيد كامل وعلاء محمددين حماد(2025)" تحديد مناطق الولاية البحرية لليبيا ومنازعاتها"مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم ، مجلد 17 ، عدد 1.
5. بن عمور خالد وحويل أبو عبيدة (2022م)" مشكلات تحديد المنطقة الاقتصادية الخالصة والجرف القاري للدولة الليبية" مجلة طبرق للعلوم الاجتماعية والانسانية. العدد العاشر .
6. علي عمران الصفراني (1994).السيادة على الخلجان التاريخية والسيادة العربية الليبية على خليج سرت .جامعة قاريونس ، بنغازي ، الطبعة الأولى.

7. علي يوسف بوبريق (1990) "حدود الجرف القاري الليبي قانونياً" جامعة قاريونس ، كلية

القانون ، رسالة ماجستير غير منشورة .

8. فتحي عبد الله فياض ، (1983) " الحدود البحرية " ، مجلة كلية الآداب والتربية ، العدد

الثاني عشر ، تصدر عن كلية الآداب ، جامعة قاريونس ، (1983م) ، بنغازي ، ص

165 .

المراجع الأجنبية :

1-ADEL Omar Alsied.(2006).Delimitation of Maritime BoundAries

With Special Reference The Eez And The Imo Conventions

.Regime.UNITED NATIONS,THE NIPPONTION FELLOW.

نقاط الإحداثيات الأساسية لتحديد الجرف القاري والمنطقة الاقتصادية الخالصة بين ليبيا وتركيا.

أ- الجانب التركي .

#	خط الطول / شرقاً	دائرة العرض / شمالاً
1	27 22 27.873	36 40 50 .287
2	27 24 18.359	36 39 45 .969
3	27 28 38.882	36 38 50 .428
4	27 40 42 .469	36 39 28 .639
5	27 58 44.128	36 33 12 .889
6	28 02 07.031	36 33 16 .651
7	28 05 18.361	36 34 56 .051
8	28 07 42.814	36 35 43 .847
9	28 13 30.287	36 41 20 .260



#	خط الطول / شرقاً	دائرة العرض / شمالاً
10	28 17 25.494	36 43 12.400
11	28 37 38.668	36 41 54.779
12	28 45 41.864	36 37 35.654
13	28 49 29.785	36 34 01.991
14	29 01 22.266	36 32 16.733
15	29 06 04.195	36 23 16.073
16	29 09 58.078	36 20 27.209
17	29 12 27.635	36 19 24.623
18	29 18 50.685	36 14 48.669

ب - الجانب الليبي

#	خط الطول / شرقاً	دائرة العرض / شمالاً
1	22 27 00.194	32 50 06.873
2	22 28 11.254	32 49 43.717
3	22 32 41.368	32 48 07.040
4	22 37 39.116	32 46 26.472
5	22 38 33.969	32 46 09.093
6	22 44 28.857	32 44 07.238



#	خط الطول / شرقاً	دائرة العرض / شمالاً
7	22 48 54.607	32 42 43.985
8	23 05 48.986	32 38 32.161
9	23 06 27.841	32 38 20.558
10	23 07 06.696	32 37 49.615
11	23 58 05.833	32 06 44.158
12	24 40 27.392	32 01 28.159
13	24 43 00.941	32 01 34.000
14	24 44 59.999	32 01 18.423
15	24 45 38 .854	32 01 10.634
16	24 45 45.570	32 01 10.634
17	24 58 55.688	31 58 13.028
18	24 59 34.543	31 58 05.234

النظام المستخدم في الإحداثيات ، هو WGS-84

ملحق (2) قائمة الإحداثيات الجغرافية من النقطة "A" إلى النقطة "E" التي تحدد حدود لمنطقة الاقتصادية الخالصة بين جمهورية مصر العربية و جمهورية اليونان

النقطة	خط طول / شرقاً	دائرة عرض / شمالاً
A	27 59 02	33 53 05
B	27 30 42.47	33 41 56.41
C	26 49 34.27	33 35 24.59
D	26 27 35.54	33 30 26.24
E	26 00 00	33 24 56.14

بنظام المستخدم في الإحداثيات ، هو WGS-84

قرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم (595) لسنة 2022م

(إحداثيات نقاط حدود المياه الإقليمية والاقتصادية الخالصة الغربية لجمهورية مصر العربية)

#	خط طول / شرقاً	دائرة عرض / شمالاً
1	نقطة نهاية الحدود البحرية -تجاه البحر- المصرية الليبية	
2	44.56	9 25 29.38 39 31
3	44.33	10 25 33.56 39 31
4	10.28	17 25 30.4 39 31
5	24.99	19 25 44.21 39 31
6	10.15	20 25 51.67 39 31
7	45.47	21 25 28.21 41 31
8	43.73	22 25 24.47 42 31
9	43.73	22 25 48.22 16 33

بنظام المستخدم في الإحداثيات ، هو WGS-84

بحث بعنوان :

تقييم وظيفة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الليبية

دراسة وصفية للتقارير السنوية لديوان المحاسبة الليبي للفترة (2012-2024)

Evaluating the Internal Audit Function in Libyan Commercial Banks: A
Descriptive Study of the Libyan Audit Bureau's Annual Reports for the Period
(2012-2024)

إعداد :

د. عبد الوهاب محمد سالم

Dr.Abdulwahab Mohammed Salem

أستاذ مشارك بقسم المحاسبة، كلية الاقتصاد

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

Associate Professor, Department of Accounting, Faculty of Economics,
Mohamed Bin Ali Al-Senussi Islamic University.

abdlwahab.m.aboulqeetan@ius.edu.ly

المستخلص

هدفت الدراسة إلى تقييم وظيفة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الليبية، بالاعتماد على المنهج الوصفي من خلال فحص محتوى التقارير السنوية لديوان المحاسبة الليبي خلال الفترة (2011-2024) وتفرغ ملاحظات تقارير الديوان عن (أوجه القصور في الاستقلالية والموضوعية ، والكفاءة، واداء العمل لوظيفة المراجعة الداخلية) في جداول، اظهرت نتائج الدراسة أن هناك أوجه قصور عديدة في استقلالية وموضوعية وظيفة المراجعة الداخلية و كفاءتها وادائها لعملها) وأوصت الدراسة بضرورة تقديم الدعم الكافي لوظيفة المراجعة الداخلية من قبل مجالس ادارات المصارف التجارية الليبية.

الكلمات المفتاحية: المراجعة الداخلية ديوان المحاسبة الليبي، المصارف التجارية الليبية.

Abstract

This study aimed to evaluate the internal audit function in Libyan commercial banks, employing a descriptive approach by examining the content of the Libyan Audit Bureau's annual reports for the period 2011-2024. The Bureau's observations regarding shortcomings in the independence, objectivity, efficiency, and performance of the internal audit function were compiled into tables. The study results showed that there are many shortcomings in the independence, objectivity, efficiency, and performance of the internal audit function. The study recommended that sufficient support be provided to the internal audit function by the boards of directors of Libyan commercial banks.

Keywords: Internal audit, Libyan Audit Bureau, Libyan commercial banks .



1. مقدمة

مازالت المصارف لاسيما الحكومية منها تهيمن على القطاع المالي في ليبيا وتمثل المصارف التجارية 81% من الاصول في هذا القطاع (البنك الدولي، 2020) إذ بلغ عدد المصارف التجارية الليبية 21 مصرفاً، وتستحوذ المصارف الحكومية الأربعة (الجمهورية والتجاري الوطني، الوحدة، والصحاري) ما نسبته 63% من إجمالي أصول القطاع المصرفي في نهاية الربع الأول لعام 2025 (مصرف ليبيا المركزي، 2025).

وتعد المراجعة الداخلية نشاط تأكيد استشاري موضوعي ومستقل مصمم لإضافة قيمة وتحسين عمليات المؤسسة وتساعد المؤسسة على تحقيق اهدافها من خلال تقديم منهج منظم ومنضبط لتقييم وتحسين فعالية الحوكمة وإدارة المخاطر والرقابة الداخلية (IIA, 2024). وتضع العديد من المؤسسات وظائف للمراجعة الداخلية كجزء من هيكلها الخاصة بالرقابة الداخلية والحوكمة. وتختلف أهداف ونطاق وظيفة المراجعة الداخلية، وطبيعة مسؤولياتها وموقعها التنظيمي، بما في ذلك سلطة الوظيفة ومسؤوليتها، اختلافاً كبيراً ويعتمد ذلك على حجم وهيكل المؤسسة ومتطلبات الإدارة والمكلفين بالحوكمة، حسب مقتضى الحال (IFAC, 2025).

لتقييم وظيفة المراجعة الداخلية من قبل المراجع الخارجي كجهة خارجية مستقلة عليه تقييم (المعايير الدولية للمراجعة، 2025):

- مدى دعم الموقع التنظيمي الخاص بوظيفة المراجعة الداخلية، والسياسات والإجراءات ذات الصلة لموضوعية المراجعين.
- مستوى كفاءة وظيفة المراجعة الداخلية.
- ما إذا كانت وظيفة المراجعة الداخلية تطبق منهجاً منضبطاً ومنتظماً بما في ذلك تطبيقها لرقابة الجودة.

ووفقاً للمعايير العالمية للمراجعة الداخلية يجب تقييم الجودة الخارجي لوظيفة المراجعة الداخلية مرة واحدة على الأقل كل خمس سنوات من قبل مقيم أو فريق مؤهل ومستقل



(IIA,2024). لذلك جاءت هذه الدراسة لتقييم وظيفة المراجعة الداخلية للمصارف التجارية الليبية من خلال تحليل محتوى تقارير ديوان المحاسبة خلال الفترة (2011-2024).

2. الدراسات السابقة

تطرقت دراسة عديدة الى موضوع فعالية وظيفة المراجعة الداخلية سواء في ليبيا او في دول اخرى يمكن تناولها كالآتي:

ففي دراسة (Abuazza et.al,(2015) الاستكشافية والتي هدفت إلى فحص تصورات أصحاب المصلحة بشأن نطاق عمل المراجعة الداخلية في الشركات الليبية المملوكة للدولة. جُمعت البيانات من خلال مقابلات شبه منظمة مع الرؤساء التنفيذيين، ومديري المراجعة الداخلية، ومديري الشؤون الإدارية، ومديري الشؤون المالية، والمراجعين الخارجيين، واستُكملت هذه المقابلات بمراجعة الأدلة الوثائقية ذات الصلة. أظهرت نتائج الدراسة أن نطاق المراجعة الداخلية في المؤسسات الليبية قد لا يكون واسعاً بما يكفي ليعتبر خدمة ذات قيمة مضافة. وقد يكون من الضروري توسيع نطاق وظيفة المراجعة الداخلية ليشمل نطاقاً أوسع من الوظائف التنظيمية إذا ما أُريد للمراجعين الداخليين تقديم خدمات ذات قيمة مضافة لأصحاب المصلحة.

أما دراسة (Elmghaamez and Ntim,(2016) فتناولت فعالية ضوابط الحوكمة الداخلية، مع التركيز بشكل خاص على المهارات والتحديات التي تواجه المراجعين الداخليين العاملين في 6 مصارف و 3 شركات تأمين مدرجة في سوق الأوراق المالية الليبية. وباستخدام عينة مكونة من 41 مراجعاً داخلياً، تبحث هذه الدراسة ما إذا كان لدى المراجعين الداخليين المهارات الكافية لتنفيذ وظيفة المراجعة الداخلية بفعالية. وتشمل هذه المهارات أربعة مجالات رئيسية، وهي: المهارات المهنية، والمهارات الشخصية، والمهارات الفنية، ومهارات المراجعة. أظهرت النتائج أن المراجعين الداخليين في ليبيا لديهم مهارات محدودة، بما في ذلك مهارات التحدث أمام الجمهور ومهارات العرض والتقديم. بالإضافة إلى ذلك، لديهم مهارات محدودة في تدقيق تكنولوجيا المعلومات و مهارات إعداد التقارير المالية الدولية.



وهدفت دراسة خلاط وموسى (2018) إلى معرفة وتحديد العوامل التي تفسر ضعف وظيفة المراجعة الداخلية في مواجهة والحد من ظاهرة الفساد المالي والإداري في المؤسسات الليبية، عن طريق توزيع 72 استبانة على مراجعي ديوان المحاسبة العاملين بالإدارة العامة وفرع طرابلس، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك مجموعة من العوامل التنظيمية والإدارية والقانونية والشخصية (كضعف الاستقلالية والكفاءة وعدم وجود معايير وإرشادات محلية تنظم عمل المراجعة الداخلية) وراء ضعف دور المراجعة الداخلية في اكتشاف الفساد المالي والإداري والحد منه في المؤسسات الليبية. وجاءت دراسة خلاط وآخرون (2023) إلى التعرف على بعض معايير المراجعة الداخلية الدولية والمتمثلة في الاستقلالية والموضوعية والكفاءة المهنية لدى موظفي إدارة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الليبية عن طريق توزيع (34) استبانة على إدارات المراجعة الداخلية وبعض الإدارات الخاضعة لتقييم المراجع الداخلي في الإدارات العامة للمصارف، أظهرت نتائج الدراسة أن إدارة المراجعة الداخلية بالمصارف التجارية العامة تتمتع بالاستقلالية الكافية والموضوعية اللازمة ، وتتوفر فيها الكفاءة المهنية والفنية لدى موظفيها.

وفي دراسة (2023) Ikryim and Boumedien والتي هدفت إلى تقييم أداء المراجعة الداخلية في المصارف الليبية، وتحديد دور المعلومات الديموغرافية في تقييم أداء المراجعة الداخلية في البنوك الليبية، من خلال اتباعها لمنهج وصفي تحليلي وتوزيع 350 استبانة على المصارف الليبية، أظهرت نتائج الدراسة أن الاستقلالية والفعالية والقدرة على التخطيط لوظيفة المراجعة الداخلية مرتفعة، وأنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الجنس، والمؤهل العلمي، وعدد المراجعين الداخليين في القسم، والخبرة العملية، والتخصص الوظيفي، وتقييم أداء دور المراجع الداخلي، مع وجود علاقة ذات دلالة إحصائية ، بين العمر وتقييم أداء المراجع الداخلي.

وفي دراسة امهلهل وفرج (2025) والتي هدفت إلى تقييم فاعلية إجراءات المراجعة الداخلية بالمصارف التجارية الليبية في ظل المعايير الدولية للمراجعة الداخلية، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي وتوزيع 56 استبيان على موظفي أقسام المراجعة الداخلية بالمصارف التجارية الليبية



في مدينة سرت، وأظهرت نتائج الدراسة إن اجراءات المراجعة الداخلية بالمصارف عينة الدراسة تتسم بمستوى مقبول من الفاعلية وتتوافق بحد متوسط مع الضوابط والمعايير الدولية للمراجعة الداخلية. وتناولت دراسة (Khanam (2024) أثر استقلالية المدققين وكفاءتهم ودعم الإدارة على فعالية المراجعة الداخلية ، وتم جمع البيانات من خلال توزيع 152 استبياناً من إجمالي 43 مصرفاً تجارياً مملوكاً للقطاع الخاص وستة مصارف تجارية مملوكة للدولة في بنغلاديش. وأظهرت النتائج أن المراجعين الداخليين الذين يتمتعون باستقلالية أكبر، أي أن لديهم حرية الإفصاح عن أي نتائج مراجعة والامتناع عن أي أنشطة غير أخلاقية يمكنهم ضمان نظام مراجعة داخلي فعال في المصارف. وبالمثل، فإن المصارف التي يمكنها ضمان جودة أعلى في نظام المراجعة من خلال الامتثال للقوانين واللوائح، وتقييم المخالفات، وتوفير ضمانات بشأن إجراءات المراقبة السليمة، أظهرت فعالية أكبر في المراجعة الداخلية .

3. ما يميز الدراسة

تتميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بتقييم أوجه القصور في وظيفة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الليبية باعتمادها على تحليل محتوى تقارير ديوان المحاسبة الليبي خلال الفترة (2011-2024) وذلك لتقييم استقلالية وموضوعية وظيفة المراجعة الداخلية وكفاءة المراجعين الداخليين ومدى تطبيقهم لمنهج منظم ومنضبط اثناء تأديتهم لعملهم .

4. مشكلة الدراسة

تعاني ليبيا كغيرها من كثير من الدول النامية من تفشي ظاهرة الفساد فيها إذ جاءت من ضمن الدول العشر الأكثر فساداً في العالم، وحصلت على 13 نقطة من 100 نقطة وفقاً لمؤشر مدركات الفساد (CPI,2025).

ونظراً لكثرة حالات الغش والفساد في المصارف التجارية الليبية والتي رصدتها ديوان المحاسبة الليبي من خلال تقاريره السنوية من 2011 وحتى 2024 سواء كانت ناتجة عن ضعف نظام الرقابة الداخلية أو الحوكمة أو ادارة المخاطر بالمصارف.



- وتعد وظيفة المراجعة الداخلية مسؤولة بصفقتها خط الدفاع الثالث في هذه المصارف عن تقييم (إدارة المخاطر والحوكمة والرقابة الداخلية) وللتأكد من قيام وظيفة المراجعة الداخلية بهذا الدور علينا تقييم هذه الوظيفة من خلال الإجابة عن التساؤل الرئيس الآتي:-
- ما هي أوجه قصور وظيفة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الليبية.
 - ويتفرع من التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية الآتية:-
 - ماهي أوجه القصور المتعلقة باستقلالية وموضوعية وظيفة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الليبية .
 - ماهي أوجه القصور المتعلقة بكفاءة وظيفة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الليبية
 - ماهي أوجه القصور المتعلقة بتطبيق منهج منظم منضبط في أداء عمل وظيفة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الليبية .

5. اهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تقييم وظيفة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الليبية من خلال تحليل محتوى تقارير ديوان المحاسبة الليبي للفترة (2011-2024) وذلك لتقييم استقلالية وموضوعية المراجعة الداخلية وكفاءة المراجعين الداخليين ومدى تطبيقهم منهجاً منضبطاً أثناء تأديتهم لعملهم .

6. اهمية الدراسة

تبع اهمية الدراسة من أهمية تقييم وظيفة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الليبية بصفقتها خط الدفاع الثالث في المصارف ونشاط تأكيدي واستشاري لتقييم وتحسين عمليات الحوكمة وإدارة المخاطر والرقابة الداخلية. ونظراً لكثرة حالات الغش والفساد في المصارف التجارية الليبية والتي ظهرت في تقارير ديوان المحاسبة الليبي خلال الفترة (2011-2024) فإن هذا التقييم يبين أوجه قصور وظيفة المراجعة الداخلية، وبالتالي اقتراح التوصيات لأجل تحسين فعالية هذه الوظيفة في المصارف التجارية الليبية.

7. حدود الدراسة

- شملت الدراسة تحليل محتوى تقارير ديوان المحاسبة الليبي خلال الفترة (2011-2024) والمتوفرة إلكترونياً على موقع الديوان ، إلا أن وعند الرجوع للتقارير تم استبعاد التقارير الآتية :-
- تقرير سنة 2011 لأنه تقرير استثنائي بسبب ثورة 17 فبراير .
 - تقرير سنة 2012 لم يتطرق التقرير إلى قطاع المصارف في ليبيا .
 - تقرير سنة 2013 لم يتطرق التقرير إلى إدارة المراجعة الداخلية .
 - تقرير سنة 2014 لم يتطرق التقرير إلى إدارة المراجعة الداخلية.
 - تقرير سنة 2016 لم يتطرق التقرير إلى إدارة المراجعة الداخلية.

8. منهج الدراسة

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي والذي يعطي صورة واضحة عن الظاهرة التي يرغب الباحث بجمع البيانات عنها (النجار وآخرون، 2018) وتم تحليل محتوى تقارير ديوان المحاسبة الليبي للسنوات (2011-2024) بالتركيز على قطاع المصارف التجارية الليبية وتتبع ملاحظات الديوان عن أوجه قصور استقلالية موضوعية وظيفة المراجعة الداخلية بالإضافة إلى كفاءة المراجعين الداخليين ومدى ممارستهم لمنهج منظم منضبط في أداء عملية المراجعة الداخلية، وذلك للوصول لتقييم أوجه قصور هذه الوظيفة ومن ثم الخروج بتوصيات لتحسين فعاليتها في المصارف الليبية.

9. الإطار النظري

تتضمن أهداف ونطاق وظائف المراجعة الداخلية عادة في أنشطة تأكيدية واستشارية تهدف إلى تقييم وتحسين فاعلية آليات الحوكمة وإدارة المخاطر والرقابة الداخلية في المؤسسة (IFAC, 2025). وتعزز وظيفة المراجعة الداخلية قدرة المؤسسة على خلق القيمة وحمايتها والحفاظ عليها من خلال تزويد مجلس الإدارة والإدارة بتأكيدات موضوعية ومستقلة ومبنية على المخاطر وبمشورة ونظرة مستقبلية ومتبصرة (IIA, 2024).

ووفقاً لقانون المصارف في ليبيا رقم (1) لسنة 2005 والمعدل بالقانون رقم (46) لسنة 2012 في المادة (83) منه، بأن على كل مصرف أن تكون له إدارة مراجعة داخلية، تكون تبعيتها



لمجلس إدارة المصرف مباشرةً، ويعيّن مديرها بقرار من المجلس، بناءً على اقتراح من رئيسه أو اثنين من أعضائه. ويتولى المجلس تحديد اختصاصات هذه الإدارة، على أن يكون من بينها ما يلي:

- مراجعة وتدقيق الأعمال اليومية للمصرف.

- إعداد تقرير دوري، ربع سنوي، عن أعمالها، يقدم إلى مجلس إدارة المصرف.

- التنسيق بين إدارة المصرف ومراجعيه الخارجيين.

وكذلك اصدر مصرف ليبيا المركزي المنشور رقم (6) لسنة 2022 بشأن ضوابط تولي وظيفة مدير إدارة المراجعة الداخلية ونوابهم في المصارف بخصوص عدة إدارات منها إدارة المراجعة الداخلية. بأن يتم تعيينها وإقالتها من قبل مجلس إدارة المصرف وأن يكون شاغل الوظيفة متحصل على مؤهل جامعي وعنده خبرة 5 سنوات في عمل المراجعة الداخلية في إحدى المصارف. وأن يكون متحصل على شهادات مهنية معتمدة في تخصصه.

وتكون وظيفة المراجعة الداخلية أكثر فعالية في المؤسسات عندما (IIA,2024):

- يتم تنفيذ عملها من قبل متخصصين اكفاء بما يتوافق مع المعايير العالمية للمراجعة الداخلية والتي يتم وضعها لتحقيق المصلحة العامة .

- يتم وضع وظيفة المراجعة الداخلية ضمن الهيكلية بشكل مستقل مع المساءلة المباشرة أمام مجلس الإدارة.

- لا يتعرض المدققون الداخليون للتحيز والتأثير غير المبرر، ويكونون ملتزمين بأجراء تقييمات موضوعية.

وتشمل المواقف التي قد تؤدي إلى إعاقة الاستقلالية والموضوعية لوظيفة المراجعة الداخلية ما يلي (المعايير العالمية للتدقيق الداخلي، 2024):

- افتقار الرئيس التنفيذي للمراجعة الداخلية إلى التواصل المباشر أو التفاعل مع مجلس الإدارة.

- تحاول الإدارة الحد من نطاق خدمات وظيفة المراجعة الداخلية التي تمت الموافقة عليها مسبقاً من قبل مجلس الإدارة والموثقة في ميثاق المراجعة الداخلية.



- تحاول الإدارة تقييد الوصول إلى البيانات والسجلات والمعلومات والموظفين والممتلكات المادية المطلوبة لأداء خدمات المراجعة الداخلية.
- تضغط الإدارة على المراجعين الداخليين لقمع أو تغيير نتائج المراجعة الداخلية.
- يتم تخفيض ميزانية وظيفة المراجعة الداخلية إلى مستوى يجعل الوظيفة غير قادرة على الوفاء بمسؤولياتها على النحو المبين في ميثاق المراجعة الداخلية.
- يتم تنفيذ مهمة التأكيد من قبل وظيفة المراجعة الداخلية أو تحت إشراف الرئيس التنفيذي للمراجعة في مجال وظيفي والذي يكون فيه الرئيس التنفيذي للمراجعة مسؤولاً أو يشرف عليه أو يكون قادراً على ممارسة تأثير كبير.
- قيام المراجعة الداخلية بتقييم أنشطة محددة والتي كانوا مسؤولين عنها في السابق.
- وتشير كفاءة وظيفة المراجعة الداخلية إلى تحصيل المعرفة والمهارات الخاصة بالوظيفة ككل والحفاظ عليها بالمستوى المطلوب، للتمكن من تنفيذ المهام المسندة بعناية ووفقاً للمعايير المهنية المنطبقة. وتتضمن العوامل التي قد تؤثر على تحديد المراجع الخارجي لهذا الأمر ما يلي (IFAC, 2025):
- ما إذا كانت وظيفة المراجعة الداخلية تغطي بموارد كافية ومناسبة تتناسب مع حجم المنشأة وطبيعة عملياتها.
- ما إذا كانت هناك سياسات موضوعة لتوظيف وتدريب وتكليف المراجعين الداخليين للقيام بارتباطات المراجعة الداخلية.
- ما إذا كان المراجعون الداخليون قد حصلوا على تدريب فني كاف ويحظون بالبراعة الفنية الكافية في المراجعة. وقد تشمل
- الضوابط ذات الصلة التي يمكن أن يأخذها المراجع الخارجي في الحسبان عند تقييم ذلك، على سبيل المثال، امتلاك المراجعين الداخليين للمؤهلات والخبرات المهنية الملائمة.
- ما إذا كان لدى المراجعين الداخليين المعرفة المطلوبة فيما يتعلق بالتقرير المالي للمنشأة وإطار التقرير المالي المنطبق الخاص بها، وما إذا كانت وظيفة المراجعة



الداخلية لديها المهارات اللازمة) على سبيل المثال، المعرفة الخاصة بالصناعة) لتنفيذ الأعمال المتعلقة بالقوائم المالية للمنشأة.

- ما إذا كان المراجعون الداخليون أعضاءً في الهيئات المهنية ذات الصلة التي تلزمهم بالالتزام بالمعايير المهنية ذات الصلة، بما في ذلك متطلبات التطوير المهني المستمر. أما أداء العمل وفقاً لمنهج منظم ومنضبط فيطلب بأن يقوم المراجعون الداخليون بتخطيط المهام بشكل فعال وجمع المعلومات وتقديم التأكيدات بشأن عمليات الحوكمة وإدارة المخاطر والرقابة الداخلية، وإجراء أعمال المهمة لتطوير النتائج والاستنتاجات (تقرير المراجع) ومتابعة الملاحظات، والتعاون مع الإدارة لتحديد التوصيات وخطط العمل التي تعالج النتائج والتواصل مع الإدارة والموظفين المسؤولين عن النشاط تحت المراجعة طوال فترة المهمة وبعد إنتهائها (المعايير العالمية للتدقيق الداخلي، 2024).

10. الدراسة العملية :

لتقييم وظيفة المراجعة الداخلية في قطاع المصارف التجارية الليبية تم تحليل محتوى تقارير ديوان المحاسبة الليبي خلال الفترة (2011-2024) وتفرغها في الجدول الآتي :



جدول رقم (1) أوجه قصور وظيفة المراجعة الداخلية

السنة	أوجه قصور وظيفة المراجعة الداخلية
2011	- التقرير استثنائي بسبب ثورة 17 فبراير .
2012	- لم يتطرق التقرير إلى قطاع المصارف في ليبيا .
2013	- لم يتطرق التقرير إلى إدارة المراجعة الداخلية .
2014	- لم يتطرق التقرير إلى إدارة المراجعة الداخلية.
2015	- عدم تفعيل دور المراجعة الداخلية . - قصور الأداء الوظيفي لإدارة المراجعة الداخلية. - غياب المتابعة والتدقيق لمذكرات التسوية لحساب الإدارة العامة وإدارة فروع منطقة مصراته والجبيل الاخضر . - عدم تمرير العمل اليومي على المراجع الداخلي لبعض الفروع . - ضعف المتابعة والتدقيق للتسهيلات الائتمانية حيث تبين أن اغلبها منتهية الصلاحية.
2016	- لم يتطرق التقرير إلى إدارة المراجعة الداخلية.
2017	- قيام المراجع الداخلي للعديد من الاعمال الاخرى بالإضافة إلى عمله كمراجع مثل مسك سجل الاعتمادات واتمام بعض العمليات المصرفية الأخرى وخاصة المتعلقة بالحسابات الجارية والاعتمادات المستندية.
2018	- غياب دور إدارة المراجعة الداخلية فيما يتعلق بعملية شراء السندات وتتبع مراحلها المختلفة بما يضمن حماية أصول المصرف حيث تتم عمليات شراء السندات دون مرورها على إدارة المراجعة وذلك لمراجعتها والتصديق عليها. - لم يتبين وجود أية تقارير استثنائية أو نوعية لإدارة المراجعة الداخلية تنبه عن حجم المخاطر التي يتعرض لها المصرف وبالأخص مخاطر الاستثمار في السندات غير المدرجة وذات



السنة	أوجه قصور وظيفة المراجعة الداخلية
	الاكتتاب الخاص خاصة وأن بعض منها يعتبر دون التصنيف المعتمد والبعض الآخر لا يحمل أي تصنيف . - قصور في أداء المراجع لبعض إدارات وفروع وعدم قيامه بإعداد تقارير بأهم الملاحظات عن سير العمل خلال سنة 2018. الأمر الذي يشير إلى قصور كبير وواضح في أداء مكاتب المراجعة فعلاً عن كونه خلل واضح في اجراءات الرقابة الداخلية. - عدم توفير بعض فروع ووكالات المصرف مراجع داخلي بها وهو ما يعني اغفال و اهمال جانب هام من الضبطية والتدقيق الأمر الذي يشكل خطراً على أموال المودعين. - تدني مستوى أداء ادارة المراجعة في القيام بمهامها وفق الوصف الوظيفي لعدم وجود رؤساء لمكاتب المراجعة بإدارات بعض فروع وبعض المناطق بالرغم من أهمية هذه الوظيفة في زيادة احكام الرقابة والترشيد وانجاز في العمل وفق الوصف الوظيفي. - تقصير بعض الفروع في أداء الدورة المستندية بالطريقة السليمة وتمريضها لمعاملات دون احالتها إلى مكتب المراجعة للتحقق منها ومدى تطابقها مع إجراءات نظام الرقابة الداخلية. - تقصير أغلب فروع المصرف وعدم الإهتمام بالملاحظات والتوصيات الصادرة عن المراجع الداخلي وتكرار هذه الملاحظات في تقاريره . - النقص في عدد المراجعين الداخليين من حيث العدد ونسبة توزيعهم على وكالات وفروع المصرف. - ضعف مؤهلات بعض المراجعين حيث تبين عدد 52 مراجعاً يحملون مؤهلات الشهادة الثانوية وأن عدد 89 مراجعاً يحملون مؤهل دبلوم متوسط ووجود 19 مراجعاً يحملون مؤهل شهادة اعدادية وعدد 2 مراجعين يحملون مؤهل ابتدائي . - عدم إلمام اغلب المراجعين بالمنظومة المصرفية وذلك لمتابعة الحركات اليومية والعمليات المصرفية والذي انعكس سلباً على اداء وفعالية إدارة المراجعة الداخلية بالمصرف، مما نتج عنه ارتفاع معدل عمليات التزوير والاختلاسات والتجاوزات ذات المخاطر المرتفعة.



السنة	أوجه قصور وظيفة المراجعة الداخلية
	- ضعف التقارير الشهرية المعدة من قبل المراجعين المتواجدين بالوكالات وفروع المصرف حيث كانت تقارير نمطية تحتوي على ملاحظات متكررة ترحل دون اهتمام أو جدية من الإدارة التنفيذية لمعالجتها وحيث كانت التقارير لا تشمل العمليات المصرفية اليومية المنفذة على حساب الإدارة العامة طرف الفرع والعكس. - غياب دور المراجع الداخلي بالفروع والوكالات التابعة لمصرف الجمهورية بفحص ومتابعة وتقييم للمبالغ المعلقة. - افتقار التقارير الشهرية المعدة من قبل المراجعين الداخليين لعمليات مراجعة الاقسام داخل الفروع والوكالات ومنها قسم الحوالات وقسم المقاصة الإلكترونية وفق الاختصاصات والمهام المسندة لهم والوقوف على أوجه القصور والضعف اثناء تنفيذ العمليات المصرفية والتنبية عنها في حينها وللاخذ بمبدأ الحيطة والحذر لتجنب المصرف تنفيذ عمليات مصرفية تعد في بعض الاحيان مخالفة للقانون رقم 1 لسنة 2005 والمعدل بالقانون رقم 46 لسنة 2012 والمناشير الصادرة من الإدارة التنفيذية لمصرف الجمهورية. - قصور في اداء معظم المراجعين المتواجدين بالفروع والوكالات للمصرف عند اعدادهم للتقارير الشهرية والطائرة لوقائع التزوير والاختلاس . حيث تبين أن جل التبليغات يتم اعداد التقارير بها واحالتها إلى مجلس الإدارة والإدارة التنفيذية بعد حدوثها وتنفيذها مخالفاً للمهام والاختصاصات المسندة إلى إدارة المراجعة الداخلية التي تعتبر في واقع الأمر هي صمام الأمان لسير العمليات المصرفية وفقاً للقوانين والمناشير الصادرة عن مصرف ليبيا المركزي والإدارات التنفيذية بالمصرف. من خلال مراجعة وتدقيق كافة العمليات المصرفية (مراجعة مصاحبة) ويعتبر المراجع الداخلي المسؤول الأول عن المخالفات المالية التي وقعت في العديد من المرات في الفروع والوكالات التابعة لمصرف الجمهورية خلال السنوات الماضية. - تقصير إدارة المراجعة والتدقيق الشرعي في أداء مهامها المناطة بها في التأكد من قيام المصرف بأعماله وفقاً للضوابط وغياب دورها في تدقيق العمليات المصرفية داخل فروع



السنة	أوجه قصور وظيفة المراجعة الداخلية
	وإدارات المصرف في الوقت الذي اجاز لها القانون ايقاف كل ما يتعارض من عمليات وإجراءات مع الشروط والاجراءات المنظمة لعمل الصيرفة الاسلامية. - قيام إدارة المصرف التجاري مؤخراً بسحب المراجعين الداخليين من الفروع ووكالات المصرف وتعيين مراقبين للعمليات يتبعون الإدارة التنفيذية واقتصار دور إدارة المراجعة الداخلية على جولات نصف سنوية لفروع ووكالات المصرف بدلاً من المراجعة اليومية لعمليات المصرف الأمر الذي يعد مخالفة لقانون المصارف رقم (1) لسنة 2005 م والمعدل بالقانون رقم 46 لسنة 2012 في المادة 81 والتي تنص على (على كل مصرف أن تكون له ادارة مراجعة داخلية تكون تتبعيتها لمجلس إدارة المصرف مباشرة ويعين مديرها بقرار من المجلس ويتولى المجلس تحديد اختصاصات الإدارة . - غياب تطبيق معايير المراجعة الداخلية والمتمثلة في الحيادية الاستقلالية والموضوعية. - عدم وجود نظام تقييم أو معايير لتقييم عمل المراجعين الداخليين وتتبع اعمالهم وجودة التقارير الصادرة عنهم. - عدم وجود نظام لتتبع العمليات المصرفية التي يقوم بها العاملين بالمصرف على المنظومات المصرفية لتسهيل العمل على المراجع الداخلي في مراقبة هذه العمليات ومعالجتها ومعرفة الانحرافات والاختراقات التي قد تحدث. - وجود قصور من مصرف ليبيا المركزي في متابعة وتفعيل نظام المراجعة الداخلية بالمصرف. - عدم قيام إدارة المراجعة الداخلية بمراجعة وتدقيق الأعمال اليومية للمصرف يؤثر بشكل في تتبع الأخطاء ومعالجة الانحرافات بشكل مبكر واكتشافات الاختلاسات والتزوير في الوقت المناسب. - تقصير إدارة المراجعة الداخلية في مراقبة المراجعين التابعين لها وفقدان السيطرة الأمر الذي نتج عنه صعوبة ضمان عدم انحراف المراجعين ومدى مصداقية التقارير الصادرة عنهم .



السنة	أوجه قصور وظيفة المراجعة الداخلية
	- عدم السيطرة على المراجعين إدارياً من قبل إدارة المراجعة في ظل الانتشار الجغرافي الواسع للمصرف. - عدم التجاوب مع إدارة المراجعة الداخلية في محاسبة المقصرين في أداء اعمالهم سواء نتيجة الإهمال أو المتورطين بالتلاعب والاختلاسات بالمصرف. - تدخل المراجعين الداخليين بالمصرف في القيام بالأعمال التنفيذية . - وجود ضعف في كفاءة ومهارات الكوادر البشرية لإدارة المراجعة الداخلية التي تتطلبها اعمال المراجعة الداخلية للمصرف. - عدم قيام إدارة المراجعة الداخلية بالتنسيق بين المراجعين الخارجيين والمصرف حيث ترك الأمر للإدارة التنفيذية وهو ما يعد مخالفاً للفقرة الثالثة من المادة 81 من قانون المصارف رقم 1 لسنة 2005 والمعدل بالقانون 46 لسنة 2012. - تكرار الملاحظات الواردة في تقرير إدارة المراجعة الداخلية دون اتخاذ اجراءات كافية بالخصوص لمعالجة الملاحظات ومخالفة المسؤولين. - ضعف تقرير المراجعين الداخليين واعتمادهم على العمل التقليدي دون اضافة خلال عدة سنوات أثر على جودة تقرير المراجعة الداخلية. - اقتصار تقارير المراجعين الداخليين على عدد من المواضيع دون شمول لكافة العمليات والانشطة والبرامج التي يقوم بها المصرف. - عدم القيام بمتابعة الأخطاء والملاحظات الواردة في تقرير المراجعة الداخلية والتأكد من تصويبها من قبل الإدارة التنفيذية بالمصرف . - وجود قصور في عمل اقسام المراجعة بفروع المصرف بالمنطقة الغربية لعدم قيامها بدور فعال في احكام الرقابة على العمليات المصرفية القائمة بالمصرف. - عدم تمرير مستندات تخص عمليات مصرفية على اقسام المراجعة بالفروع نذكر منها على سبيل المثال (عدم تمرير مستندات فتح حسابات جارية لعملاء المصرف وكذلك عدم تمرير



السنة	أوجه قصور وظيفة المراجعة الداخلية
	الاعتمادات المستندية والمستندات برسم التحصيل) على إدارة المراجعة الداخلية حيث يتم التنفيذ مباشرة من مركز الاعتمادات المستندية والحوالات للفروع الغربية. - عدم تقيد بعض الفروع والإدارات بالرد على المراسلات الموجهة إليهم من قبل إدارة المراجعة. - عدم قيام إدارة المراجعة الداخلية بتدقيق العمليات اليومية للمصرف واعتمادها على المراجعة اللاحقة مما يؤثر على الاكتشاف المبكر للأخطاء والاختلاسات التي قد تحدث الأمر الذي يعد مخالفة للمادة 83 من القانون رقم 1 لسنة 2005 بشأن المصارف، والمعدل بالقانون رقم 46 لسنة 2012 - ممارسة إدارة المراجعة الداخلية بالمصرف للأعمال التنفيذية وخضوعها لقرارات المدير العام. - الملاحظات الواردة في تقرير إدارة المراجعة الداخلية هي عبارة عن بيانات عامة تتمثل في وجود عنصر الخطر من عدمه . - عدم وجود تقارير تفصيلية لأعمال إدارة المراجعة لكافة العمليات التي يقوم بها المصرف واقتصارها على تقارير عامة للمراجعة بالمخاطر . - تدني تقارير المراجعة الداخلية واعتمادها على العمل التقليدي لتقرير المخاطر من عدة سنوات ودون اضافة واضحة تعطي أثر على جودة تقرير إدارة المراجعة الداخلية . - اقتصار تقارير إدارة المراجعة الداخلية على عدد من مواضيع عامة دون شمول لتفاصيل كافة العمليات والأنشطة والبرامج اليومية والتي يقوم بها المصرف . - عدم قيام إدارة المراجعة الداخلية بالمصرف باعتماد نظام المراجعة الإلكترونية لتدقيق العمل اليومي للعمليات المصرفية. - وجود ضعف في كفاءة ومهارات الكوادر البشرية لإدارة المراجعة الداخلية التي تتطلبها اعمال المراجعة للمصرف. - تبين عدم وجود اعضاء للمراجعة الداخلية بفرع المصرف لفترات طويلة بالمخالفة للمادة 81 من القانون 2005 بشأن المصارف.



السنة	أوجه قصور وظيفة المراجعة الداخلية
	- مخالفة المنشور رقم 6 لسنة 2016 الصادر عن مصرف ليبيا المركزي بشأن اختصاصات إدارة المراجعة الداخلية بالمصارف . حيث لوحظ أن مدير إدارة المراجعة والتدقيق الشرعي يشغل وظيفة إدارة الامتثال بالمصرف لفترات طويلة.
2019	- عدم قيام قسم المراجعة الداخلية بمتابعة السياسات الائتمانية للمساهمات والتأكد من نجاعتها واحتوائها على كل الضوابط والشروط التي توفر الحماية الكافية لقروض المساهمات وتسهيلاتهما وتساعد في الحصول على الضمانات الكافية لاسترجاعها. - تكليف مدير إدارة المراجعة الداخلية عن طريق مدير إدارة الموارد البشرية
2020	- التأخر في اعداد تقرير المراجعة الداخلية عن الربع الرابع لسنة 2019 والربع الأول والثاني لسنة 2020. - تأخر إدارة المراجعة الداخلية في اعداد التقارير الدورية عن نشاط المصرف وعرضها على مجلس الإدارة وبالأخص تقرير الربع الرابع لسنة 2020. - ضعف التقارير الدورية لإدارة المراجعة الصادرة عن المراجعين الداخليين لأغلب الفروع . - عدم تناسب مؤهلات وتخصصات المراجعين الداخليين بالإدارة العامة والفروع التابعة للمصرف للوظائف الشاغلة لها. - عدم قدرة المراجعين بالفروع على اكتشاف الاختراقات الخارجية على وحدة بيانات المصرف. - عدم التحقق من كل عملية تحدث على حسابات العملاء . - لا توجد لدى إدارة المراجعة الداخلية قائمة لمستخدمي قواعد البيانات . - تقصير المراجعين بالفروع في متابعة الحسابات الوسيطة في الفروع والتي تتزايد بشكل مفاجئ. - عدم قيام مراجعي الفروع بمراجعة عمليات تصنيف الديون بالفروع ومتابعة المخصصات المقترحة من قبل اللجنة والتأكد من كفايتها حسب مناشير مصرف ليبيا المركزي. - عدم قيام إدارة المراجعة (قسم متابعة تقنية المعلومات) بمراجعة الدخول المباشر على قواعد البيانات من قبل مستخدمي النظام ومطابقتها لملف الصلاحيات .



السنة	أوجه قصور وظيفة المراجعة الداخلية
	- عدم قيام إدارة المراجعة (قسم متابعة تقنية المعلومات) بمراجعة آلية منح وتداول تخويلات المستخدمين بالإدارات والفروع . - عدم دقة المراجعين الداخليين بالفروع في متابعة محاضر الجرد (دون التأكد من عمليات الاحتساب أو دون التأكد من اثبات الفروقات التي ظهرت بالعجز لبعض محاضر الجرد. - تقصير إدارة المراجعة الداخلية قسم التدقيق الشرعي في متابعة الإدارات المعنية في مدى الالتزام بالقانون رقم 1 لسنة 2013 بشأن منع المعاملات الربوية وذلك لاستمرار المنظومات المصرفية في احتساب الفوائد بعد سنة 2015.
2021	- ضعف استقلالية إدارة المراجعة الداخلية من الناحية الهيكلية بالمصرف حيث تقع تحت سلطة المدير العام. - تقارير المراجعة الداخلية لسنة 2021 لا تصدر بشكل دوري حسب خطة المراجعة السنوية الموضوعة . - اغفال خطة المراجعة الداخلية لأنشطة ذات مخاطر مرتفعة. - وجود فارق زمني مبالغ فيه يصل لأكثر من 6 شهور أحياناً بين الفترة التي يغطيها التقرير وحالته للإدارة المعنية بالملاحظات لتصحيحها أو الرد عليها مع حدوث هذا التأخير بشكل متكرر. - عدم توفر العدد المؤهل الكافي للمراجعين بالرغم من وجود احتياج بإدارة المراجعة الداخلية أو الفروع وإدارات المصرف . - اهمال أغلب إدارات المصرف وعدم اهتمامها بمعالجة الملاحظات والأخذ بالتوصيات الصادرة عن إدارة المراجعة الداخلية. وتكرار الملاحظات في أغلب تقارير المراجعين الداخليين . - التقصير في متابعة مدى امتثال المصرف والالتزامه بالمعايير التي تحكم العمل المصرفي اليومي - نقص الكادر الوظيفي بإدارة المراجعة الداخلية. وقلة عدد المراجعين بالفروع وعدم وجود مراجعين داخليين بإدارات المنطقة الغربية.



السنة	أوجه قصور وظيفة المراجعة الداخلية
	- ضعف تقارير إدارة المراجعة حيث ولحظ تكرار الملاحظات الواردة في التقرير وتأخر بعض مراجعي الفروع بإحالة تقاريرهم الشهرية بنتائج متابعة العمل المصرفي بالإضافة إلى افتقارها للنتائج والتوصيات . - قصور في أداء المراجعين بالفروع والوكالات وضعف تقاريرهم الشهرية والطارئة لوقائع الاختلاس والتزوير . حيث لوحظ بأن جل التبليغات يتم اعداد التقارير بها واحالتها لمجلس الإدارة بعد حدوث عمليات الاختلاس والتزوير بفترة طويلة. - عدم قيام المراجعين بالفروع والوكالات بالتأكد من مدى سلامة الضوابط التشغيلية ومدى فعاليتها وذلك فيما يتعلق بتداول الأرقام السرية بين الموظفين الأمر الذي ترتب عليه حدوث عمليات اختلاس من قبل الموظفين باستخدام الارقام السرية لزملائهم بالمصرف . - تبين أن بعض الفروع لا يوجد بها مراجعين . - عدم قيام قسم المراجعة بالجرد المفاجئ للخزائن. - ايقاف مراجع داخلي بالفروع من قبل إدارة الفروع بالمنطقة من شهر 2020/6 دون تكيف بديل للقيام بالمهمة. - غياب المتابعة والتدقيق لمذكرات التسوية مع إدارة الفروع. - عدم قيام قسم المراجعة بالجرد المفاجئ للخزائن. - قلة عدد المراجعين الداخليين على مستوى المصرف بشكل عام . - تم اتباع اسوب المراجعة المبنية على المخاطر بالرغم من عدم قيام إدارة المخاطر بإعداد وتبني مصفوفة للمخاطر .
2022	- عدم وجود خطة معتمدة من إدارة المراجعة الداخلية لسنة 2022 - عدم ايلاء الجانب التدريبي بالمصرف للعاملين في إدارة المراجعة الداخلية . - لا يوجد لدى اغلب المراجعين بالفروع والإدارات مكتب وأجهزة مستقلة. - ليس لدى المراجعين الداخليين القدرة على التعامل مع المنظومات المصرفية .



السنة	أوجه قصور وظيفة المراجعة الداخلية
	- ضعف تقارير مراجعي الفروع فقد اعتمدت اغلبها على سرد قيم بنود دون تحليلها وبحث أسباب وجودها وعدم تسويتها. - التأخر في احالة التقارير الربع سنوية إلى المراجعة بالإدارة العامة .
2023	- تأخر مكتب المراجعة في اعداد التقارير الربع سنوية . - عدم قيام إدارة المراجعة بمهامها على أكمل وجه (التعيينات العشوائية للموظفين دون وضع معايير لها). - عدم المتابعة الدقيقة لنشاط المصرف وفروعه اليومي. حيث تبين وجود حالات اختلاس وتزوير وعجز في الخزينة خلال السنة المالية 2023 تخص سنوات سابقة لم يتم اكتشافها في حينها . - عدم قيام إدارة المراجعة الداخلية بدورها في تعيين مراجعين بعض فروع المصرف أو تعيين بدلاء لمراجعي فروع خرجوا في اجازات . - عدم تقديم مراجعي بعض فروع المصرف للتقارير الشهرية المكلفين بها. - تأخر إدارة المراجعة في اعداد تقرير الربع الرابع . - تكرار الملاحظات التي تم رصدها من قبل المراجعين في الفروع دون اتخاذ اجراءات لتسويتها. - نقص الكادر الوظيفي في قسم المراجعة الداخلية ببعض الفروع . - عدم وجود دليل عمل واضح لإدارة عمل المراجعة الداخلية. - تأخر إدارة المراجعة الداخلية في تحويل تقاريرها الربع سنوية لمجلس الإدارة - وجود تضارب واختلاف بين البيانات والمعلومات الموجودة في تقرير إدارة المراجعة مع تقارير إدارة الفروع الأمر الذي يشير إلى الضعف والقصور في اعداد التقارير .
2024	- قيام المدير العام للمصرف بإعارة او نذب موظفي المراجعة الداخلية. - ضعف إدارة المراجعة مما أدى إلى لعدم الالتزام باللوائح والقوانين.



السنة	أوجه قصور وظيفة المراجعة الداخلية
	- ضعف عمليات المراجعة (عدم وجود آراء رقابية على ملف التمويل) على ملف التمويل قبل منحه. - تدني جودة التقارير الصادرة عن إدارة المراجعة الداخلية وعدم شموليتها لكافة المخاطر والجوانب الرقابية الجوهرية، فضلاً عن محدودية التحليل وعدم تقديم توصيات تصحيحية فعالة. - افتقار مكتب المراجعة الداخلية إلى عنصر الاستقلالية في ظل استمرار تبعية المكتب للإدارة التنفيذية. - ضعف وتدني أداء مكتب المراجعة الداخلية مقارنة بالاختصاصات المسندة إليه. مع تكرار نفس الملاحظات في التقارير المعدة كل 3 اشهر . - قصور وإهمال مكتب المراجعة الداخلية في تقديم ملاحظات عن سير عمل الفروع التابعة للمصرف خلال الفترات الربع سنوية. بالأخص متابعة الفروع في النشاط الائتماني من قروض متعثرة ومقترضين متقاعسين عن سداد الالتزامات المترتبة عليهم والوقوف على اوضاعها القانونية . - عدم قيام مكتب المراجعة بإجراء قراءة مالية للقوائم المالية وذلك من خلال القيام بالتحليل المالي لبنود المركز المالي .

يبين الجدول رقم (1) أن هناك أوجه قصور عديدة في وظيفة المراجعة الداخلية بالمصارف التجارية الليبية سواء كانت في ضعف استقلالية وموضوعية وظيفة المراجعة الداخلية أو في ضعف كفاءة إدارات وموظفي المراجعين الداخليين أو ضعف في أداء العمل مما تسبب في عدم امتثال أعمال المصارف للأنظمة والقوانين المصرفية أو كثرة عمليات الاختلاس.

ولتقييم أوجه قصور استقلالية وموضوعية وظيفة المراجعة الداخلية في قطاع المصارف الليبية تم تحليل محتوى تقارير ديوان المحاسبة الليبي خلال سنوات الدراسة وتفرغها في الجدول الآتي :

جدول رقم (2) تقييم أوجه قصور استقلالية وموضوعية وظيفة المراجعة الداخلية



التقرير	أوجه القصور استقلالية موضوعية وظيفية المراجعة الداخلية
2015	- عدم تمرير العمل اليومي على المراجع الداخلي لبعض الفروع .
2017	- قيام المراجع الداخلي للعديد من الاعمال الأخرى بالإضافة إلى عمله كمراجع مثل مسك سجل الاعتمادات واتمام بعض العمليات المصرفية الأخرى وخاصة المتعلقة بالحسابات الجارية والاعتمادات المستندية.
2018	- تقصير بعض الفروع في أداء الدورة المستندية بالطريقة السليمة وتمريرها لمعاملات دون إحالتها إلى مكتب المراجعة للتحقق منها ومدى تطابقها مع اجراءات نظام الرقابة الداخلية . - غياب تطبيق معايير المراجعة الداخلية والمتمثلة في الحيادية الاستقلالية والموضوعية. - تقصير اغلب فروع المصرف وعدم الاهتمام بالملاحظات والتوصيات الصادرة عن المراجع الداخلي وتكرار هذه الملاحظات في تقاريره . - قيام إدارة المصرف التجاري مؤخراً بسحب المراجعين الداخليين من الفروع ووكالات المصرف وتعيين مراقبين للعمليات يتبعون الادارة التنفيذية واقتصار دور إدارة المراجعة الداخلية على جولات نصف سنوية لفروع ووكالات المصرف بدلاً من المراجعة اليومية لعمليات المصرف الأمر الذي يعد مخالفة لقانون المصارف رقم (1) لسنة 2005 م والمعدل بالقانون رقم 46 لسنة 2012 في المادة 81 والتي تنص على (على كل مصرف أن تكون له ادارة مراجعة داخلية تكون تبعيتها لمجلس ادارة المصرف مباشرة ويعين مديرها بقرار من المجلس ويتولى المجلس تحديد اختصاصات الادارة . - تدخل المراجعين الداخليين في المصرف في القيام بالأعمال التنفيذية . - عدم تمرير مستندات تخص عمليات على اقسام المراجعة بالفروع نذكر منها على سبيل المثال (عدم تمرير مستندات فتح حسابات جارية لعملاء المصرف وكذلك عدم تمرير الاعتمادات



التقرير	أوجه القصور استقلالية موضوعية وظيفية المراجعة الداخلية
	المستندية والمستندات برسم التحصيل على إدارة المراجعة الداخلية حيث يتم التنفيذ مباشرة من مركز الاعتمادات المستندية والحوالات للفروع الغربية. - ممارسة إدارة المراجعة الداخلية بالمصرف للأعمال التنفيذية وخضوعها لقرارات المدير العام. - مخالفة المنشور رقم 6 لسنة 2016 الصادر عن مصرف ليبيا المركزي بشأن اختصاصات إدارة المراجعة الداخلية بالمصارف. حيث لوحظ أن مدير إدارة المراجعة والتدقيق الشرعي يشغل وظيفة ادارة الامتثال بالمصرف لفترات طويلة.
2019	- تكليف مدير إدارة المراجعة الداخلية عن طريق مدير إدارة الموارد البشرية.
2020	- لم يرد في التقرير أي ملاحظات عن الاستقلالية.
2021	- ضعف استقلالية إدارة المراجعة الداخلية من الناحية الهيكلية بالمصرف حيث تقع تحت سلطة المدير العام.
2022	- لا يوجد لدى اغلب المراجعين بالفروع والإدارات مكتب وأجهزة مستقلة.
2023	- لم يرد في التقرير أي ملاحظات عن الاستقلالية
2024	- قيام المدير العام للمصرف بإعارة أو ندب موظفي المراجعة الداخلية. - افتقار مكتب المراجعة الداخلية إلى عنصر الاستقلالية في ظل استمرار تبعية المكتب للإدارة التنفيذية.

يتضح من الجدول رقم (2) أن هناك قصور في استقلالية وموضوعية وظيفية المراجعة الداخلية في المصارف الليبية في فترة الدراسة من خلال عدم تمرير العمل اليومي على المراجع الداخلي والذي يحد من نطاق خدمات المراجعة الداخلية أو الحد من الوصول إلى البيانات أو السجلات أو من خلال تنفيذه للمهام التنفيذية، بالإضافة إلى تكليف مدير المراجعة الداخلية عن



طريق مدير إدارة الموارد البشرية، وضعف استقلالية إدارة المراجعة الداخلية من الناحية الهيكلية بالمصرف حيث تقع تحت سلطة المدير العام، وعدم وجود مكاتب وأجهزة مستقلة لأغلب المراجعين بالفروع والإدارات، وقيام المدير العام للمصرف بإعارة أو ندب موظفي المراجعة الداخلية. ولتقييم أوجه القصور في كفاءة وظيفة المراجعة الداخلية في قطاع المصارف الليبية تم تحليل محتوى تقارير ديوان المحاسبة الليبي خلال سنوات الدراسة وتفرغها في الجدول الآتي :

جدول رقم (3) تقييم أوجه القصور كفاءة وظيفة المراجعة الداخلية

التقرير	أوجه القصور في كفاءة وظيفة المراجعة الداخلية
2015	- لم يرد في التقرير أي ملاحظات عن الكفاءة
2017	- لم يرد في التقرير أي ملاحظات عن الكفاءة
2018	- ضعف مؤهلات بعض المراجعين حيث تبين عدد 52 مراجعاً يحملون مؤهلات الشهادة الثانوية وأن عدد 89 مراجعاً يحملون مؤهل دبلوم متوسط ووجود 19 مراجعاً يحملون مؤهل شهادة اعدادية وعدد 2 مراجعين يحملون مؤهل ابتدائي. - عدم إلمام اغلب المراجعين بالمنظومة المصرفية وذلك لمتابعة الحركات اليومية والعمليات المصرفية انعكس سلباً على أداء وفعالية إدارة المراجعة الداخلية بالمصرف مما نتج عنه ارتفاع معدل عمليات التزوير والاختلاسات والتجاوزات ذات المخاطر المرتفعة. - عدم وجود نظام تقييم أو معايير لتقييم عمل المراجعين الداخليين وتتبع اعمالهم وجودة التقارير الصادرة عنهم. - وجود ضعف في كفاءة ومهارات الكوادر البشرية لإدارة المراجعة الداخلية التي تتطلبها أعمال المراجعة الداخلية للمصرف. - تدني مستوى أداء إدارة المراجعة في القيام بمهامها وفق الوصف الوظيفي لعدم وجود رؤساء لمكاتب المراجعة بإدارات بعض فروع في بعض المناطق بالرغم من أهمية هذه الوظيفة في زيادة احكام الرقابة والترشيد وانجاز في العمل وفق الوصف الوظيفي.



التقرير	أوجه القصور في كفاءة وظيفة المراجعة الداخلية
2019	- لم يرد في التقرير أي ملاحظات عن الكفاءة.
2020	- عدم تناسب مؤهلات وتخصصات المراجعين الداخليين بالإدارة العامة والفروع التابعة للمصرف للوظائف الشاغلة لها. - عدم قدرة المراجعين بالفروع على اكتشاف الاختراقات الخارجية على وحدة بيانات المصرف.
2021	- عدم توفر العدد المؤهل الكافي للمراجعين بالرغم من وجود احتياج بإدارة المراجعة الداخلية أو الفروع وإدارات المصرف . - نقص الكادر الوظيفي بإدارة المراجعة الداخلية. وقلة عدد المراجعين بالفروع وعدم وجود مراجعين داخليين بإدارات المنطقة الغربية. - قلة عدد المراجعين الداخليين على مستوى المصرف بشكل عام. - ضعف أداء وتدني أداء مكتب المراجعة الداخلية مقارنة بالاختصاصات المسندة . مع تكرار نفس الملاحظات في التقارير المعدة كل 3 اشهر .
2022	- عدم ايلاء الجانب التدريبي بالمصرف للعاملين في إدارة المراجعة الداخلية. - عدم قدرة المراجعين الداخليين على التعامل مع المنظومات المصرفية.
2023	- عدم قيام إدارة المراجعة بمهامها على اكمل وجه (التعيينات العشوائية للموظفين دون وضع معايير لها). - نقص الكادر الوظيفي في قسم المراجعة ببعض الفروع .
2024	- ضعف إدارة المراجعة في وظيفة الامتثال للقوانين المصرفية .

يتبين من الجدول رقم (3) أن هناك أوجه قصور عديدة في كفاءة وظيفة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الليبية والتي بينتها تقارير ديوان المحاسبة الليبي خلال فترة الدراسة متمثلة في ضعف مؤهلات المراجعين الداخليين، أو عدم إلمامهم بالمنظومة المصرفية وضعف مهارتهم بالمقارنة لما تتطلبها هذه الوظيفة من كفاءات ومهارات لشغل الوظيفة، وعدم وجود نظام تقييم أو

معايير لتقييم عمل المراجعين الداخليين وتتبع اعمالهم وجودة التقارير الصادرة عنهم. بالإضافة إلى عدم إيلاء الجانب التدريبي بالمصارف للعاملين في إدارة المراجعة الداخلية. وضعفهم للامتثال للقوانين المصرفية لنقص المعرفة والتدريب في هذا الجانب.

ولتقييم أوجه قصور أداء عمل وظيفة المراجعة الداخلية في قطاع المصارف الليبية تم تحليل محتوى تقارير ديوان المحاسبة الليبي خلال سنوات الدراسة وتفرغها في الجدول الآتي:

جدول رقم (4) أوجه القصور في أداء عمل وظيفة المراجعة الداخلية

التقرير	أوجه القصور في أداء عمل وظيفة المراجعة الداخلية
2015	- غياب المتابعة والتدقيق لمذكرات التسوية لحساب الإدارة العامة وإدارة فروع منطقة مصراته والجبل الاخضر. ضعف المتابعة والتدقيق للتسهيلات الائتمانية حيث تبين أن أغلبها منتهية الصلاحية.
2017	- لم يرد في التقرير أي ملاحظات عن أداء وظيفة المراجعة الداخلية.
2018	- غياب دور إدارة المراجعة الداخلية فيما يتعلق بعملية شراء السندات وتتبع مراحلها المختلفة بما يضمن حماية أصول المصرف حيث تتم عمليات شراء السندات دون مرورها على إدارة المراجعة وذلك لمراجعتها والتدقيق عليها. - لم يتبين وجود أية تقارير استثنائية أو نوعية لإدارة المراجعة الداخلية تنبه عن حجم المخاطر التي يتعرض لها المصرف، وبالأخص مخاطر الاستثمار في السندات غير المدرجة وذات الاكتتاب الخاص خاصة وأن بعض منها يعتبر دون التصنيف المعتمد والبعض الآخر لا يحمل أي تصنيف. - قصور في أداء المراجع الداخلي لبعض إدارات وفروع وعدم قيامه بإعداد تقارير بأهم الملاحظات عن سير العمل خلال سنة 2018. الأمر الذي يشير إلى قصور كبير وواضح في أداء مكاتب المراجعة فعلاً عن كونه خلل واضح في إجراءات الرقابة الداخلية.



التقرير	أوجه القصور في أداء عمل وظيفة المراجعة الداخلية
	- تقصير بعض الفروع في أداء الدورة المستندية بالطريقة السليمة وتمريضها لمعاملات دون إحالتها إلى مكتب المراجعة للتحقق منها ومدى تطابقها مع إجراءات نظام الرقابة الداخلية. - تقصير أغلب فروع المصرف وعدم الإهتمام بالملاحظات والتوصيات الصادرة عن المراجع الداخلي وتكرار هذه الملاحظات في تقاريره. - ضعف التقارير الشهرية المعدة من قبل المراجعين الداخليين المتواجدين بالوكالات وفروع المصرف حيث كانت تقارير نمطية تحتوي على ملاحظات متكررة ترحل دون اهتمام أو جدية من الإدارة التنفيذية لمعالجتها وحيث كانت التقارير لا تشمل العمليات المصرفية اليومية المنفذة على حساب الإدارة العامة طرف الفرع والعكس. - غياب دور المراجع الداخلي بالفروع والوكالات التابعة لمصرف الجمهورية بفحص ومتابعة وتقييم للمبالغ المعقولة. - افتقار التقارير الشهرية المعدة من قبل المراجعين الداخليين لعمليات مراجعة الأقسام داخل الفروع والوكالات ومنها قسم الحوالات وقسم المقاصة الإلكترونية وفق الاختصاصات والمهام المسندة لهم والوقوف على أوجه القصور والضعف أثناء تنفيذ العمليات المصرفية والتنبيه عنها في حينها وللاخذ بمبدأ الحيطة والحذر لتجنب المصرف تنفيذ عمليات مصرفية تعد في بعض الأحيان مخالفة للقانون رقم 1 لسنة 2005 بشأن المصارف والمعدل بالقانون رقم 46 لسنة 2012 والمناشير الصادرة من الإدارة التنفيذية لمصرف الجمهورية. - قصور في أداء معظم المراجعين المتواجدين بالفروع والوكالات للمصرف عند إعدادهم للتقارير الشهرية والطائرة لوقائع التزوير والاختلاس. حيث تبين أن جل التبليغات يتم اعداد التقارير بها واحالتها إلى مجلس الإدارة والإدارة التنفيذية بعد حدوثها وتنفيذها. والذي يعتبر مخالفاً للمهام والاختصاصات المسندة إلى إدارة المراجعة الداخلية التي



التقرير	أوجه القصور في أداء عمل وظيفة المراجعة الداخلية
	تعتبر في واقع الأمر هي صمام الأمان لسير العمليات المصرفية وفقاً للقوانين والمناشير الصادرة عن مصرف ليبيا المركزي والإدارات التنفيذية بالمصرف. من خلال مراجعة وتدقيق كافة العمليات المصرفية (مراجعة مصاحبة) ويعتبر المراجع الداخلي المسؤول الأول عن المخالفات المالية التي وقعت في العديد من المرات في الفروع والوكالات التابعة لمصرف الجمهورية خلال السنوات الماضية. - تقصير إدارة المراجعة والتدقيق الشرعي في أداء مهامها المناطة بها في التأكد من قيام المصرف بأعماله وفقاً للضوابط وغياب دورها في تدقيق العمليات المصرفية داخل فروع وإدارات المصرف في الوقت الذي اجاز لها القانون ايقاف كل ما يتعارض من عمليات واجراءات مع الشروط والاجراءات المنظمة لعمل الصيرفة الاسلامية. - عدم وجود نظام تقييم أو معايير لتقييم عمل المراجعين الداخليين وتتبع اعمالهم وجودة التقارير الصادرة عنهم. - عدم وجود نظام لتتبع العمليات المصرفية التي يقوم بها العاملين بالمصرف على المنظومات المصرفية لتسهيل العمل على المراجع الداخلي في مراقبة هذه العمليات ومعالجتها ومعرفة الانحرافات والاختراقات التي قد تحدث. - عدم قيام إدارة المراجعة الداخلية بمراجعة وتدقيق الاعمال اليومية للمصرف، مما أثر في تتبع الاخطاء ومعالجة الانحرافات بشكل مبكر واكتشافات الاختلاسات والتزوير في الوقت المناسب. - تقصير إدارة المراجعة الداخلية في مراقبة المراجعين التابعين لها وفقدان السيطرة الأمر الذي نتج عنه صعوبة ضمان عدم انحراف المراجعين ومدى مصداقية التقارير الصادرة عنهم . - عدم السيطرة على المراجعين إدارياً من قبل إدارة المراجعة في ظل الانتشار الجغرافي الواسع للمصرف.



التقرير	أوجه القصور في أداء عمل وظيفة المراجعة الداخلية
	- عدم قيام إدارة المراجعة الداخلية بالتنسيق بين المراجعين الخارجيين والمصرف حيث ترك الأمر للإدارة التنفيذية وهو ما يعد مخالفاً للفقرة الثالثة من المادة 81 لسنة 2005 من قانون المصارف الليبية والمعدل بالقانون 46 لسنة 2012. - تكرار الملاحظات الواردة في تقرير إدارة المراجعة الداخلية دون اتخاذ اجراءات كافية بالخصوص لمعالجة الملاحظات ومخالفة المسؤولين. - ضعف تقارير المراجعين الداخليين واعتمادهم على العمل التقليدي دون اضافة خلال عدة سنوات مما أثر على جودة تقارير المراجعة الداخلية. - اقتصار تقارير المراجعين الداخليين على عدد من المواضيع دون شمولها لكافة العمليات والانشطة والبرامج التي يقوم بها المصرف. - عدم القيام بمتابعة الأخطاء والملاحظات الواردة في تقرير المراجعة الداخلية والتأكد من تصحيحها من قبل الإدارة التنفيذية بالمصرف . - وجود قصور في عمل أقسام المراجعة الداخلية بفروع المصرف بالمنطقة الغربية لعدم قيامها بدور فعال في احكام الرقابة على العمليات المصرفية القائمة بالمصرف. - عدم تقيد بعض الفروع والإدارات بالرد على المراسلات الموجهة إليهم من قبل إدارة المراجعة الداخلية. - عدم قيام إدارة المراجعة الداخلية بتدقيق العمليات اليومية للمصرف واعتمادها على المراجعة اللاحقة مما أثر على الاكتشاف المبكر للأخطاء والاختلاسات التي قد تحدث الامر الذي يعد مخالفة للمادة 83 من القانون رقم 1 لسنة 2005 بشأن المصارف. - الملاحظات الواردة في تقرير إدارة المراجعة الداخلية هي عبارة عن بيانات عامة تتمثل في وجود عنصر الخطر من عدمه . - عدم وجود تقارير تفصيلية لأعمال إدارة المراجعة لكافة العمليات التي يقوم بها المصرف واقتصارها على تقارير عامة للمراجعة بالمخاطر.



التقرير	أوجه القصور في أداء عمل وظيفة المراجعة الداخلية
	- تدني تقارير المراجعة الداخلية واعتمادها على العمل التقليدي لتقرير المخاطر من عدة سنوات ودون اضافة واضحة تعطي أثر على جودة تقرير إدارة المراجعة الداخلية. - اقتصار تقارير إدارة المراجعة الداخلية على عدد من مواضيع عامة دون شمولها لتفاصيل كافة العمليات والأنشطة والبرامج اليومية والتي يقوم بها المصرف . - عدم قيام إدارة المراجعة الداخلية بالمصرف باعتماد نظام المراجعة الإلكترونية لتدقيق العمل اليومي للعمليات المصرفية.
2019	- عدم قيام قسم المراجعة الداخلية بمتابعة السياسات الائتمانية للمساهمات والتأكد من نجاعتها واحتوائها على كل الضوابط والشروط التي توفر الحماية الكافية لقروض المساهمات وتسهيلاتهما وتساعد في الحصول على الضمانات الكافية لاسترجاعها.
2020	- التأخر في اعداد تقرير المراجعة الداخلية عن الربع الرابع لسنة 2019 والربع الاول والثاني لسنة 2020. - تأخر إدارة المراجعة الداخلية في إعداد التقارير الدورية عن نشاط المصرف وعرضها على مجلس الإدارة وبالأخص تقرير الربع الرابع لسنة 2020. - ضعف التقارير الدورية لإدارة المراجعة الصادرة عن المراجعين الداخليين لأغلب الفروع - عدم التحقق من كل عملية تحدث على حسابات العملاء . - لا توجد لدى إدارة المراجعة الداخلية قائمة لمستخدمي قواعد البيانات . - تقصير المراجعين بالفروع في متابعة الحسابات الوسيطة في الفروع والتي تتزايد بشكل مفاجئ. - عدم قيام مراجعي الفروع بمراجعة عمليات تصنيف الديون بالفروع ومتابعة المخصصات المقترحة من قبل اللجنة والتأكد من كفايتها حسب مناشير مصرف ليبيا المركزي.



التقرير	أوجه القصور في أداء عمل وظيفة المراجعة الداخلية
	- عدم قيام إدارة المراجعة (قسم متابعة تقنية المعلومات) بمراجعة الدخول المباشر على قواعد البيانات من قبل مستخدمي النظام ومطابقتها لملف الصلاحيات. - عدم قيام إدارة المراجعة (قسم متابعة تقنية المعلومات) بمراجعة آلية منح وتداول تخويلات المستخدمين بالإدارات والفروع. - عدم دقة المراجعين الداخليين بالفروع في متابعة محاضر الجرد كعدم التأكد من عمليات الاحتساب أو دون التأكد من اثبات الفروقات التي ظهرت بالعجز لبعض محاضر الجرد. - تقصير إدارة المراجعة الداخلية وقسم التدقيق الشرعي في متابعة الإدارات المعنية في مدى الالتزام بالقانون رقم 1 لسنة 2013 بشأن منع المعاملات الربوية وذلك لاستمرار المنظومات المصرفية في احتساب الفوائد بعد سنة 2015.
2021	- تقارير المراجعة الداخلية لسنة 2021 لا تصدر بشكل دوري حسب خطة المراجعة السنوية الموضوعية . - اغفال خطة المراجعة لأنشطة ذات مخاطر مرتفعة. - وجود فارق زمني مبالغ فيه يصل لأكثر من 6 شهور أحياناً بين الفترة التي يغطيها التقرير وإحالاته للإدارة المعنية بالملاحظات لتصحيحها أو الرد عليها مع حدوث هذا التأخير بشكل متكرر . - إهمال أغلب إدارات المصرف وعدم اهتمامها بمعالجة الملاحظات والأخذ بالتوصيات الصادرة عن إدارة المراجعة الداخلية. وتكرار الملاحظات في أغلب تقارير المراجعين الداخليين . - التقصير في متابعة مدى امتثال المصرف والتزامه بالمعايير التي تحكم العمل المصرفي اليومي .



التقرير	أوجه القصور في أداء عمل وظيفة المراجعة الداخلية
	- ضعف تقارير إدارة المراجعة حيث ولحظ تكرار الملاحظات الواردة في التقارير وتأخر بعض مراجعي الفروع بإحالة تقاريرهم الشهرية بنتائج متابعة العمل المصرفي بالإضافة إلى افتقارها للنتائج والتوصيات. - قصور في أداء المراجعين بالفروع والوكالات وضعف تقاريرهم الشهرية والطارئة عن واقع الاختلاس والتزوير. حيث لوحظ بأن جل التبليغات يتم اعداد التقارير بها واحالتها لمجلس الإدارة بعد حدوث عمليات الاختلاس والتزوير بفترة طويلة. - عدم قيام المراجعين بالفروع والوكالات بالتأكد من مدى سلامة الضوابط التشغيلية ومدى فعاليتها وذلك فيما يتعلق بتداول الأرقام السرية بين الموظفين الامر الذي ترتب عليه حدوث عمليات اختلاس من قبل الموظفين باستخدام الأرقام السرية لزملائهم بالمصرف. - عدم قيام قسم المراجعة بالجرد المفاجئ للخزائن.
2022	- عدم وجود خطة معتمدة من إدارة المراجعة الداخلية لسنة 2022 - ضعف تقارير مراجعي الفروع فقد اعتمدت اغلبها على سرد قيم بنود دون تحليلها وبحث اسباب وجودها وعدم تسويتها. - التأخر في احالة التقارير الربع سنوية إلى إدارة المراجعة بالإدارة العامة.
2023	- تأخر مكتب المراجعة في اعداد التقارير الربع سنوية . - عدم المتابعة الدقيقة لنشاط المصرف وفروعه اليومي. حيث تبين وجود حالات اختلاس وتزوير وعجز في الخزينة خلال السنة المالية 2023 تخص سنوات سابقة لم يتم اكتشافها في حينها . - عدم قيام إدارة المراجعة الداخلية بدورها في تعيين مراجعين بعض فروع المصرف أو تعيين بدلاء لمراجعي فروع خرجوا في اجازات . - عدم تقديم مراجعي بعض فروع المصرف للتقارير الشهرية المكلفين بها.



التقرير	أوجه القصور في أداء عمل وظيفة المراجعة الداخلية
	- تأخر إدارة المراجعة في إعداد تقرير الربع الرابع . - تكرار الملاحظات التي تم رصدها من قبل المراجعين الداخليين في الفروع دون اتخاذ اجراءات لتسويتها. - عدم وجود دليل عمل واضح لإدارة عمل المراجعة الداخلية. - تأخر إدارة المراجعة الداخلية في تحويل تقاريرها الربع سنوية لمجلس الادارة . - وجود تضارب واختلاف بين البيانات والمعلومات الموجودة في تقرير إدارة المراجعة مع تقارير إدارة الفروع الأمر الذي يشير إلى الضعف والقصور في اعداد التقارير .
2024	- ضعف عمليات المراجعة (عدم وجود آراء رقابية على ملف التمويل) على ملف التمويل قبل منحه. - تدني جودة التقارير الصادرة عن إدارة المراجعة الداخلية وعدم شموليتها لكافة المخاطر والجوانب الرقابية الجوهرية .فضلاً عن محدودية التحليل وعدم تقديم توصيات تصحيحية فعالة. - قصور وإهمال مكتب المراجعة الداخلية في تقديم ملاحظات عن سير عمل الفروع التابعة للمصرف خلال الفترات الربع سنوية. بالأخص متابعة الفروع في النشاط الائتماني من قروض متعثرة ومقترضين متقاعسين عن سداد التزامات المترتبة عليهم والوقوف على اوضاعها القانونية . - عدم قيام مكتب المراجعة بإجراء قراءة مالية للقوائم المالية وذلك من خلال القيام بالتحليل المالي لبنود المركز المالي .

من خلال الجدول رقم (4) نجد أن هناك أوجه قصور عديدة في أداء عمل وظيفة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الليبية من خلال تحليل تقارير ديوان المحاسبة خلال فترة الدراسة والمتمثلة في: غياب المتابعة والتدقيق لمذكرات التسوية لحساب الإدارة العامة وإدارة الفروع لبعض المصارف وضعف المتابعة والتدقيق للتسهيلات الائتمانية والقروض المتعثرة، والضعف في حماية



أصول المصرف، بالإضافة إلى تدني جودة التقارير والتأخر في إعدادها واحالتها إلى مجلس الإدارة، وتكرار نفس الملاحظات وعدم متابعة أو الضغط على الإدارة لتصحيحها وعدم اكتشاف حالات التزوير والإبلاغ عنها، وعدم وجود خطة للمراجعة الداخلية، وعدم قيام وظيفة المراجعة الداخلية بإجراء قراءة مالية للقوائم المالية وذلك من خلال القيام بالتحليل المالي لبنود المركز المالي.

11. النتائج

من خلال تحليل محتوى تقارير ديوان المحاسبة الليبي للفترة (2011-2024) يمكن التوصل إلى النتائج الآتية :-

1.11 أوجه القصور في استقلالية وموضوعية وظيفة المراجعة الداخلية

- الحد من نطاق وظيفة المراجعة الداخلية من خلال عدم تمرير العمل اليومي علي المراجعين الداخليين بالمصرف مما يضعف الاستقلالية.
- قيام وظيفة المراجعة الداخلية بأعمال تنفيذية بالإضافة إلى عملها كمراجع داخلي مما يضعف الموضوعية.
- يتم تعيين وندب والاعارة للمراجعين الداخليين عن طريق الإدارة التنفيذية للمصرف وليس مجلس الإدارة مما يضعف من الاستقلالية.
- عدم وجود مكاتب واجهزة مستقلة لأغلب الفروع والادارات بالمصرف.

2.11 أوجه القصور في كفاءة وظيفة المراجعة الداخلية

- ضعف مؤهلات المراجعين الداخليين حيث تبين أن منهم من يحمل شهادة ثانوية عامة ومنهم من لا يحمل شهادة اصلا.
- عدم إلمام المراجعين الداخليين بالمنظومة المصرفية لضعف معرفتهم بتقنية المعلومات.
- ضعف مهارات المراجعين الداخليين بالمقارنة لما تتطلبها هذه الوظيفة من كفاءات ومهارات لشغلها .
- عدم وجود نظام تقييم أو معايير لتقييم عمل المراجعين الداخليين وتتبع اعمالهم وجودة التقارير الصادرة عنهم.



- ضعف الجانب التدريبي بالمصرف للعاملين في إدارة المراجعة الداخلية.
- ضعف المراجعين الداخليين للامتثال للقوانين والأنظمة المصرفية لنقص المعرفة والتدريب في هذا الجانب.

3.11 أوجه القصور في كفاءة وظيفة المراجعة الداخلية

- غياب المتابعة والتدقيق لمذكرات التسوية لحساب الادارة العامة وادارة الفروع لبعض المصارف.
 - ضعف المتابعة والتدقيق للتسهيلات الائتمانية والقروض المتعثرة.
 - الضعف في حماية أصول المصرف.
 - تدني جودة تقارير المراجعة الداخلية والتأخر في اعدادها واحالتها إلى مجلس الإدارة.
 - تكرار نفس الملاحظات في التقارير وعدم متابعتها أو الضغط على الادارة لتصحيحها.
 - عدم اكتشاف حالات الغش والتزوير والابلاغ عنها في وقت حدوثها.
 - عدم وجود خطة للمراجعة الداخلية.
 - عدم قيام وظيفة المراجعة الداخلية بإجراء قراءة مالية للقوائم المالية وذلك من خلال القيام بالتحليل المالي لبنود المركز المال مما يضيف قيمة للمصرف.
- تتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج بعض الدراسات السابقة، كدراسة Abuazzaet.al,(2015)، Elmghaamez and Ntim,(2016) خلاط ، (2018) والتي اظهرت أن نطاق المراجعة الداخلية في المؤسسات الليبية قد لا يكون واسعاً بما يكفي ليعتبر خدمة ذات قيمة مضافة. وأن المراجعين الداخليين في ليبيا لديهم مهارات محدودة، بما في ذلك مهارات التحدث أمام الجمهور ومهارات العرض والتقديم. بالإضافة إلى ذلك، لديهم مهارات محدودة في تدقيق تكنولوجيا المعلومات و مهارات إعداد التقارير المالية الدولية. وأن هناك مجموعة من العوامل التنظيمية والادارية والقانونية والشخصية (كضعف الاستقلالية والكفاءة وعدم وجود معايير وإرشادات محلية تنظم عمل المراجعة الداخلية) وراء ضعف دور المراجعة الداخلية في اكتشاف الفساد المالي والاداري والحد منه في المؤسسات الليبية.



12. التوصيات

بناء على النتائج التي توصلت إليها الدراسة توصي الدراسة بالآتي:

- العمل على دعم استقلالية وموضوعية وظيفة المراجعة الداخلية بالمصارف التجارية الليبية من خلال التأكيد على تعيين وعزل وندب المراجع الداخلي من قبل مجلس الإدارة وليس من الإدارة التنفيذية.
- على إدارات المراجعة الداخلية بالمصارف عمل ميثاق المراجعة الداخلية والذي يحدد نطاق وصلاحيات وظيفة المراجعة الداخلية واعتماده من مجلس الادارة.
- تقديم الدعم الكافي لإدارات وفروع وأقسام المراجعة الداخلية من خلال توفير الموارد اللازمة من مكاتب وأجهزة مستقلة بكل مصرف.
- على مجالس الادارة بالمصارف عدم السماح لوظيفة المراجعة الداخلية بممارسة أي نشاط تنفيذي داخل المصارف.
- على المصارف تقديم التدريب الكافي للمراجعين الداخليين لتحسين كفاءة عملهم .
- على مجالس الإدارة عدم تعيين أي مراجع لا يحمل الشهادات المناسبة لشغل وظيفة المراجعة الداخلية.
- على مجالس الإدارة وإدارة المراجعة الداخلية بالمصارف التقييم المستمر لكفاءة عمل المراجعين الداخليين سواء كان تقييمي داخلي أو تقييم خارجي.
- على مجلس الادارة بالمصارف تنويع فرق المراجعة الداخلية من خلال السماح لعدة تخصصات كالقانون وتكنولوجيا المعلومات لشغل هذه الوظيفة .
- على مجالس الإدارة بالمصارف تقييم جودة عمل المراجعة الداخلية مرة كل سنة كتقييم داخلي ومرة كل خمس سنوات كتقييم خارجي مستقل ووفقاً للمعايير العالمية للمراجعة الداخلية لتحسين أداء عملهم لهذه الوظيفة.
- على مجالس الادارة بالمصارف إلزام إدارات المراجعة الداخلية بعمل خطة سنوية للمراجعة الداخلية تكون مبنية على المخاطر، وعدم التأخير في اعداد واحالة التقارير



الربع سنوية اليهم ومتابعة الملاحظات المتكررة في تقاريرهم ومساءلة الإدارة التنفيذية
عن عدم تصحيحها.

13. محددات الدراسة

- اقتصرت الدراسة على تقييم أوجه القصور في وظيفة المراجعة الداخلية متمثلة في (الاستقلالية والموضوعية و الكفاءة واداء العمل) ولم تتناول الدراسة اسباب أخرى للقصور كضعف لجنة المراجعة.
- اعتمدت الدراسة على تقييم القصور لوظيفة المراجعة الداخلية من خلال تقارير ديوان المحاسبة الليبي خلال المدة (2011-2024) والذي يعتبر تقييم من جهة خارجية مستقلة، ولم تتطرق إلى التقييم من جهة داخلية .
- اعتمدت الدراسة على تقارير ديوان المحاسبة الليبي للفترة (2011-2024) لعدم نشر الديوان تقاريره قبل سنة 2011 على موقعه الرسمي.

المراجع

- امهلل، عبد الله محمد ، فرج محمد أبوخزام(2025) تقييم فاعلية إجراءات المراجعة الداخلية بالمصارف التجارية الليبية في ظل المعايير الدولية للمراجعة الداخلية، مجلة جامعة درنة للعلوم الانسانية والاجتماعية، 3(6)، 843-868.
- البنك الدولي (2020) مراجعة القطاع المالي في ليبيا.
- خلاط ، صالح ميلود، فتحي رمضان وموسى (2018) العوامل التي تفسر ضعف دور المراجعة الداخلية في الحد من الفساد المالي والإداري في المؤسسات الليبية (من وجهة نظر مراجعي ديوان المحاسبة الليبي)، مجلة العلوم البحثية والتطبيقية، 7(2)، 109-127.
- خلاط جميل، افتحوه مصطفى ساسي، مسعود، فاطمة حمد (2023) مدى تطبيق معايير الاداء المهني للمراجعة الداخلية في المصارف التجارية الليبية، مجلة الدراسات الاقتصادية 6،(3)، 197-221.
- ديوان المحاسبة الليبي، [/https://www.audit.gov.ly/ar](https://www.audit.gov.ly/ar)
- مصرف ليبيا المركزي (2022) منشور رقم 6 بشأن ضوابط تولي وظيفة مدير إدارة المراجعة الداخلية - إدارة المخاطر - إدارة التدقيق الشرعي ونوابهم.
- مصرف ليبيا المركزي (2025) تقرير اهم البيانات والمؤشرات المالية للمصارف للربع الاول. المعايير الدولية لإدارة الجودة والمراجعة والفحص والتأكدات الأخرى والخدمات ذات العلاقة والمعايير والإصدارات الأخرى (2025) مجلس المعايير الدولية للمراجعة والتأكد ترجمة الهيئة السعودية للمحاسبين والمراجعين.
- المعايير العالمية للتدقيق الداخلي (2024) معهد المدققين الداخليين ترجمة جمعية المدققين الداخليين في لبنان.
- مؤتمر الشعب العام (2005) قانون رقم (1) لسنة 2005 بشأن المصارف
- النجار ، فايز جمعة ، النجار نبيل جمعة ، الزعبي، ماجد راضي(2018) أساليب البحث العلمي منظور تطبيقي، دار الحامد للنشر والتوزيع، (ط5) عمان الاردن.



Abuazza, Wahid Omar, Dessalegn Getie Mihret, Peter Best, (2015) The perceived scope of internal audit function in Libyan public enterprises, Managerial Auditing Journal , 30 (7/6) 584-560
<https://doi.org/10.1108/MAJ-10-2014-1109>.

Corruption Perceptions Index (2025) Transparency International.

Elmghaamez, Ibrahim, Collins G. Ntim (2016) Assessing the Effectiveness of Internal Governance Controls: The Case of Internal Auditors Skills and Challenges in Libya, Corporate Ownership and Control Journal, 13(13), 46-59. <https://doi.org/10.22495/cocv13i3p4>.

Global Internal Audit Standards (IIA) (2024) The Institute of Internal Auditors.

<https://www.transparency.org/en>

Ikryim, Ali Abdoullah Omar, Boumedien, Emna (2023) Evaluation of the performance of the internal audit function in Libyan banks: A study on Libyan commercial banks. International Journal of Scientific Research and Management (IJSRM), 11(12), 5516-5526.

International Standards on Auditing (IAASB) (2025 Handbook of International Quality Management, Auditing, Review, Other Assurance, and Related Services Pronouncements.

Khanam Zobaida (2024) Effectiveness of internal auditing from the lens of internal audit factors: empirical findings from the banking sector of Bangladesh, Journal of Financial Crime, 6(31)